



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة -
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الإجتماعية



الرقم التسلسلي :

رقم التسجيل :

عنوان الأطروحة

التربية في الفكر الإسلامي المعاصر

محمد الغزالي "نموذجا"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع
تخصص: علم اجتماع التربية

إشراف:

أ.د إبراهيمي الطاهر

إعداد الطالب:

زيروق دحمان

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الإسم و اللقب
رئيسا	بسكرة	أ.د/ نور الدين زمام
مشرفا ومقررا	بسكرة	أ.د/ الطاهر ابراهيمي
عضوا مناقشا	باتنة	أ.د/ مصطفى عوفي
عضوا مناقشا	قالمة	أ.د/ ابراهيم بلعادي
عضوا مناقشا	باتنة	أ.د/ مولود سعادة
عضوا مناقشا	بسكرة	د/ نجاة يحيايوي

السنة الجامعية 2016/2015



الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لأمي رحمها الله

وإلى أبي أطال الله في عمره

- أهديه إلى زوجتي

- أهديه إلى أبنائي وفقهم الله إلى سبل الخير والنجاح

- أهديه إلى كل الشعوب العربية والإسلامية مهضومة الحقوق

- أهديه إلى كل مشايخي ومعلمي و أساتذتي وكل حفظة القرآن الكريم

و إلى كل علماء الأمة الإسلامية

أهديكم جميعا هذا العمل

زيرق دحمان

شكر و عرفان

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب
المصطفى، الذي بلغ الرسالة وأوفى القائل "من لم يشكر
الناس لم يشكر الله".

إنني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي وشيخي
الأستاذ الدكتور إبراهيم الطاهر، الذي تعلمت منه
التواضع، وفضيل الخلق، وحسن المعاملة، وكرم اللقاء
قبل جوده بحسن التوجيه و التشجيع على انجاز هذه
الأطروحة.

زيرق دحمان

الإهداء
شكر و عرفان
فهرس المحتويات
فهرس الأشكال
ملخص الدراسة
مقدمة

أ- د

جدول المحتويات:

الصفحة	فهرس الأطروحة
5	الفصل الأول: الإطار المنهجي و المفاهيمي للدراسة
6	أولاً: مشكلة البحث
9	ثانياً: الفرضيات
10	ثالثاً: أهمية الموضوع
11	رابعاً: أسباب اختيار الموضوع
12	خامساً: أهداف الموضوع
13	سادساً: تحديد مفاهيم الدراسة
16	سابعاً: المنهج المتبع في دراسة البحث
17	ثامناً: حدود الدراسة
17	تاسعاً: الدراسات السابقة
27	الفصل الثاني: التربية و المجتمع
28	تمهيد
29	المبحث الأول: الإنسان و التربية
29	أ. : الإنسان
29	أولاً : ماهية الإنسان
32	ثانياً : نشأة المجتمع
33	ثالثاً : ديناميكية الرباط الاجتماعي في الإسلام
36	رابعاً : الطفولة و أهميتها البيولوجية
40	ب. التربية

40	أولاً: مفهوم التربية
40	ثانياً: خصائص العملية التربوية
42	ثالثاً: الأهداف الاجتماعية للتربية
43	رابعاً: الوظائف الاجتماعية للتربية
43	خامساً: علاقة التربية بالمجتمع
49	سادساً: أزمة التربية في المجتمع العربي
58	المبحث الثاني: المجتمع وأهمية القيم الاجتماعية في التنظيم الإسلامي
58	I. ماهية المجتمع
58	أولاً: مفهوم المجتمع
59	ثانياً: عناصر المجتمع
59	ثالثاً: مفهوم الجماعة
61	رابعاً: الشروط الواجب توافرها في المجتمع المتماسك
61	خامساً: أشكال المجتمع
62	سادساً: حاجات المجتمع
63	II. أهمية القيم الاجتماعية في التنظيم الإسلامي
63	أولاً: ماهية القيم الاجتماعية
64	ثانياً: أهمية القيم الاجتماعية
67	ثالثاً: خصائص القيم الاجتماعية
69	رابعاً: وظائف القيم الاجتماعية
70	خامساً: تصنيفات القيم الاجتماعية
73	سادساً: القيم الإسلامية المفهوم والأسس
88	الفصل الثالث: تطور الفكر التربوي عبر العصور
89	تمهيد
91	المبحث الأول: التربية بعد خلق الإنسان وخلال الحياة البشرية الأولى
91	I. التربية بعد خلق الإنسان
95	II. التربية الشرقية القديمة
95	أولاً: التربية الهندية

95	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
97	ب - النظام التربوي
98	ثانيا : التربية لدى بني إسرائيل
98	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
98	ب - النظام التربوي
100	ثالثا : التربية الصينية
100	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
100	ب - النظام التربوي
103	رابعا : التربية لدى قدماء المصريين
103	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
105	ب - النظام التربوي لدى قدماء المصريين
107	المبحث الثاني : التربية في العصور الوسطى ولدى العرب قبل وعند مجيء الإسلام
107	1) التربية اليونانية
107	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
108	ب - التربية الاسبرطية
109	ج - التربية الأثينية
113	2) التربية الرومانية
113	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
113	ب - التربية لدى قدماء الرومان
115	3) التربية المسيحية في العصر الوسيط
115	أ - ملمح تاريخي واجتماعي
115	ب - روح المسيحية الجديدة
117	ج - ملامح التربية الغربية في العصر الوسيط
118	4) التربية العربية و الإسلامية
118	أ. ملمح تاريخي واجتماعي
118	ب. العرب قبل الإسلام

119	ج. التربية في الجاهلية
120	د. التربية العربية عند مجيء الإسلام (العهد الأول)
121	هـ. التربية بعد مجيء الإسلام (عهد الحضارة والتوسعات)
122	و. مؤسسات التربية الإسلامية
127	المبحث الثالث : الفكر التربوي الحديث
127	أولا : عصر النهضة الأوروبية
127	1 . ملامح الفكر التربوي في عصر النهضة الأوروبية
127	أ. الملامح الفكرية و الاجتماعية
128	ب. بعض الملامح التربوية في عصر النهضة الأوروبية
128	ج. من أهم رواد هذه النهضة
129	ثانياً: نماذج ومميزات الفكر التربوي ما بعد عصر النهضة
129	1. نماذج ومميزات الفكر التربوي بالعالم الغربي .
136	2. نماذج ومميزات الفكر التربوي العربي في العصر الحديث
143	الفصل الرابع: الفكر التربوي الإسلامي
144	مدخل
147	المبحث الأول: أصول الفكر التربوي الإسلامي
147	أولا : التربية في القرآن الكريم
149	1. منهج التربية في القرآن الكريم
155	2. اهداف التربية في القرآن الكريم
157	3. محتويات التربية في القرآن الكريم
168	4 . الأساليب التربوية في القرآن الكريم
179	5. المرتكزات التربوية الأساسية في القرآن الكريم
181	6. مكانة القرآن الكريم
186	ثانياً: التربية من خلال السنة النبوية الشريفة
187	1. ماهية السنة النبوية الشريفة
188	2. أسس السنة النبوية الشريفة
193	المبحث الثاني: خصائص الفكر التربوي الإسلامي ورواده المعاصرين

193	أولا : خصائص الفكر التربوي الإسلامي المعاصر
193	1. الفكر التربوي الإسلامي فكر شمولي للطبيعة الإنسانية
194	2. أهم الخصائص المميزة للفكر التربوي المعاصر
196	ثانياً: من رواد الفكر التربوي المعاصر
218	الفصل الخامس : محمد الغزالي الحياة والسيره
219	توطئة
219	المبحث الأول: محمد الغزالي / المولد والنشأة والوفاة
220	1. محمد الغزالي : المولد و النشأة
227	2. عوامل أساسية في تكوين شخصية محمد الغزالي
230	3. صفات لشخصية محمد الغزالي
234	4. من المميزات الخلقية للغزالي
236	5. العوامل المرجعية لتكوين الشخصية العلمية لمحمد الغزالي
238	6. الوفاة
240	المبحث الثاني: الحياة العملية لمحمد الغزالي
240	أولا : الغزالي القراءة و المطالعة
242	ثانيا : الغزالي و الكتابة و التأليف
243	ثالثا : الغزالي الداعية
245	رابعا : أسلوب الغزالي في الكتابة و الخطابة و التواصل
247	خامسا : من أهم القضايا الفكرية الإجتماعية التي عالجها الغزالي
251	سادسا : إقتراحات الغزالي لتغيير حال المجتمع
252	سابعا :قراء سييسولوجية الكتاب : - كيف نتعامل مع القرآن؟للغزالي
264	ثامنا : التربية عند محمد الغزالي
272	تاسعا : مميزات الفكر التربوي الإسلامي عند محمد الغزالي
275	المبحث الثالث: محطات فكرية و مواقف تاريخية لمحمد الغزالي
275	أولا : آراء مساندة لفكر محمد الغزالي
276	ثانيا : آراء مخالفة لفكر محمد الغزالي
280	ثالثا : من قضايا الخلاف

282	رابعاً : الغزالي و كفاحه ضد الإستبداد
287	خامساً : الغزالي و المعارضة السياسية
287	سادساً : من أحاديث الإثنين الدينية للشيخ محمد الغزالي بالتلفزيون الجزائري
297	خلاصة
299	خاتمة

فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
70	معايير تصنيف القيم	01
154	نموذج يبين المقصود من المدخل الخطي	02
154	نموذج يبين المقصود من المدخل المنظومي	03
169	مخطط يوضح مختلف الأساليب التربوية المعتمدة في القرآن الكريم	04
180	يوضح منظومة العملية التربوية في القرآن الكريم	05
180	منظومة مدخلات العملية التربوية في القرآن الكريم	06

ملخص الدراسة

يعتبر عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين ، النموذج الأمثل للدين والمسلمين، وهو أمر مفصول فيه ، وسيبقى هذا النموذج نموذجا أمثل في مخيلنا الاجتماعي، وفي أحلامنا وتطلعاتنا ، وهذه مسلمة لا شك فيها – كما قال أبو عابد الجابري - ، وإمكانية إعادة هذا النموذج اليوم بعيدة التحقيق، نظرا لبعد المسافة التاريخية بين الواقعيين، واختلاف المعطيات الاجتماعية، فالتاريخ لا يعيد تواجده بنفس الصورة على الواقع، وان كان بعضنا ينشد ذلك النموذج رافضا ما سواه، حاضره ومستقبله، إلا انه موقف غير ملزم للجميع موقف لا الدين يفرضه، ولا العقل يتقبله، وما مقولة "واعدوا أبناءكم لزمان غير زمانكم " التي قيلت زمن الصحابة ، إلا تأكيدا على وجوب التأقلم مع كل تغيير، للحفاظ على التساير الحضاري للإنسانية، فالإسلام دين كل زمان ومكان، رغم ثبات مبادئه التي لا تتغير كما هو حال قانون الطبيعة، الذي حدده خالق الكون.

إن بحثنا هذا يكشف عن رؤية تربوية جادة لمصلح ومفكر وعالم يسمى " محمد الغزالي " حمل هم قضايا الأمة والمجتمع الإسلامي في فكره، وفي قلبه، وحاول معالجة التربية بما يوافق النص القرآني والسنة النبوية المحمدية المؤكدة، محاولا قولبة أفهام الناس، بما يخدم الواقع المعاش، وليس الخيال الافتراضي المناقض للواقع، مدركا أن بقاء تواجد هذا العالم الإسلامي، ونجاح مواكبته للتطور الحضاري، لا يتأتى إلا بإيجاد آليات جديدة وحديثة للتربية لا تبقي النص القرآني معزولا عن الواقع، بل تبحث في رفع مستوى الأفهام، لتغيير هذا الواقع الاجتماعي المتخلف إلى الأفضل، وبما يتناسب مع التطور الحضاري، وهذا ما ذهب إليه محمد الغزالي في أبعاد فكره التربوي الإسلامي المعاصر، أين تناولنا الكثير من محطاته، عبر مختلف المناهج بالدراسة، و التحليل، والمقاربة السوسولوجية، بعد ما تتبعنا مسار ظاهرة التربية عامة والفكر التربوي خاصة في مختلف العصور .

résumé

L'ère de la prophétie et l'époque des califes, le modèle optimal de la religion et les musulmans, qui est séparé en elle, elle permet de conserver ce modèle de formulaire optimisations dans c'est le model dans notre société, et dans nos rêves et aspirations, a également dit Abu Abed al-Jabri - et la possibilité de ce modèle sur une longue enquête , puisque, après la distance historique entre rattrapé, et les différentes données sociales, l'histoire ne se répète pas sa présence dans la même image sur le terrain, bien que certains d'entre nous regardons pour ce modèle, en rejetant toute autre chose, présent et futur, mais cette position ne soit pas obligatoire pour tous, la position ne soit pas la religion imposée, ni l'esprit accepte, et en disant: «Préparez- vos fils à un temps qui n'est pas le votre", parlé du temps des (sahaba) amis fidele du prophète, mais la confirmation de la nécessité d'adapter à chaque changement, de garder la civilisation de l'humanité, l'islam est la religion de tous les temps et de lieu, en dépit des principes immuables qui ne changent pas comme cela est la loi de la nature de cas, fixé par Créateur de l'univers.

Notre modeste recherche révèle une vision éducative sérieuse pour le réformateur et penseur et un grande savant appelé "Muhammad al-Ghazali," pense toujours à la nation et la communauté musulmane dans ses idée, et dans son cœur, et à essayer de les aborder avec son esprit, y compris le texte convenu du Coran et de la Sunna Muhammadiyah a confirmé, en essayant de faire comprendre aux gens, la réalité de l'islam , parce que on trouve

beaucoup de chose dans notre religion ;exemple :l'évolution de la civilisation .

L'opinion du grande savant "Muhammad al-Ghazali," c'est que l'islam est toujours contemporaine.

Ou on a étudié beaucoup de méthode pédagogique : come l'analyse et l'approche sociologique, après avoir suivi la pédagogie général de notre savant : "Muhammad al-Ghazali," . dans les dimensions de l'idée de l'éducation islamique contemporaine, où nous avons traité avec beaucoup de ses stations, à travers l'étude et l'analyse curriculum, et l'approche est sociologique, après ce que nous regardons le phénomène de l'éducation publique et le chemin de la pensée éducative, en particulier dans les différentes époques.

مقدمة:

يرتبط نمو الحضارات وازدهارها، ارتباطا لازما بمدى سلامة التربية، ونجاحتها التي تعتمد عليها وتمسك بها مجتمعاتها، من خلال إبداعات واجتهادات مفكريها، وهما يسيران جنبا إلى جنب بتوازي، ويحافظان على استمراريتهما، وديمومتهما، بفضل الفكر التربوي الذي يستمد قوته من تجده، ومواءمته ، لمختلف متغيرات الحياة الإنسانية.

إن معرفة تطور الفكر التربوي في بعده الإنساني، تعد مدخلا لا يمكن لأي باحث استبعاده إن أراد الوقوف على أسرار التربية عامة، والفكر التربوي خاصة، حيث يستشف أغوار وجودها الضاربة في أعماق التاريخ، فهي في كنهها ظاهرة إنسانية لم تتواجد من عدم، بل هي نتاج خبرات وتراكم معارف، استدل عليها واكتسبها الإنسان منذ تواجده على هذه البسيطة وانعكست على سلوكياته وأفكاره، لتصل إلينا اليوم في قالب متعدد الاتجاهات والنظم، أين تلاقت أفكارها عبر قيام حضارات، وأقول حضارات أخرى، لتستكمل الكثير من نضجها عبر العصور متخذة من التغيير منهجا، ومن التأقلم مع كل جديد مذهباً، ليتمكن هذا المخلوق العاقل في الأخير من الاسترسال في معرفة خبايا الحياة واكتشاف المجهول، والبحث دون توقف عن أسباب التطور، للوصول إلى المتعة والكمال، والجمال.

إن هذه الآلية التي تقوم عليها الحضارة، لا يمكن تحديد معالمها، وفقه حيثياتها ما لم نعرف أصولها وجذورها التي انطلقت منها، وكانت سببا في تكوينها عبر التاريخ .

إن دراسة الفكر التربوي الإسلامي في كل مرحلة من مراحل التاريخ ، وتطور البشرية بات من الضرورة الملحة، هذا إن أردنا الوقوف على أفضل الأساليب التي نجابه بها هذا التغيير الحضاري المتسارع، مع الحفاظ على الهوية في بعدها الإسلامي وليتمكن الباحثون أيضا من جعل وقفة مع الذات، يمكن بعدها إعادة قولبة عقلية الإنسان المسلم كي يتأقلم مع ما يدور حوله من أحداث، دون أن يدخل في حالة الاغتراب، ويقف جامدا حيال الجديد من التطورات.

ومن قبيل أن لكل مجتمع من المجتمعات، مصادره التي يستمد منها قيمه ومختلف تقاليده وثقافته، وكذا فكره الذي يحافظ من خلاله على طبعه الخاصة، ومن ثمة هويته التي تميزه عن باقي المجتمعات فان مصادر المعرفة في التصور الإسلامي تقوم على أمرين اثنين هما:

أولاً: الوحي، (وذلك عبر القرآن، والثابت من السنة المحمدية) في الجوانب التي يعلم الله سبحانه وتعالى أن الإنسان لا يهتدي فيها إلى الحق من تلقاء نفسه، وإنما الأمر يتطلب توجيهات ربانية .

ثانيا : العقل البشري، هذه القوة الهائلة التي زود الله بها الإنسان، وترك له عبرها مساحة من الحرية، ليتدبر ويتأمل، ويتفاعل، مع الطبيعة والكون، فيستدل على سر

وجوده، ويعمل على انجاز الرسالة التي خلق من أجلها والتي تتمثل أساسا في عبادة الله عبر الاجتهاد في عمارة الأرض و الالتزام بشرع الله، وإقضاء السلام، والخير بين الناس. وانطلاقا من القول الثابت في سنة الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، أن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد للأمة دينها، فقد اخترنا من بين هؤلاء المجددين، شخصية معروفة عبر العالم الإسلامي، تميز بحكمته وبشأسته، وسعة ثقافته الإسلامية هو الشيخ " محمد الغزالي " والذي أسهم كثيرا عبر مختلف أعماله في إثراء الفكر الإسلامي بمختلف أبعاده التربوية، وهو ما أتينا على الاستفاضة فيه، من خلال بحثنا هذا المتواضع كأطروحة "دكتوراه" معنونة بـ - الفكر التربوي الإسلامي المعاصر - "محمد الغزالي نموذجا".

لقد أولينا لهذه الدراسة اهتماما كبيرا، أثناء معالجتنا للمادة المعرفية التي جمعناها، وذلك من حيث:

أولا : المنهج، إذ اعتمدنا أكثر من منهج وهذا قصد الإمام والتوضيح لمعطيات البحث كالمنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي ، والمنهج النقدي، ومنهج السير الذاتية. ثانيا : اجتهادنا في رفع مستوى هذه الدراسة، وبذلنا فيها ما استطعنا من جهد مدركين أنها ستكون يوما مرجعا لكثير من الباحثين، لذا أوليناها صدق التعامل والإخلاص لله أولا وللعلم والوطن ثانيا.

ثالثا : حاولنا الإحاطة بكل متغيرات الدراسة، المحتواة في "الفكر التربوي المعاصر" وأولينا تركيزا خاصا بالأعمال الفكرية لمحمد الغزالي، والمرتبطة بالجانب التربوي الإسلامي، سواء ما كان منها مصححا لفظا، أو محتواة في المعنى بألفاظ أخرى.

رابعا : بعد تحديد الإطار المنهجي للدراسة، وانطلاقا من الفصل الثاني، تدرجنا في معالجة هذه الدراسة من العام إلى الخاص، في تتبع ظاهرة التربية والفكر التربوي عبر التاريخ لأنها ظاهرة تواجدت بتواجد الإنسان قبل ظهور المذاهب والأديان، مدعمين كل حقبة تاريخية بذكر ما اشتهر من مفكرها، وما اشتهر من أعمالهم في المجال التربوي أين وقفنا عليها عند مختلف الشعوب البدائية والقديمة، وصولا إلى العصور الحديثة مراعين تسلسل وجودها عبر التاريخ.

خامسا : عملنا قدر الإمكان على إيجاد توازن بين الفصول، إذ لم تكن هناك فروق كبيرة بينها.

وقد جاء بحثنا هذا في خمسة فصول في مقدمتها الفصل المنهجي الذي حددنا من خلاله مشكلة البحث، ثم الفرضيات، فأهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، أهداف الدراسة، تحديد مفاهيم الدراسة، المنهج المتبع في دراسة البحث، حدود الدراسة و الدراسات السابقة.

كما تطرقنا في الفصل الثاني إلى التربية والمجتمع، وقسمناه إلى مبحثين، أين تعرضنا في المبحث الأول إلى الإنسان والتربية، من خلال معرفة ماهية الإنسان، ونشأة المجتمع وكذا ديناميكية الرباط الاجتماعي في الإسلام، ثم انتقلنا إلى توضيح أهمية الطفولة في حياة الإنسان وأهميتها البيولوجية، أما في المبحث الثاني فقد تناولنا التربية من حيث المفهوم، ثم خصائص العملية التربوية، فالأهداف الاجتماعية للتربية، وكذا الوظائف الاجتماعية للتربية ثم علاقة التربية بالمجتمع، وفي الأخير تناولنا أزمة التربية في المجتمع العربي أين وقفنا على الكثير من الحقائق، أما في المبحث الثاني والمتعلق بالمجتمع وأهمية القيم الاجتماعية في التنظيم الإسلامي، فقد تعرفنا على مفهوم المجتمع مبينين عناصر المجتمع، ووضحنا مفهوم الجماعة، والشروط الواجب توفرها في المجتمع للحفاظ على تماسكه، ثم تعرفنا على أشكال المجتمع، وحاجاته، وفي الجزء الثاني درسنا القيم الاجتماعية من حيث ماهيتها، وأهميتها في المجتمع، وكذا خصائصها ثم وظائفها الأساسية بالمجتمع، وكذا تصنيفاتها لنخلص إلى أهمية القيم الإسلامية في الحفاظ على المجتمع الإسلامي .

أما الفصل الثالث فقد تابعنا فيه تطور الفكر التربوي عبر العصور، منذ بداية الملامح الأولى للبشرية ولأهميته النظرية فقد قسمناه إلى ثلاث مباحث رتبناها حسب تسلسلها التاريخي حيث في المبحث الأول، الذي خصصناه للتربية بعد خلق الإنسان وخلال الحياة البشرية الأولى تعرضنا إلى قصة خلق آدم وبداية النزاع بين الإخوة قابيل وهابيل كبادرة للصراع بين الخير والشر، ثم تطرقنا للتربية الشرقية القديمة بداية من التربية الهندية بعد عرض ملمح تاريخي واجتماعي لها، ثم التربية لدى بني إسرائيل، والتربية الصينية، فالتربية لدى قدماء المصريين أما المبحث الثاني فقد خصصناه للتربية في العصور الوسطى وعند العرب قبل وعند مجيء الإسلام، أين وقفنا على التربية لدى اليونانيين، ثم التربية الرومانية، فالتربية المسيحية في العصر الوسيط، وفي الخطوة الرابعة تعرضنا للتربية العربية قبل وبعد مجيء الإسلام، وأخيرا تطرقنا إلى مؤسسات التربية الإسلامية، و في المبحث الثالث خصصنا الدراسة حول الفكر التربوي الحديث بداية من عصر النهضة والملاحم الفكرية التربوية والاجتماعية، ثم تطرقنا لذكر نماذج ومميزات للفكر التربوي ما بعد عصر النهضة، بداية من القرن السابع عشر الميلادي و مميزات الفكر التربوي في القرن الثامن عشر، وكذا ملامح الفكر التربوي في القرن العشرين، ثم انتقلنا إلى الفكر التربوي العربي في القرن العشرين مع ذكر نماذج ومميزات له.

وتماشيا مع خطة البحث، ركزنا في الفصل الرابع على الفكر التربوي الإسلامي، حيث وضعنا الدراسة في مبحثين، جاء المبحث الأول تحت عنوان : أصول الفكر التربوي الإسلامي أولا التربية في القرآن الكريم، منهاجها، وأهدافها، ومحتوياتها، ثم أساليبها ومرتكزاتها، ثم مكانة القرآن الكريم، وثانيا التربية من خلال السنة النبوية الشريفة

وتعرفنا فيه على ماهية السنة النبوية، وأسسها، وفي المبحث الثاني ركزنا على خصائص الفكر التربوي الإسلامي ورواده المعاصرين، بدءاً بالخصائص، ثم ذكر بعض من اشتهر من رواد الفكر التربوي الإسلامي المعاصر .

أما في الفصل الخامس والأخير، والذي يعتبر فصلاً رئيسياً لبحثنا حيث جاء تحت عنوان " محمد الغزالي، الحياة والسيره "، فهو يماثل الجانب الميداني من البحث، إذا اعتبرنا الفصول التي سبقته فصولاً نظرية، وان استخدمنا تقنيات كيفية متعددة للتحليل السوسيولوجي، تختلف عن التقنيات التي تستخدم في البحوث التي تعتمد عن الاستمارة أساساً كمعطى حيث يتطلب تقنيات كمية، ومن ثمة يختلف أسلوب التحليل والمعالجة للمادة المعرفية، ولقد تناولناه في ثلاث مباحث أولها "محمد الغزالي النشأة والوفاء" حيث تعرضنا للمولد والنشأة أولاً، ثم العوامل الأساسية في تكوين شخصية محمد الغزالي فصفات شخصيته، ثم مميزاته الخلقية فالعوامل المرجعية لتكوين الشخصية العلمية لمحمد الغزالي، أما في المبحث الثاني، فتناولنا الحياة العلمية لمحمد الغزالي من حيث: القراءة والمطالعة، الكتابة والتأليف، الدعوة، أسلوب الكتابة والخطابة والتواصل، أهم القضايا الفكرية التي عالجها محمد الغزالي ثم قمنا بقراءة سوسيولوجية لأحد كتبه تطرقنا بعدها إلى أبعاد التربية عند الغزالي، فمميزات الفكر التربوي عند الغزالي، أما المبحث الثالث والأخير، فكان حول محطات فكرية ومواقف تاريخية للشيخ محمد الغزالي تضمن الآراء المساندة والآراء المخالفة لفكره، وقضايا الخلاف، ثم كفاحه ضد الاستبداد السياسي ورأيه في المعارضة السياسية، لنختم الفصل قبل الخلاصة ببعض أحاديث الاثنين الدينية التي ألقاها الغزالي بالتلفزيون الجزائري، حيث تناولناها بما استطعنا من تحليل سوسيولوجي.

وفي الأخير قدمنا خاتمة واستخلاصاً لنتائج البحث.

الفصل الأول : الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة

أولاً: مشكلة البحث

ثانياً: الفرضيات

ثالثاً: أهمية الموضوع

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع

خامساً: أهداف الموضوع

سادساً: تحديد مفاهيم الدراسة

سابعاً: المنهج المتبع في دراسة البحث

ثامناً : حدود الدراسة

تاسعاً: الدراسات السابقة

أولاً: مشكلة البحث

تتطلب معالجة القضايا التربوية في المجتمع النظر في أصولها الكلية لمواجهة التحديات التربوية في عصر العولمة، فإكتساح ظاهرة العولمة للمجتمعات الإسلامية أصبح حقيقة تستوجب تفاعل المسلمين، وتكيفهم معها مع الحفاظ على الموروث الثقافي والحفاظ على أصول الهوية ومقوماتها المعتمدة أساساً على القرآن والسنة النبوية.

لقد ولد التنافس بين الشعوب والسبق لاكتشاف مكونات الحياة المادية والسيطرة عليها هاجسا قد سرع من وتيرة التدافع الحضاري، حيث لا مكان للشعوب الضعيفة الراكدة وجامدة الفكر فيه، هذا المعطى الجديد للحضارة غير من طبائع وقيم الناس وكسر انغلاق الطابوهات واستباح المجهول من العلوم وخبايا الوجود، إن هذا الوضع الجديد للعالم الذي فرضته قوى الصناعة والرقمنة، فرض واقعا آخر لا يؤمن إلا بقيم القوة ولا سبيل للتفاضل فيه، إلا ضمن أبعادها العلمية والمادية، انه منطوق لا يمكن أن تجابهه شعوبنا العربية بقيم راكمة، ويكفيها حسن الظن بالآخرين، والتبجح بشهامة العروبة، والتغني بأمجاد الماضي التليد!، إن العالم الآن يتكلم لغة المصالح ويتنافس اكتشافات العلوم، والولاء بين الدول ولم تعد تتحكم فيه العاطفة أو القوميات أو العرق أو النسب هذا الواقع الجديد أثر سلبا ليس على علاقات الشعوب العربية فيما بينها فقط، بل أثر حتى على العلاقات الأسرية، وبين الإخوة داخل الأسرة الواحدة، مما أفضى إلى وجوب إيجاد تكتيكات وفكر جديد لا يندمج فيه المسلمون تحت هوية الغرب وهم يمتلكون القوة في القرآن، هاته القوة التي لازالت كامنة تنتظر من يفعلها، ساكنة تنتظر من يشحنها ويضع يده على مفاتيحها، ويكشف عن خفايا أسرارها الربانية، لقد حوى القرآن الكريم إطارا عاما للمعرفة والقيم وتصورات أساسية للمجتمع.

وعلى الرغم من أن لكل مجتمع من المجتمعات فكره التربوي الخاص به، وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر، إلا إن المتفحص لمناهجنا التربوية في العالم العربي يجدها في كثير من جوانبها متأثرة بالفكر الغربي.

وقد نتج عن ذلك معاناة الواقع التربوي العربي الإسلامي، من الازدواجية الخطيرة الناتجة عن التبعية، وفقدان الأصالة الذاتية، التي ولدتها العلمانية في جميع مظاهر الحياة، واتخذت لها أبعادا خطيرة، أدت إلى الثنائية والانشطار في الكيان الاجتماعي والفكري .

إن حالة الاغتراب الحضاري التي استفاق عليها العالم العربي، والانتكاسة التي أصابته فأفقدته صوابه وزعزعت هويته وكادت تفقده ثقته في قيمه وأصالته، ألزمت الطاقات الحية فيه من علماء ومفكرين، إلى إعادة النظر في هذا الموروث الثقافي الذي كانت تستشهد به الأمم غير بعيد، فراحوا يفتشون في مثالبه علمهم يجدون الحلقة المفقودة التي سبب فقدانها تعثر النهضة الإسلامية وتقهرها، فيسترجعون حياة النهضة من جديد بعدما يستلهمون أبجديات التعامل لمواجهة متغيرات الحداثة بطابع إسلامي معاصر.

إن لكل مرحلة زمنية، سماتها ومنابعها وعلماؤها وفكرها المنبثق عن حركتها الحضارية والإنسانية، حيث لا تخلو حقبة من نمو في حركة الفكر التربوي الإسلامي، مهما أصابها من الضعف.

إن التربية الإسلامية التي امتد تاريخها إلى أكثر من أربعة عشر قرنا أنقذت في طليعتها مجتمعا بشريا كان يعيش قبلها على هامش التاريخ، يعاني من ويلات الجهل منغمسا في العبودية بجميع أشكالها من عبادة التملك والأنا إلى عبادة الأوثان والأصنام واستعباد وطغيان القوي للضعيف، لا يتحكم في ذلك المجتمع إلا ملذات الهوى والضلال، فجاء الإسلام بنوره و هدايته بعدما بعث الله محمدا رسولا وخاتم للنبيين، جاء بأفضل دستور للورى انزل فيه الناس منازلهم وأعاد لهم تصحيح مسار حياتهم، فزودهم بالقرآن الكريم دستوراً يبين لهم حقوقهم، كما يبين لهم واجباتهم في ظل معيشة تكتنف ربوعها، الحرية والعدالة والمساواة، بقي هذا المجتمع يتمتع زمن الصحابة بما كفل له الإسلام من فضائل مؤديا واجباته على أكمل وجه، يستمد قوته من التربية المحمدية التي قضت على كل الفوارق بين الأجناس، ولم يعد الاعتبار إلا لمن تميز بالتقوى والعمل الصالح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى).

لقد استردت المرأة حقها و مكانتها وراحت تشارك أباها الرجل في بناء صرح الإسلام، كما استرد العبيد حريتهم ليخدموا الإسلام عن طواعية وحب لله، بعد ما كانوا يقدمون الخدمات عن كره ودون مقابل لأسيادهم من البشر، وبرزت الأمة الإسلامية كخير أمة أخرجت للناس ليتعاقب الزمن، ويتبدل حال المسلمين، فبعدما عاشوا أفضل عصورهم في كنف مبادئ الإسلام المعتمدة على القرآن والسنة، يسيء حالهم عندما ابتعدوا عن مصدر قوتهم وشغلتهم أهواؤهم من جديد وسيطر عليهم الران، فبينما هم في غفلتهم اغتتم غيرهم من الشعوب والأمم فرصة ضعفهم فاستغلوا كل ما أنجزته عقول

المسلمين أيام نهضتهم، ليقوموا عليها حضارتهم ومدنيتهم التي نرى الآن، منطلقين من نقطة توقف الحضارة لدى العرب ليطوروها ويستغلوا من خلالها حال المسلمين لينكشف واقعهم ويجدوا أنفسهم تبعاً تابعين لهؤلاء الغربيين، يلهثون دائماً في طلب المزيد من إنتاج هذه الحضارة التي غمتهم ببريقها وسحرها فعجزوا حتى على حماية أمنهم الغذائي، والصحي، حالهم كما قال محمد الغزالي مثل الأبله ! يستغل الأجنبي ثرواتهم وخيراتهم بأقل وارخص الأثمان، ليعيد لهم فتاتها من الصناعات بأعلى الأثمان ! كما هو حال البترول الآن، إن هذا الواقع المرير لحال العرب والمسلمين، تورط في تشكله وديمومته ولاة الأمور، الذين يملكون رقاب ومصائر شعوبهم لكن سنة الله ترفض الظلم والخذلان، لتتعالى الأصوات من جديد أصوات العلماء والمصلحين وفقهاء الرأي وأئمة الفكر، تنادي بتوقيف بيع الذمم وإحياء الضمان، وتطالب بالعودة إلى جادة طريق النجاة التي لا يستقيم أمرها إلا بما استقام به الأولون - دستور القرآن وسنة نبيه محمد - إن العودة لهذا الأمر تستوجب إعادة النظر في التربية التي تقوم بدورها على فكر تربوي إسلامي سليم، يعلي كلمة الحق ولا تتنازع الأهواء، ففي كل قرن يبعث الله في الأمة من يجدد إسلامها، ولعل في قرننا الكثير من هؤلاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم- أصحابي كالنجوم أي منهم اقتديتم اهتديتم - لقد أسهم علماء كثيرون معاصرون إسهامات كبيرة في التربية، وفي الفكر التربوي الإسلامي، نذكر منهم: سيد قطب و المودودي ورشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي وقبلهم محمد عبده ويأتي بعدهم - حسن ألبنا - وغيرهم ممن أخذوا على عاتقهم مهمة بناء وإعداد الجيل الإسلامي لقيادة هذه الأمة استنبطوا أفكارهم وآراءهم من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة وأعادوا ترتيب مفاهيم ثقافتنا وأزاحوا، اللبس عن قيمنا، وأصالتنا الإسلامية فوهبوا عقولهم وأرواحهم وأموالهم ووجدانهم، من أجل تصحيح مسار الأمة دون أن ينتظروا مجازاة منا، ولا مقابل، يدفعهم حب الإله والغيرة للدين والوطن، ويعد الشيخ محمد الغزالي أحد هذه الروافد والعلماء الذين ساهموا في إحياء هاته الحركة الإصلاحية بعد انطلاقتها الأولى وأرخوا لأسمائهم بخط من نور، اجتهد في معالجة مختلف القضايا الإسلامية وفق رؤية جديدة تستند على ترجيح العقل في موازنة الأحكام، والموضوعية في مجازاة الواقع الاجتماعي للمسلمين.

- لقد تتبعنا في دراسة بحثنا هذا مسار التربية عبر التاريخ بالموازاة مع الفكر التربوي في عمقه الإنساني، إلى أن توصلنا إلى صيرورة هذا الفكر في طابعه الإسلامي من خلال آراء المفكرين فيه، واتخذنا من فكر الشيخ محمد الغزالي نموذجا للفكر التربوي الإسلامي كونه يعتبر احد إعلام العصر الذي ذاع صيتهم في شتى أنحاء المعمورة، حيث تتبعنا مسيرته وحياته الفكرية وانطلاقا من المعطيات التي ذكرناها تشكل لنا سؤالا رئيسيا مفاده:

- كيف يمكن مجابهة التحديات الخارجية والداخلية للفكر التربوي الإسلامي المعاصر في واقع فرض متغيرات جديدة على المسلمين؟ وما هي الرؤية الموضوعية التي اعتمدها محمد الغزالي لتفسير القرآن الكريم كمنهج جديد لمواجهة هذه التحديات ؟
وينجر عن هذا التساؤل الرئيسي أسئلة فرعية نوردتها كالاتي:

السؤال الأول: ما التطورات التي مرت بها التربية والفكر التربوي عامة عبر العصور؟
السؤال الثاني: ما ملامح التربية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي من خلال القرآن و السنة التربوية ؟

السؤال الثالث : كيف عالج الشيخ محمد الغزالي مختلف القضايا الفكرية في أبعادها التربوية و الاجتماعية و العلمية و الثقافية و العقدية للمجتمع الإسلامي من خلال تفسيره للنص القرآني ؟ وهل يمكن اعتماد أسلوبه الجديد منهجا تربويا لفهم القرآن الكريم لمسايرة متطلبات النهضة الحديثة ؟

ثانيا: الفرضيات

الفرضية الرئيسية:

يمكن مجابهة التحديات الخارجية و الداخلية للفكر التربوي الإسلامي المعاصر بإيجاد مقاربة فكرية، تحليلية جديدة، بين أصول الفكر الإسلامي و الواقع الراهن للمسلمين .

الفرضية الجزئية الأولى :

نستطيع التعرف على التطورات التي مر بها الفكر التربوي من خلال استعراض حياة المجتمعات و البشرية عبر العصور.

الفرضية الجزئية الثانية :

ندرك ملامح التربية بتحليل أبعاد الفكر التربوي الإسلامي من خلال استظهار الأساليب والأهداف، والأسس، وكذا الخصائص التربوية المحتواة في القرآن الكريم. و السنة النبوية .

الفرضية الجزئية الثالثة:

عالج الشيخ محمد الغزالي مختلف القضايا الفكرية الإسلامية في أبعادها التربوية والاجتماعية، والعلمية والثقافية والعقدية للمجتمع الإسلامي، من خلال قراءته الموضوعية للنص القرآني ، مقاربا الواقع الاجتماعي للمسلمين وفق ما يقبله العقل و يصادق عليه النقل من السنة النبوية.

- وعليه فإنه يمكن اعتماد أسلوب الغزالي الجديد في مقارنة النص القرآني للواقع الاجتماعي منهاجا تربويا لفهم القرآن الكريم مسائرا المتطلبات النهضة الحديثة .

ثالثا :أهمية الموضوع

أولاً: تأتي أهمية هذه الدراسة كونها:

- مقارنة تحليلية للفكر التربوي الإسلامي والتربية عامة من خلال القرآن والسنة، والذان يعتبران مصدر قيم المسلمين وأخلاقهم وكذا ضبط سلوكهم وتوجيههم ، نحو التأمل والتدبر لاكتشاف المجهول والبحث فيهما عن مقومات التأقلم مع الواقع المتجدد.

ثانياً: تعد محاولة جديدة لقراءة أبعاد التربية عبر الفكر التربوي الإسلامي المعاصر من خلال آراء المفكرين والعلماء بعد حالة التأزم والانشطار والتشرذم التي يعاني منها المجتمع العربي، الآن في مختلف مستوياتها النفسية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والأمنية والتي ترتبط أسبابها ارتباطا وثيقا بمخرجات التربية.

ثالثاً: كونها دراسة أكاديمية وإضافة معرفية تخوض في استظهار عوامل تقدم المجتمع العربي المسلم، التي تقوم أساسا على التربية، وتبحث عن أسس تسير بها التطور الحضاري مع الحفاظ عن ثوابت الهوية المستمدة من القرآن والسنة.

رابعاً: بذل في هذا الموضوع الكثير من الجهد للوقوف على أفاظ ومعاني التربية في ما أمكن من مطالعات لكتب، وخطب الشيخ محمد الغزالي، وكذا مقالاته ومقابلاته التي أثرى بها عالم الفكر الإسلامي لما يفوق الستين سنة من عمره، محاولا معالجة واقع المسلمين وتغيير حالتهم إلى الأفضل.

خامسا: يمكن أن تساهم دراستنا في توجيه القائمين على التربية للاستفادة من فكر محمد الغزالي، خاصة وأنها تربط بين رؤى وأحكام العقل وإبداعاته في استجلاء مثالب وأغوار التربية في القرآن الكريم وبين واقع المجتمع العربي الإسلامي، والذي يستدعي المرافقة والإصلاح المستمرين، بعد فشل التطبيقات والمناهج المستوردة من الغرب لإنقاذ التربية.

سادسا: كونها محاولة منا للكشف عن جوانب التربية في موروثنا الإسلامي، والتأصيل لها أمليين أن تكون خطوة ولبنة في بعث نظرية تربوية إسلامية.

رابعا : أسباب اختيار الموضوع

أ/ أسباب ذاتية:

- إن حبي لمدارسة وتلاوة القرآن الكريم ، وارتباطي به قراءة وتدبرا جعلني اهتم بكل ما ارتبط به من علوم، خاصة ما تعلق بالتربية.
- معاهدتي لقراءة القرآن وتحفيظه لأبنائي واتخاذهم كمشروع تربوي للأسرة.
- غيرتي على وطني وأمتي وتأسفي لما هي عليه من تأخر عن الركب الحضاري والعلمي بين الأمم دفعاني دفعا للبحث و اكتشاف عوامل هذا الترددي.
- تعلقي وإعجابي بشخصية الشيخ الغزالي وانجذابي وتأثري بأسلوبه الخطابى التربوي ، من خلال سماعي لدروسه المتلفزة في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، ثم اطلاعي على بعض مؤلفاته فيما بعد.

ب/ أسباب موضوعية:

- الدور الذي يؤديه الفكر التربوي الإسلامي ، كقوة مدافعة على الموروث الثقافى للأمة، وتميزه عن غيره في الحفاظ عن ثوابت الهوية العربية الإسلامية.
- الوسطية والاعتدال في أسلوب الشيخ محمد الغزالي ، انطلاقا من تفسير النص القرآني ومقاربة الفكر الإسلامي المعاصر من خلال القرآن والسنة النبوية الشريفة للفكر التربوي الحديث.
- تحرر فكر الغزالي وقراءته لمختلف قضايا العصر، ضمن رؤية شمولية تكاملية تخضع لميزان العقل، دون تعصب للدين، وتتماشى مع طموحات المسلمين في بلوغ الرقي الحضاري، ضمن القيم الإسلامية السمحة في بعدها الإنساني.
- الحاجة الماسة إلى إعادة مرجعة المواقف الفكرية، والاجتهاد في إيجاد تصور موحد قد يرقى إلى نظرية، من أجل مجابهة تحديات العصر والخروج بالأمة

العربية الإسلامية من حالة التأزم الفكري، والتبعية للأخر، إلى استقلالية الذات والتمكين لتموقع ومكانة متميزة بين الأمم.

خامسا : أهداف الموضوع

- إبراز محمد الغزالي كأحد أعمدة التجديد الإسلامي الرئيسية في هذا العصر، من خلال جهوده الذاتية في الفكر والدعوة والتربية.
 - الاطلاع على الأسس التي اعتمدها محمد الغزالي مرجعا لفكره التجديدي التربوي.
 - الكشف عن معالم الفكر التربوي من خلال البحث في مختلف مؤلفات محمد الغزالي، وخطبه الدعوية.
 - إبراز تكامل الفكر الإصلاحى التربوي عند محمد الغزالي ، من خلال أسلوبه في معالجة أبعاد التربية الممتدة في مختلف المجالات: الدينية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والصحية وكذا السياسية والأمنية.
 - إبراز شخصية الغزالي وتميزها عن باقي المصلحين بالشجاعة في إبداء الرأي والجرأة ، في الانتصار لقضية المرأة ، معتبرا إياها أساسا للتربية في المجتمع وفعاليتها تمتد إلى خارج منزلها.
 - تحديد وضبط الخصائص المميزة لفكر محمد الغزالي من حيث الجانب التربوي، وكذا التعرف على آرائه في قضايا اجتماعية ذات صلة بالتربية.
- قال يوسف القرضاوي: وأنا أتهيب الكتابة عن الأئمة والمصلحين الكبار وخصوصا بعدما سمعت الشيخ محمد الغزالي مرة يقول: لا يكتب عن الأئمة إلا إمام..ومن لي بالإمامة أو العبقرية حتى اكتب عن إمام وعبقري مثل الغزالي؟.
- ومن باب الاعتراف بحق الرجل على الأمة الإسلامية رأيت من واجبي إبراز معالم منهج الرجل، كونه وهب حياته لخدمة الإسلام، وهو ادني الاعتراف بالجميل فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

سادسا : تحديد مفاهيم الدراسة

التربية:

التربية لغة: التنمية والزيادة والتطوير والتحسين وقد جاء هذا المعنى في قول العرب (ربا، يربو، بمعنى زاد ونمى) ومعنى النشوء والترعرع. وقد جاء على قول العرب ربي على وزن رضي، ومعنى أصلح الشيء وعالجه حتى يتم إصلاحه . (أبو مصلح عدنان، 2010، 79).

تعريف آخر للتربية:

التربية عند العرب تفيد السياسة، والقيادة والتنمية، وكان فلاسفة العرب يسمون هذا الفن "سياسة" كما هو معروف عن ابن سينا مثلا في رسالته "سياسة الرجل أهله وولده"، وكان العرب يقولون عن الذي ينشئ الولد ويرعاه - المؤدب - والمهذب والمربي، والمعلم، وغير أن لفظة المؤدب أشيع، لأنها تفيد الرياضة والسياسة، وتدل على العلم والأخلاق معا. (الاهواني، 1959، 39، 40).

التربية اصطلاحا:

هي مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقاءه، وتعني الوقت نفسه التجدد المستمر، لهذا التراث، وأيضا للأفراد الذين يحملونه، فهي عملية نمو وليست لها غاية إلا المزيد من النمو، إنها الحياة نفسها بنموها وتجددها. (عبد الله الرشدان ، 2002، 10).

وتعد التربية علما لكونها حقائق منظمة قائمة على التجارب المتعددة ليصبح الإنسان عضوا صالحا في المجتمع، وأن هدف العملية التربوية هو تغير الفرد حتى ينمو ويتغير ويتطور سلوكه ومن ثمة يستطيع أن يسهم في تغيير وتطوير مجتمعه.

(الدعيلج إبراهيم، 2007، 31)

وهي تهذيب ملكات النفس العقلية والأخلاقية الكامنة فيها هدايتها لأن تؤدي وظيفتها التي خلقت لها، وتهيئها إلى إتباع قوانينها في مدارج الكمال. (سعيد إسماعيل علي، 2002، 134).

التربية عند محمد الغزالي: يرى الغزالي أن التربية هي التزكية، والتزكية هي البحث عن كل عيب في النفس الإنسانية، ووقفه واجتثاث جذوره، ثم يجيء بعد هذا تكميل النفس الإنسانية بالكمالات الإنسانية. (لطيفة الكندي، بدر ملك، 2005، 34).

وفي كتابه صيحة التحذير من دعاة التنصير بالتأكيد على أن التربية نشاط شعبي قبل كل شيء، ولابد من تغيير التقاليد السيئة والأوهام الشائعة.

(محمد الغزالي، صيحة التحذير، 25، 24، 2000)

كما يرى الغزالي أن: التربية المنشودة ليست دروسا تلقى، إنما هي جو يصنع، وإيحاء يغزو الأرواح باليقين الحي والعزيمة الصادقة. (محمد الغزالي، نظرات في القرآن، 94، 2002).

التربية عند جون ديوي:

تتلخص نظرية التربية كما صورها في عقيدته في الأمور الآتية:

1- إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري، وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة.

2- تتم هذه التربية لاشعوريا، عن طريق المحاكاة، بحكم وجود الفرد في المجتمع، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر.

3- التربية المقصودة، تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى، فالتربية ثمرة علمين هامين، هما علم النفس وعلم الاجتماع. (الاهواني، 41، 1959).

تعريف إجرائي:

وخلاصة مفهوم التربية أنها عملية تهدف إلى إصلاح الفرد وتنشئته على مبادئ أخلاقية، مستمدة من القرآن والسنة، وهي عملية نماء مستمرة تستهدف الروح والقلب والعقل والجسد ليرقى الفرد إلى درجة من الكمال في كنف الأبعاد الإسلامية السمحة.

الفكر:

هو جملة الأفكار والآراء و النظريات التي تعبر عن رؤية الإنسان للحياة والعالم ومعروف إن هذه المبادئ والأفكار والمفاهيم والآليات ليست فطرية، ولا غريزية بقدر ما هي مكتسبة، يكتسبها الإنسان نتيجة احتكاكه بمحيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي.

(الجابري، 69، 1984).

الفكر التربوي:

يعرف الفكر التربوي بأنه عبارة عن جزء من فكر إنساني مبدع يتسم بالديناميكية والتطور المستمر في ميدان التربية، ويستند إلى تاريخ المجتمع وفلسفته وثقافته وصفاته وحاجاته. (شريف مصطفى، 39، 1990).

الفكر الإسلامي:

هو واحد من المصطلحات الحديثة، والتي لم ترد في كتب السابقين، وقد شاع هذا الاصطلاح للدلالة على كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكا. (محسن عبد الحميد، 45، 2006)

الفكر التربوي الإسلامي: جملة من المفاهيم، والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة و الاجتهاد والموافقة لروح الإسلام من خلال أعمال العقل. (ابودف محمود خليل، 11، 2003)

الفكر الإسلامي الحديث:

هو فكر اعتنى بإشكالية النهوض والتقدم والتنمية في العالم العربي الإسلامي، واطهر تقدما في مجال الأفكار وفي الرؤى التي عبر عنها في ميادين الاجتماع، والسياسة والقانون، والدستور، وارتبط بواقع المجتمع والدولة بصورة وثيقة. (زكي الميلاد، 22، 2001).

الفكر الإسلامي المعاصر:

هو الفكر الذي تمحورت اشكاليته الأساسية حول الهوية ومقتضياتها وأساليب ووسائل حفظها، وأحاطت به ظروف من الانكماش والانغلاق، وكان ارتباطه بالواقع هامشيا ويفتقد للقدرة والحقيقة للتأثير عليه، تعامل مع بعض القضايا والأفكار بصورة جدلية وسجالية. (زكي الميلاد، 25، 2001).

التغيير:

لعل من التعاريف الأقرب لدراستنا هو مفهوم التغيير كعملية مقصودة تتم وفق بواعث ومبررات ووسائل شرعية للوصول إلى أهداف ونتائج تعكس المبادئ ويكون من نتائجه إحداث مواقف جديدة وبرؤية وجوانب أعمق وأوسع للأحداث. (سعيد جودت، 7، 1989).

النهضة:

أراء فكرية تستهدف تغيير سلوكات موروثة راکدة لا تتماشى مع آليات التطور، وهي حركة فكرية عامة، تهدف إلى إيجاد عوامل التقدم والازدهار في كنف متغيرات العصر

مع الحفاظ على الأصالة التي تميز الهوية عن الآخر، دون التماهي تحت قيمه، وهي شاملة واسعة الأفق متعددة الأبعاد.

النظرية التربوية الإسلامية:

هي مجموعة مترابطة من المبادئ والقواعد والمفاهيم التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، تكون الأساس المتين الذي يقوم عليه بناء تربوي صالح.

(التوم، 32، 1981)

تعريف آخر للنظرية التربوية الإسلامية:

ولعله الأقرب إلى دراستنا: حيث تعرف على أنها:

نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات، والمهارات الإنسانية المتغيرة، نابع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، يهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة كماله التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله.

(مدكور، 1427هـ، 41)

سابعا : المنهج المتبع في دراسة البحث

انطلاقاً من أهمية موضوع الدراسة وعلاقته الوطيدة بتطور المجتمع واستمراريته، فقد حاولت استعمال مناهج متعددة للإلمام بالمادة المعرفية، والتحكم في معالجتها تماشياً وأهداف البحث.

1. المنهج الوصفي التحليلي:

من خلال رصد أهم الآراء المتعلقة بالبحث، والتي تعكس بصورة عامة فكر الغزالي وتوجهاته المرتبطة بالتربية.

وهو منهج يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم تفسيرها وتحليل محتواها من الناحية الكيفية، وتصنيفها للوصول إلى الدروس والعبر المستفادة.

(ابودف، 15، 2007)

2. المنهج الاستقرائي:

و من قواعد المنهج الاستقرائي أنه يبدأ بالجزئيات ليصل إلى الكليات، أي يبدأ بالتحقيق عن طريق الملاحظة و التجريب والتحكم في المتغيرات ليصل إلى نتائج تصاغ في شكل نظريات تفسيرية تفسر الظاهرة ، و قوانين تحكيمية تحكم الظاهرة، و يحتكم إليها الباحثون في تفسير و تحليل و تعليل و البرهنة على العلة و المعلول في مختلف

الظواهر. (رشيد زرواتي، 2002، 119)

3. المنهج النقدي: وكان مهماً في تقويم و نقد الاجتهادات، و الآراء التي رأيت أنها جانبت الصواب في اعتقادي و يتضح تطبيقه في الفصل الخامس وفي خاتمة البحث .

4. منهج السير الذاتية والمنهج البيوغرافي :

والذي يعتبره - فضيل دليو- قائلاً: "قد يكون مدخلا مهما لفهم الحياة الاجتماعية وخدمة البشر، من خلال الإفادة من سير الآخرين، خاصة إذا توخينا الصواب والمصادقية منهجا. إن هذا المنهج يمكننا من التحكم شبه الكلي في المتغيرات التي تفسر سلوك الفرد، داخل جماعته الأولية، ويمكن هذا التحكم ليس فقط عن طريق الترجمة الذاتية لسيرة حياة الكاتب الذاتية، بل يمكن تكملة ذلك بتصريحات الأشخاص المكونين لمحيطه الاجتماعي المباشر باستعمال السير الذاتية المتقاطعة، وهو يغنينا عن جل البيانات المحتملة التي يمكن تحصيلها عن طريق الاستبيان والمقابلة أو أي تقنية ميدانية أخرى.

(فضيل دليو، مجلة العلوم الاجتماعية، 1999)

ثامنا : حدود الدراسة

تعتبر كل المراجع التي تم استخدامها في البحث من كتب ومقالات مختلفة حول الفكر التربوي عبر التاريخ، والفكر التربوي الإسلامي المعاصر، حدودا لدراستنا ونخص بالذكر مختلف الكتب التي تحصلنا عليها للشيخ محمد الغزالي ذات الاهتمام بالجانب الفكري التربوي، وكذا محاضراته التي تناولت جوانب عديدة ومهمة في حياة الإنسان المسلم في حدود ما يخدم القضايا التربوية.

تاسعا : الدراسات السابقة

1/ بعض الدراسات السابقة التي تناولت فكر الشيخ محمد الغزالي

أ - منهج الشيخ محمد الغزالي في تعامله مع القرآن

وهو عبارة عن بحث دكتوراه في العلوم الإسلامية للباحث: **يونس ملال**، وقد استفاد فيها الطالب بعدما تطرق لشرح الأسلوب المتميز والحديث للشيخ محمد الغزالي في تفسيره للقرآن، هذا التفسير الموضوعي المستند على العقل كآلية للتحكيم والترجيح، والذي يعد منهجا حديثا حيث:

يعتمد منهجه على الجمع والتركيب والسياق والاتساق والنص والواقع، فيعتمد على جمع المعاني المختلفة في الموضوع القرآني الواحد، ويبحث عن الروابط الدقيقة والخفية التي تؤلف بين أجزاء السورة الواحدة.

- قسم الباحث دراسته إلى ستة فصول:

الفصل الأول: تناول فيه حياة محمد الغزالي وتعليمه وبيئته الاجتماعية.

الفصل الثاني: تناول فيه منحى تطور علم التفسير من الازدهار إلى الركود إلى الانبعاث من جديد.

الفصل الثالث: شرح فيه حقيقة التفسير الموضوعي وبين اتجاهات العلماء فيه، مرجحاً رأي الغزالي.

الفصل الرابع: ناقش فيه الإشكالات والصعوبات التي تعرض لها التفسير الموضوعي.

الفصل الخامس: ركز فيه الباحث عن القواعد العلمية والأخلاقية المشتركة في التفسير الموضوعي وبين غيره من أنواع التفسير.

الفصل السادس: من بين ما قدم فيه نماذج لموضوعات تطبيقية وجزئية وكلية عرضها الشيخ محمد الغزالي ، تتعلق بالعلوم الكونية وعلاقة المسلمين بها في فهم الشيخ وكذا طبيعة الإنسان في القرآن، ليخرج الباحث في نهاية بحثه بخاتمة للموضوع، مقترحاً الاستفاضة فيه من طرف غيره من الباحثين.

ب - الوسطية والاعتدال في المنهج الدعوي عند الشيخ محمد الغزالي

رسالة ماجستير للباحث : نور الدين من رابع أعزير.

هي دراسة اعتمد فيها الباحث المنهج الإستردادي، أو المنهج التاريخي

- بعد التعرض لحياة الغزالي، وشرح لمختلف مفاهيم البحث مركزاً مفهومي الوسطية والاعتدال كميزين لمنهج الدعوة والأسلوب المائل للدعاية.

- تطرق إلى النظرة التكاملية والشاملة للإسلام من طرف الشيخ محمد الغزالي، انطلاقاً من ثقافته التي استمدتها من جميع العلوم، مسترسلاً في تميزه في النقد اللاذع البناء المستند على الشواهد من القرآن الكريم والسنة.

- ثم أتم الباحث دراسته بعرضه لرؤية الغزالي المتوازنة حول مختلف القضايا الفقهية المعاصرة.

ج - الدين والسياسة في خطاب محمد الغزالي

بحث للدكتور: مفلح بن عبد الله.

دراسة أكاديمية، تناول فيها الباحث أبعاد الخطاب التجديدي الإصلاحية لمحمد الغزالي.

- بعد عرض الباحث لحياة الغزالي، ناقش مسألة التدين المغلوط الذي كان سببا في انهيار الحضارة الإسلامية، حسبه كاشفا عن أسبابه والحلول التي قدمها الغزالي لذلك مبينا دعوة الغزالي للتحرر الفكري والمساواة بين المرأة والرجل في مناقشة الدين والسياسة في خطاب الغزالي ، وكذا الديمقراطية والحريات، وأهم العناصر المتعلقة بذلك.

د - تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي

دراسة أكاديمية للباحثين: لطيفة الكندي و ملك بدر.

هو بحث أكاديمي تعرض فيه الباحثان بعمق لمكانة وتربية المرأة في فكر الغزالي مسلطان الضوء على الجوانب المختلفة في مؤلفاته للإحاطة بهذا الموضوع، وهما باحثان متمرسان معروفين باجتهادهما في مسائل التربية حيث قسما بحثهما إلى أربعة محاور بالإضافة إلى الجانب المنهجي الذي تضمن كذلك نبذة عن حياة الغزالي.

- **المحور الأول:** وتطرقا فيه إلى مختلف الألفاظ والمعاني الخاصة بالتربية في مؤلفات الغزالي.

- **المحور الثاني:** تطرقا فيه إلى المنطلقات الفكرية للشيخ محمد الغزالي في تربية المرأة.

- **المحور الثالث:** وتضمن مواقف الغزالي وردوده عن نقد الداعين إلى مكوث المرأة بالبيت وانشغالها بتربية الأولاد فقط.

هـ - فكر محمد الغزالي ودوره في التجديد التربوي

للباحث: يبير محمد - دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم التربية.

- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم علم النفس والأرطفونيا - جامعة الجزائر.

السنة الجامعية: 2010/2009.

وهو بحث مونوغرافي اهتم فيه الباحث بدراسة حالة اختار من خلالها شخصية محمد الغزالي كمجدد في الفكر والإصلاح والتربية والدعوة.

طبيعة الدراسة: دراسة نظرية ذات أبعاد كيفية.

منهج الدراسة: منهج تاريخي.

جاء البحث في أربعة فصول:

- **الفصل الأول:** فصل منهجي.

- **الفصل الثاني:** محمد الغزالي، الرجل والحياة والفكر.

- **الفصل الثالث:** مناهج التفكير ومناهج التربية كما يراها الغزالي.

- الفصل الرابع: مظاهر التجديد من خلال آراء الغزالي في كتبه ومؤلفاته.

التعليق على الدراسات السابقة:

اتفق الباحثون وان اختلفت اهتماماتهم في أن الشيخ محمد الغزالي رجل فكر وإصلاح باقتدار، فهو من جهاذة العصر الحديث وفحول العلماء وروادهم العلماء الذين دافعوا دفاعا مستميتا على القضايا الإسلامية للأمة، وتميز عن كثير منهم ببصيرة ثاقبة واجتهاد حثيث عن الحق من خلال مواقفه وكتاباتته، وأسلوبه التجديدي وتفتحته على مختلف القضايا العادلة في العالم وكذا اعتباره شخصية موسوعية لغزارة علمه وسعة اطلاعه.

2/ نماذج لدراسات حول التربية في الفكر الإسلامي المعاصر

الدراسة الأولى:

معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن:

- دراسة أكاديمية، لمحمد خليل أبو دف.

- تعرض من خلالها الباحث لخصائص المنهج الإسلامي كما يراها سيد قطب من خلال تفسيره لظلال القرآن، مبرزاً مفهومه للطبيعة الإنسانية والكون، وتصوره العام للقيم، وكذا نظرتة لآليات التغيير الاجتماعي والثقافي.

- ابرز أهم آرائه حول الأسرة المسلمة كوسيط تربوي وتربية الجماعة المسلمة عامة.

الدراسة الثانية:

الفكر التربوي عند مالك بن نبي:

للباحث: العابد ميهوب، دراسة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم اجتماع التربية، جامعة بسكرة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2014/2013 وهي معركة قلمية خاضها الباحث لكشف أغوار التربية عبر مؤلفات أحد أعمدة ودعاة النهضة والإصلاح العربي الإسلامي مالك بن نبي.

- اعتمد الباحث فيها على المنهج التحليلي الاستنباطي كآلية لتحليل المادة المعرفية لكشف المتغيرات ذات العلاقة بالتربية والثقافة والحضارة في بعدها الإنساني، حيث:

- عالج مفهوم التربية من حيث كونها - عملية تثقيف متواصلة ذات صيغ ودلالات ومعاني مختلفة ومتباينة.

- أكد الباحث على مركزية نظرية الدورة الحضارية في المشروع التربوي عند مالك بن نبي بوصفها الإطار الكلي المفسر لظاهرة البناء والسقوط الحضاري، متوصلا من هذه الأبعاد وما انشق عنها من مفاهيم عالجهما الباحث في تسعة فصول جاءت كالآتي:

الفصل الأول: فصل منهجي تطرق فيه الباحث إلى إشكالية موضوعه، وما تبعها من عناصر منهجية مقدما خلاصته لهذا الفصل تضمنت استفادته من منهجية المعالجة للدراسات السابقة.

الفصل الثاني: تطرق فيه للعوامل التربوية والاجتماعية والثقافية المؤثرة في تكوين فكر مالك بن نبي.

الفصل الثالث: وقد تعرض فيه للأسس الطبيعية التي قام عليها فكر مالك بن نبي (الإنسان والمجتمع، والمعرفة).

الفصل الرابع: تناول فيه بعد التربية لنظرية الدورة الحضارية عند مالك بن نبي.

الفصل الخامس: وتطرق فيه إلى معالجة مفهوم التربية من حيث الماهية، والأهداف والأبعاد.

الفصل السادس: تناول فيه التربية الاجتماعية من حيث:

المفهوم، الشروط القواعد، والمبادئ، الأسس.

الفصل السابع: تطرق فيه إلى التربية الأخلاقية وعلاقتها ببناء الحضارة.

الفصل الثامن: تناول فيه البعد التربوي للمشروع التنموي عند مالك بن نبي. وناقش فيه مجموعة من القضايا تتعلق بأسباب ومظاهر التخلف، ثم أسباب ومقومات النهضة عند مالك بن نبي.

الفصل التاسع: حوصل فيه خاتمة وتقييم للنتائج.

الدراسة الثالثة: الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين.

- عبد الحميد بن باديس نموذجا -

وهي رسالة للباحث: **سمير نعموني** مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي

- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، الجزائر -2- السنة الجامعية

2012/2011.

- أحاط فيها الباحث بمتغيرات البحث مركزا على المجهودات التربوية - للشيخ عبد

الحميد بن باديس - متنقلا عبر الفصول من الخاص إلى العام، مقسما بحثه إلى:

- الفصل الأول: متعلق بتحديد الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة خاتما إياه بمقاربات نظرية.

الفصل الثاني: عرض فيه لمحة تاريخية عن تطور الفكر التربوي عبر التاريخ.

الفصل الثالث: خصصه لجمعية العلماء المسلمين أهدافها ووسائلها ونشاطاتها.

الفصل الرابع: خصصه الباحث لحياة وفكر عبد الحميد بن باديس.

الفصل الخامس: ابرز فيه مناهج دراسته بالجانب الميداني.

الفصل السادس: خصصه للتحليل والتعليق على المقابلات التي أجراها مع عينة البحث.

الفصل السابع: خصصه لتحليل محتوى كتاب مجالس التذكير من كلام البشير لابن باديس.

تعليق واستفادة من الاطلاع على الدراسات السابقة:

قسمنا هذه الجزئية من حيث البحث إلى جزأين:

أولاً:

دراسات تتعلق بفكر الشيخ محمد الغزالي نفسه ، بمختلف توجهاتها العقديّة والدعوية والسياسية والتربوية وكذا الإصلاحية والتجديدية:

أ- ففي دراسة منهج الشيخ محمد الغزالي في تعامله مع القرآن، للباحث يونس ملال انصبت دراسة الباحث حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم من قبل الغزالي، وإشادته للشيخ في زيادة هذا الأسلوب حاول الإحاطة بالمنهج الموضوعي في التفسير، مناقشا آراء المخالفين والرد على شبهاتهم، دون أن يقوم بعرض للتفسير الموضوعي عند المدرسة القديمة، ومقارنته بالمدرسة الحديثة عموماً، كما لم يستفيض الباحث في المجال الفكري التربوي الذي يعيننا في الدراسة.

ب- في دراسة الوسطية والاعتدال في المنهج الدعوي عند الشيخ محمد الغزالي للباحث: نور الدين بن رابح أعزيز.

ركز فيها الباحث على منهج الدعوة ووسائلها وذكر مميزات الداعية كما يراها الغزالي، ودور كل من فن الخطابة وأسلوب التأثير من اجل استمالة وكسب عقل القارئ والسامع أو المتتبع عبر التفاز، قصد إخراجهم من حالة الكبت والانكفاء عن الذات وتحريير أفكاره ليتدبر ويتفكر في رسالته التي خلق من أجلها في الحياة، مركزاً على وجوب إتباع الوسطية والاعتدال في النظرة التكاملية والشاملة للإسلام وشرائعه، فهي

رؤية تميز أسلوب الغزالي وفكره عن كثير من المفكرين في العصر الحديث، حاثا على وجوب اعتماد النصوص القرآنية الداعية إلى الطمأنينة والسلام في كنف البعد الإنساني مع احترام القيم السمحة للإسلام.

لم تخلو دراسة الباحث لكثير من النقد المناوئ لفكر الشيخ الغزالي، دون أن يتعرض لنقد آراء الشيخ الغزالي نفسه، فمهما بلغت من النضج، فهي في الأخير محاولات بشرية تستدعي إعادة القراءة من زوايا مختلفة قد لا تخلوا من النقص أو القصور.

ج: جاءت الدراسة الثالثة للباحث: **مفلاح بن عبد الله**، مركزة على المحطات السياسية التي عاشها الغزالي وفترة حياته في السجن وكذا ردوده على معارضي فكره من الدعاة ورجال السياسة وموقفه من علاقة الدين بالسياسة، ثم الديمقراطية في منظور الغزالي، وهذه جوانب أخرى مكننا الاطلاع عليها من معرفة مكونات شخصية الشيخ محمد الغزالي.

د: يعد البحث الذي قاما به: **لطيفة الكندي ومالك بدر**: الدراسة الوحيدة التي ركزت أساسا على متغير التربية في فكر الغزالي وان خصصها الباحثان حول تربية المرأة ومكانتها ودورها في المجتمع رؤية للشيخ محمد الغزالي، حيث ذهب الباحثان إلى أن التربية عملية عميقة نابغة من السياق الثقافي العام للمجتمع العربي المسلم، وقد أشار الباحثان إلى أن النهضة كما يراها الغزالي لا يمكن لها بمجتمعنا إلا بتنقيف الأفراد، وهي عملية تقوم على عائق الدعاة الذين يمتلكون كفاءة ومهارة وتكوين عال المستوى لكي يكون صدئ التأثير واسعا وشاملا لكافة شرائح المجتمع، ويجدر للتربية في النفوس والقيم.

هـ: فيما يتعلق بدراسة الباحث: **يبرير محمد** فقد كانت دراسة عامة للفكر التجديدي والتربوي، غمرها بكثير من أقوال وآراء الشيخ الغزالي التي تعكس فكره في مختلف القضايا، وان دلت على سعة اطلاعه على مؤلفات الغزالي، واستخلاص الفقرات، الدالة منها على الطابع الفكري للشيخ الغزالي ، إلا أنها طغت على محاور البحث حتى كادت أن تغيب شخصية الباحث في المعالجة.

ثانيا:

دراسات تناولت الفكر التربوي الإسلامي لمختلف مفكري العصر:

وهي خطوة أردنا من خلالها الاطلاع على المنهج الذي تناوله هؤلاء المفكرون في معالجة قضية التربية كمعطى تقوم عليه الأمة، وتستعيد نهضتها وحضارتها الإسلامية، ومتغير متعدد الجوانب وان اختلفت فيه أساليب المعالجة لهؤلاء المفكرين والمصلحين فان منطلقاتهم ثابتة تعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية أساسا.

لقد حاولنا إجراء مقارنة سوسولوجية من خلال اطلاعنا على ما ذهب إليه هؤلاء وما قدمه الشيخ محمد الغزالي حول التربية وأبعادها، في ثنايا المجتمع كما سنحت لنا هذه المطالعة على التعرف لمختلف المناهج المعتمدة في دراساتهم ، مما أفادنا في البحث بدءا من:

الدراسة الأولى : التي استخدم فيها الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمده الباحث للوقوف على الأفكار التربوية التي تضمنها تفسير- في ظلال القرآن- لسيد قطب.

الدراسة الثانية: استخدم فيها الباحث - ميهوب العابد- المنهج التحليلي الاستنباطي لاستجلاء معالم التربية عند المفكر والمصلح مالك بن نبي.

الدراسة الثالثة: والتي استخدم فيها الباحث سمير نعموني- عدة مناهج كالمناهج التاريخية والمنهج الوصفي والمنهج المقارن ومنهج تحليل المضمون.

وان اختلفت المناهج في المواضيع التي اطلعنا عليها أو تقاربت في هذه الدراسات إلا إن ملامح ومنهجية تقسيم البحوث لم تخرج عن المألوف والمتعاهد عليه في تصميم البحوث أكاديميا.

وتراوح الاختلاف من حيث عدد الفصول وأسلوب المعالجة على ضوء ما تناولناه فيما يبدو.

مصادر ومراجع الفصل الأول :

- 1- ابودف محمود خليل، معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، عدد2، 2003.
- 2- ابودف محمود خليل، مقدمة في التربية الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة2007.
- 3- أبو مصلح عدنان، معجم علم الاجتماع، ط1، دار أسامة، الأردن.
- 4- احمد فؤاد الالهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، ط1959، 3.
- 5- التوم بشير حاج، تأصيل تربية المعلم، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، 1981.
- 6- الدعيلج إبراهيم عبد العزيز، التربية، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 2005.
- 7- الرشيدان عبد الله، المدخل إلى التربية والتعليم، ط2 ، دار الشروق ، عمان، 2002.
- 8- العميرة محمد حسن، الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2000.
- 9- الميلاد زكي، الفكر الإسلامي، تطورات ومساراته المعاصرة، دار الهدى للصناعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.
- 10- جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ط8، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1989.
- 11- خياط محمد، التحدي الإعلامي في مجال التربية، دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلون، العدد الأول 1996.
- 12- رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، ط1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2002 .
- 13- زيغور شفيق، الفكر التربوي عند العموي، دار اقرأ، بيروت، لبنان 1986 .
- 14- سعيد إسماعيل علي، نشأة الفكر التربوي وتطوره، عالم الكتب، القاهرة، 2002.
- 15- لطيفة الكندري، ملك بدر، تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي، مكتبة بستان المعرفة ، ط1، دمشق، سوريا، 2005.
- 16- محمد الغزالي، صيحة التحذير من دعاة التنصير، دار القلم، ط1، دمشق سوريا، 2000
- 17- محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، دار الهادي للطباعة والنشر ، ط1، بيروت، لبنان، 2006.
- 18- مدكور علي احمد، نظريات المنهج التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1427هـ.

19- مفلح بن عبد الله ، الدين و السياسة في خطاب محمد الغزالي ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012.

20- نور الدين بن رابح أغريير

المجلات

1- الجابري محمد عابد، إشكالية الفكر العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، 1984، 69.

2- دليو فضيل، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 27، عدد، 1999، 2.

[http:// www.forum.ok-eg.com/php?print=1&id=1927/2](http://www.forum.ok-eg.com/php?print=1&id=1927/2)

3- مصطفى شريف، الفكر التربوي الإسلامي، مجلة المعلم الطالب، دائرة التربية والتعليم الاونروا، عمان، الأردن، 1990.

الفصل الثاني: التربية و المجتمع

تمهيد.

المبحث الأول: الإنسان و التربية

1/ الإنسان

2/ التربية

المبحث الثاني: المجتمع و أهمية القيم الاجتماعية في التنظيم الإسلامي.

أولاً: ماهية المجتمع.

ثانياً : أهمية القيم الاجتماعية في التنظيم الإسلامي.

تمهيد:

قال تعالى: ((③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿)) . (النساء:1)

نجد من هذا المنطلق أن المنتبغ من علماء الاجتماع، والانثروبولوجيا وغيرها من مختلف التخصصات المهمة بحياة البشرية، وتواجدها على أرض البسيطة ومهما اختلفت توجهاتهم الإيديولوجية، والدينية لا يختلفون في أن تطور المجتمعات وتكاثرها بدأ من زوج واحد، ذكر وأنثى، أي بداية مجتمع بسيط لا يرق عما يشبه أسرة نووية في عصرنا الحاضر، هذا الثنائي البدائي (المتكون من زوج وزوجة) انبثقت منه أفرادا وجماعات، فهو لم يرتبط ويتكامل ويضمن وجوده لولا آلية علاقته، وعملية حيوية تجعلنا نسلم بأنها هي التربية بمختلف أشكالها ومضامينها، المقصودة وغير المقصودة و لو انتقلنا في تصورنا إليها لعائنا جذور هذه التربية مع وجود هاته النواة البشرية التي كانت تعيش وفق فطرة الخالق، التي من بينها السعي وراء تلبية وإشباع الحاجات الأولية،مما يوصلنا إلى كثير من المفاهيم الاجتماعية والثقافية والنفسية والتربوية والمترجمة عبر السلوك والشعور وصقلتها تكاليف الحياة آنذاك، من خلال التجربة وحب الاكتشاف .

إن هذا الموقف من زاوية تربوية، موقف تعليمي يدرّب فيه الإنسان فكره على التفكير كما يدرّب فيه أعضائه على حركات ومهارات، كما ترتبط نفسه بأشياء أشبعته وأنقذت حياته من الهلاك، وبأشخاص ساعدوه وشاركوه الرأي والمشقة في مواجهة مشكلاته لإشباع مطالبه وحاجاته.

المبحث الأول: الإنسان و التربية

1/ الإنسان

أولاً: ماهية الإنسان

تعيش الكائنات الحية على الأرض وفق نظام فطري يبثه فيها الخالق، لتضمن استمرارية حياتها وتواجدها عبر بني جنسها تسير عليه في دورة حياته ، تنتهي بفنائها وهي في ذلك لا تدرك سر ولا كنه وجودها، وإنما توجهها الغريزة في الغذاء والتكاثر وتختلف آلية التعايش لديها حسب خصوصية النوع والجنس ،والصنف كمجتمع الحشرات مثل : النمل و النحل وغيرها، والطيور والحيوانات الثديية كل على شاكلته، ولكن الدين الإسلامي وعبر القرآن الكريم بين بوضوح وجه المقارنة بين الإنسان، ومختلف هاته المخلوقات وعده كأمة أمثال الأمم التي ذكرنا ولكن ميزه وفضله عنها بالعقل ، إن هذا المخلوق الذي يعد أكمل نموذج اصطفاه الخالق وأخرجه في أفضل تقويم قال تعالى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين، 4-1)

أي أن الله يقسم بالمقدسات التي ذكرها أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأجمل شكل وأبهى منظر، تناسب في الأعضاء وتناسق في الخلق، وتوافق في القوام .

(عائض القرني ، 2007 ، 732)

أي أنه يشارك باقي الكائنات الحية من نبات وحيوان مزايا الحياة ،من نمو وتكاثر ويشترك معهم أيضا في مختلف الآليات الفيزيولوجية، من غذاء وهضم و إطراح، كما يشترك مع الحيوان في كثير من الأفعال اللا قصدية والموجهة، ولكنه يتميز عنها بأفعاله القصدية التي تخضع لإدراك العقل، وقوة الإرادة .

ومن الفروق الأساسية التي تميز الإنسان عن باقي الحيوان:

• الخلقة

فالفخلة الجسدية للإنسان منتصب القامة يمشي على رجلين، لا على أربعة وذلك ناتج عن تطور في شكل عموده الفقري، وتكوين القدمين وعضلات الظهر والفخذ والساقين الأمر الذي يجعل يديه حرتين يستخدمهما لما يريد في غير المشي.

• الذكاء

فبالذكاء ينظم الإنسان حياته الاجتماعية كما يستفيد من خبراته السابقة في مجابهة المواقف الجديدة في المحيط، وبالذكاء يستعمل الإنسان الآلة ويطورها.

• الاجتماعية

فاجتماعية الإنسان تبدأ في وحدة العائلة ثم تنمو إلى القبيلة ثم إلى المدينة ثم إلى الأمة فالدولة .

• اللغة

فالإنسان حين ينطق يحمل صوته معاني يقصدها هو، إن قابلية الإنسان على النطق المقترن بالفكر، والمطبق على حاجات الحياة، جعلته يخترع اللغة.

• الثقافة

هي نتاج حياة الإنسان، وهي أوسع بكثير من الثقافة الفكرية والعلمية، واللغة هي الوسيلة لحفظ هذه الثقافة والتعبير عنها في الحياة. (محمد فاضل الجمالي، 1967، 30.28)

• الجمالية والإبداع

فالإنسان ذواق لمختلف مواقع ومحطات الجمال جياش العاطفة والإحساس .

• الضمير الأخلاقي

الإنسان هو الحيوان المتميز بالضمير الأخلاقي،فهو يميز بين الخير والشر، ويتبع قواعد أخلاقية تخضع لوجدانه، وبالضمير الحي تنتظم العلاقات الاجتماعية ، وتراعي الحقوق وتحفظ الذمم.

• الحياة الروحية وهو ما سنأتي على شرحه لاحقاً.

وكدليل واضح وبيان ساطع لحقيقة الإنسان، وسبب تواجده واستخلافه للأرض، جاء القرآن بما لم يستطع علم الاجتماع الغربي، ومختلف العلوم الإنسانية الأخرى أن يثبتوه حول هذه الحقيقة بل قدموا مجموعة من التصورات النابعة من فلسفات اجتماعية كانت حصيلة لملاحظاتهم ، أعني فلاسفة الغرب عامة .

إن القرآن الكريم يقدم نظرة شاملة عن الإنسان، ويذكر أهم خصائصه الروحية والنفسية والاجتماعية، ويسوق مجموعة من المعلومات يراها ضرورية، لإنجاح مشروعه الذي يركز على بناء شخصية الفرد وضبط العلاقات بين الناس .

إن هذا الإنسان الذي حسن الله خلقته وأعدّه وجهزه بأفضل المعدات، وزاوج في تكوينه وخلقته بين مكونات الطين بالأرض، ونفخ فيه من روحه ليصبح بشراً سوياً، يتمتع بغريزة حيوانية موجهة عبر العقل، وتتنظم فيه الروح المبتوثة من الخالق هذه الغريزة بل تسمو به إلى صفات من الملائكة على هرمها العبادة، والإخلاص لله سبحانه وتعالى في جو من الأخلاق الروحية النورانية، عبر سياق عام هو الدين، لم يجهزه الله بكل هذا التجهيز إلا لهذه الغاية، غاية التعبد لجلاله .

قال تعالى ((﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ وَمَا أَسْمِعُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْلِهِ ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَن يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ ۖ فَاطْعِنْتُ ۖ أَفَلَا بَدْرًا تُبْصِرُونَ ﴿٥٦﴾)) (الذاريات، 56)

إذا هو مأمور ومكلف بالحفاظ على هذه المهمة كالجندي، الذي يواجه معركة الحياة بكل تكاليفها، بل كالمجاهد الذي يدافع عن قضيته التي آمن بها، فهو لا يبالي بما يدفع من نفس ونفيس، فكيف بهذه القضية عندما تكون هي الخالق الله عز وجل، إن إقبال الإنسان وقبوله لهذه المهمة لا يكون صادقا إلا إذا كان عن طواعية، وحب منه لأن الأمر يتعلق بالقلب فهو باطني الامتثال، قبل أن يترجم في سلوكه ومعاملاته مع الآخرين وهو بهذا يرتقي إلى أحباب الرحمن وعباده المخلصين، وهي درجة من الكمال والبعد الروحي لا ينالها إلا بعد الاجتهاد والمثابرة ، والحرص .

يقول صلاح فوال عباد الرحمن هم الذين يمثلون لأمر الله حتى يعبدوه وحده دون شريك.

قال تعالى:

((﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ وَمَا أَسْمِعُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْلِهِ ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَن يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ ۖ فَاطْعِنْتُ ۖ أَفَلَا بَدْرًا تُبْصِرُونَ ﴿٥٦﴾)) (الذاريات، 5)

وآية الوفاء بذلك العهد هي شكر الله من خلال عبادته، بإتباع شريعته التي احتوتها كتبه (فوال صلاح محمد، 1985، 364)

قال تعالى: ((﴿ ١٠ ١١ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ ٢٣ ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾ ﴿ ٢٦ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ ﴿ ٣٩ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ ﴿ ٤٥ ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ ﴿ ٤٧ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ ٥٠ ﴾ ﴿ ٥١ ﴾ ﴿ ٥٢ ﴾ ﴿ ٥٣ ﴾ ﴿ ٥٤ ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ ﴿ ٥٦ ﴾ ﴿ ٥٧ ﴾ ﴿ ٥٨ ﴾ ﴿ ٥٩ ﴾ ﴿ ٦٠ ﴾ ﴿ ٦١ ﴾ ﴿ ٦٢ ﴾ ﴿ ٦٣ ﴾ ﴿ ٦٤ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ ﴿ ٦٨ ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾ ﴿ ٧٢ ﴾ ﴿ ٧٣ ﴾ ﴿ ٧٤ ﴾ ﴿ ٧٥ ﴾ ﴿ ٧٦ ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ ﴿ ٧٩ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ ﴿ ٨١ ﴾ ﴿ ٨٢ ﴾ ﴿ ٨٣ ﴾ ﴿ ٨٤ ﴾ ﴿ ٨٥ ﴾ ﴿ ٨٦ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ ﴿ ٨٨ ﴾ ﴿ ٨٩ ﴾ ﴿ ٩٠ ﴾ ﴿ ٩١ ﴾ ﴿ ٩٢ ﴾ ﴿ ٩٣ ﴾ ﴿ ٩٤ ﴾ ﴿ ٩٥ ﴾ ﴿ ٩٦ ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾ ﴿ ٩٨ ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ ﴿ ١٠٠ ﴾)) . (سورة النمل : 15)

أي أن خاصية التفضيل شملت الإيمان والعلم كدرجة أعلى .

ثانياً: نشأة المجتمع

إن طبيعة بحثنا هذا تهتم بتربية المجتمع وتطور البشرية، وفق رؤية الفكر الإسلامي ولكي لا نحيد عن هذا المنحى لم نتطرق إلى الرؤية الغربية - بشكل موسع- و التي تعزو تشكل المجتمع ونشأته انطلاقاً من العقد الاجتماعي، الذي ظهر بعد التطورات السياسية التي حدثت في القرون الوسطى وشهدتها أوربا في القرن 15 م.

حيث: تم إبرام العقد ابتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي بين الملوك والرعية في الممتلكات الجرمانية، عقود الحكم مستوحاة من التقليد الفكري الروماني المتمثل في ضرورة الحصول على موافقة الجمهور، وفي موثيق العهد القديم المبرمة بين الله والشعب اليهودي، وبين الملك داوود ورعيته حيث ظهر العقد في نظريته السياسية في القرن الحادي عشر الميلادي من خلال النزاع (السياسي) بين الباباوات والملوك، إذ حول البابا لنفسه حق عزل أي ملك طاغ ومستبد، بحجة أنه نقض ميثاق الطاعة الذي أبرمه مع رعيته.

هذا العصر الذي عرف الإرهاصات الأولى لميلاد عصر التنوير، أين توالى الأحداث حتى القرن 17 من زمن بروز الفلاسفة الذين ناهضوا الكنيسة، والملوك على السيان حيث دعا كل من الانجليزي Hobbes والسويسري rousseau إلى مسلمة أن المجتمع أو بالأحرى الدولة ليست ظواهر طبيعية ولكنها تنشأ إثر قرار أنساني تعسفي تنتهي فيه الطبيعة عند حدود الفرد (...) ذلك انه قبل إنشاء المجتمع لم تكن العلاقات ترتكز على مبدأ الهيمنة ، بل كان الناس سواسية .

وهذا تأكيد منهم على أن خضوع الفرد إلى النظام الجماعي لم يكن مبنيا على الإرادة الإلهية وإنما نشأ إثر قرار تعسفي سيد وفق إتفاق مبرم بين أفراد أحرار .
 كما أننا لم نأخذ بالرأي المدعم لرؤية الرباط الاجتماعي، والتي خلصت في أحد توجهاتها إلى تساؤل دون جواب نهائي مقنع للجميع طرحه castoriadis في كتابه التأسيس الخيالي للمجتمع *l'institution imaginaire de la société* عن ما الذي يجعل المجتمع يشد بعضه بعضا (أي يكون متماسكا) ، ويجعل من القواعد (القانونية والأخلاقية) التي توجه سلوكيات الإنسان البالغ منسجمة مع دوافعه ، ليست أنها فقط متطابقة ولكنها أيضا جد متقاربة (وبصفة سرية) لنمط العمل والإنتاج ، وان كل ذلك يوافق البنية العائلية ، وشكل الرضاعة والفطام ، وتربية الأطفال ، وأن هناك بالفعل بنية محددة للشخصية الإنسانية ضمن هذه الثقافة (...). وأخيرا إن كل ذلك يتوافق والرؤية حول الكون، والدين، طريقة الأكل والرقص ؟ . (رشيد ميموني ، 169)

وكأن هذا التساؤل يحوي إجابة ضمنية ويفضي إلى حقيقة جوهرية تخضع إلى إرادة قوية وهندسة لا يستوعب كنهها الخيال ولا الفكر البشري، هندسة متناهية التنظيم في أبعادها الكبرى عبر الكون اللامتناهي ومستصغر الأشياء التي عجزت عن ملاحظتها أدق الاختراعات العلمية لا يمكن ملامستها أو إدراكها مهما اجتهد الفلاسفة والمفكرون والعلماء دون الرجوع إلى الهدي الذي وضعته هذه القوة وأرشدت إليه البشر حيث لا يمكن أن تكون إلا قوة خالق البشر، الله سبحانه وتعالى ، وحيث بين للناس حقيقته عبر رسله الذين لولاهم لما اهتدى الناس إليها ولما أدركوا سر وجودهم على هذه المعمورة فكيف تتضح الإجابة المفندة والحقيقة الدامغة عن كل تساؤلات هؤلاء عبر الفكر الإسلامي ؟ .

ثالثا : ديناميكية الرباط الاجتماعي في الإسلام

حاول علماء الاجتماع في بدايات القرن 19 وتزامنا مع نشأة هذا العلم الفتي البحث في مختلف قضايا المجتمع ، وفي مقدمتها سبب تواجد البشرية والمجتمع معتمدين على مناهج جديدة كالمناهج الوصفي التحليلي ، بعد تخلصهم من الأفكار الفلسفية والتأويلية وحتى الدينية ولكنهم لم يستطيعوا أن يتوصلوا إلى الحقيقة الثابتة، لتواجد الإنسان على الأرض لأن الأمر يستدعي الوقوف والاستدلال بمعرفة موضوعية ، لا يمكن أن تصدر إلا من خالق هذا الإنسان، فباعت محاولاتهم بالفشل كلما بحثوا في المصادر البعيدة عن

أقوال الرسل، والكتب السماوية المنزلة من السماء ، ونجد القرآن على غرار ما أنزل يوضح حقيقة تواجد الإنسان وسبب خلقه ، وكيف تطور وارتقي من أفراد إلى تنظيم جماعات على هذه الأرض.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَرَبُّكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لَهُ أَلِفٌ لَامٌ مُّؤَمَّلَةٌ لَيْسَ لَهُ كُفْؤًا سِوَا اللَّهِ الْوَاحِدِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (هود . 61)

ونجد من أهم معاني الاستعمار التكاثر في المال والولد، عندما نتناول الميثاق الذي أبرمه الله مع الإنسان وذكرنا بعض انعكاساته، لم يفتنا أن نشير إلى أنه سبقه أمر كوني ذي أهميه قصوى، وهو أن الله أحدث تغييرا عظيما في سلم الكائنات إذا وضع الإنسان على رأس المخلوقات كلها بعد أن نفخ فيه من روحه فجعله ذي طبيعة ثنائية " روحية ومادية "

إن المحافظة على هذا الاستعمار يتطلب الالتفاف حوله من الأفراد لحماية ما تم اكتسابه من نعم ، وفق آلية تمنع زوالها تتمثل هذه الآلية في الميثاق والعهد المشروط ، بين الخالق والبشر والذي يتمثل في العبادة الخالصة له، كما أن من مآثر وإيجابيات وحدة العبادة تجاه الخالق كونها بعد روحي ينجم عنه تكتل جماعي، بالإضافة إلى كونها توطيد علاقاتي لمختلف القرابات، حيث يقوى المجتمع المتشكل من الأسر ثم القبائل إلى أن يصل إلى دول وأمم يربطها البعد الروحي، كما تربطها مختلف القيم والتقاليد التي تساعد وتضمن متانة اللحمة، وتضمن استمرارية المجتمعات وتطورها، وكل اختلال في هذه القيم يؤدي حتما إلى اختلال في البنية الاجتماعية، وكثيرا ما أدى تفشي قيم سلبية إلى ذهاب مجتمعات بأكملها .

ولا أجل دليلا من أن البعد الديني والروحي يساهم في تكتل الأفراد والمجتمعات ويضمن الطمأنينة والاستقرار للرباط الاجتماعي بينهم، هو الواقع الاجتماعي للمجتمع العربي بالجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام، حيث كانت تسود لغة القوة والتشتت

والتشرذم لمختلف القبائل القاطنة هناك، كما كانت تسود مختلف القيم التي لا تحافظ على كرامة الإنسان، واحترام حقه في الحياة دون تمييز، أو تفرقة، وكيف انتقل ذلك المجتمع بعد مجيء الإسلام، هذا الدين الجديد الذي وجه المعايير والقيم الإنسانية إلى مسارها الصحيح واسترجع كرامة الإنسان التي سيطرت عنها النزوات، والرغبات الفردية وانتقل بالفرد من الهمجية وحب الذات، إلى مرتبة أرقى زواج فيها بين سمو الروح وحب الآخر بدل عدائيته، والتعاون معه بدل ازدرائه، فتحققت العدالة الاجتماعية وتغير مظهر الحياة إلى عالم جديد، لم يسد هذا الرباط الاجتماعي لولا تضافر وترابط عوامل جاء ذكرها في القرآن، تمثلت في الإيمان، والاستخلاف، والتكافل وغيرها من القيم والأخلاق .

قال تعالى: (())
 (())
 (الأنبياء، 16)

إن هذه الآية هي من بين الأدلة التي تبعث في الإنسان عامة بوادر الفكر، وإعمال العقل في العبرة والهدف من هاته الحياة، التي يفتح عليها الإنسان عينيه، وسرعان ما يغادرها دون أن يدرك متى وأين وكيف يغادرها، لا يمكن وصفها إلا بالقصيرة، فكيف لمن يملك هذا العقل الذي يعد أعظم معجزة للخالق، بثها في أعظم مخلوق، كيف أن يفوت الفرصة فينخدع بما خلق وسخر الله دون أن يتساءل عن سر وجوده، ومن أوجده؟ وما هي الواجبات تجاه من أوجده؟ مقابل هذا التفضيل الذي علا به على مختلف الخلق والكائنات . إن الدلائل كلها في القرآن الكريم تفيد بأنه:

كان الناس قبل إشراكهم بربهم على فطرة التوحيد ثم أغواهم الشيطان للإشراك بالله فأرسل الله الرسل يدعوهم إلى الإيمان، ويبشرون الطائع بالثواب والعاصي بالعقاب .

(عائض القرني، 47، 2007)

قال تعالى: (())
 (())
 (())



إن الإيمان هو الذي يجمع أفراد المجتمع المؤمنين على تصورات مشتركة وقيم عليا أمنوا بها عن قناعة وبرهان، إيماننا راسخا أتصف بالثبات والوضوح، كإيمانهم بالله الذي خلق الكون، وقدر على الناس الموت والحياة، وأرسل إليهم رسله، وقد أنزل عليهم شريعته وكتبه التي رسم فيها منهاج للحياة والتعامل وأمر الناس أن يلزموه، ثم يحشرهم إليه جميعا ليحاسبهم على أعمالهم .

رابعا: الطفولة وأهميتها البيولوجية والاجتماعية :

إذا اعتبرنا أن المجتمع مجموعة من الأفراد تجمعهم مجموعة من القيم، والأهداف والتصورات تقوي علاقاتهم، وتشد بعضهم ببعض عبر روابط متينة، تسهل سبل العيش بينهم وتدفعهم إلى تطوير حياتهم المعيشية، وفق احترام متبادل للحقوق والواجبات لكل فرد.

لذلك فإن وجود المجتمع متوقف على عملية النقل – هذه- وهذا النقل يتم بانتقال عادات العمل والتفكير والشعور من الكبار إلى الناشئين وبغير انتقال المثل العليا والآمال

والمهتمون مرحلة الطفولة في إطارها التربوي فقط، ظهرت الدراسات التي تثبت أن شخصية الطفل مستقلة وقائمة بمميزاتها، وخصوصيتها النفسية البيولوجية فقد اهتم علماء النفس بنمو الطفل وعوامله، والتطور والنضج العمري وخصائصه وكذا الفوارق الفردية كما بينوا أن للطفل حاجات يجب إشباعها لكي يضمن نموا سليما .

حاجات النمو للطفل :

1- حاجات النمو العقلي المعرفي:

أ- الحاجة إلى المعرفة والبحث والاستطلاع:

بما أن الطفل يميل إلى الحركة واللعب، وحب الاستطلاع، والمعرفة فيجب الاهتمام بهذه الحاجات من خلال توفير البيئة الغنية بالمتغيرات.

ب- الحاجة إلى تنمية المهارات العقلية :

يجب الاهتمام بهذه الحاجة من خلال الإكثار من التساؤلات التي تساعد على التذكر(...)، و تطوير تفكير الطفل وتشجيعه على ممارسة عملية التمييز بين

الأشياء (لونيس علي ، صحراوي عبد الله ، 2006،26)

وحسب ما جاء في معجم علم النفس والطب النفسي، ويعرف النمو العقلي بأنه :

الزيادة التدريجية في الوظيفة العقلية مع التقدم في العمر وعادة ما ينطبق هذا على الذكاء. (فتيحة مركوش، 2010، 121)

كما أثبت العلماء أن طفل الثالثة يمكن أن يدرك مدلول كلمة اليوم ثم الأمس، ويستطيع في الرابعة والخامسة أن يدرك شيئا من التسلسل الزمني للأحداث لكن في صورة بسيطة ومرتبطة بخبراته الحية.

2- حاجات النمو الجسمي الحركي:

الطفل يتحرك كثيرا ولا يجلس في مكان واحد يميل إلى اللعب الدائم وعدم الاستقرار والصعود والنزول، وهي حركات تنمي فيه الذكاء والخبرة بعد أن يكبر، أما الذي لا يتحرك ويجلس دائما وحيدا في أحد الأركان فهو غير سوي، وغالبا ما يصاب بعد ذلك بالانطواء والكبت والخوف والخجل نتيجة ذلك.

3- حاجات النمو الاجتماعي الأخلاقي:

كما يعرف النمو الاجتماعي بأنه: اكتساب الطفل للسلوك الاجتماعي من عادات وتقاليد وأنماط حياته وقيم ، ومعايير ، مما يساعد على التفاعل والعيش في انسجام بين أفراد ومجتمعه . (سعد جلال ، 59، 1979)

وهي مرحلة يدرك فيها الطفل مشاعر الآخرين من حوله تجاهه ، حيث يتأثر بتصرفاتهم ويصدر رد فعل تجاههم ، كجماعة الرفاق مثلا الذين يلعب معهم وأبناء الجيران، حيث يتفاعل مع أحدهم متضامنا معه أو مساعدا إياه في حمل أمتعة أو مدافعا عنه ضد خصم غريب عن الحي .

4- حاجات النمو النفسي الوجداني (الانفعالي):

نمو الانفعالات المختلفة ، وتطور ظهورها مثل الحب والكره والخوف وغيرها حيث ينمو السلوك الانفعالي في هذه المرحلة تدريجيا من ردود الأفعال العامة نحو سلوك

انفعالي خاص متمايز يرتبط بالظروف والمواقف والناس والأشياء.

وهنا يلاحظ أن الطفل في الشهور الأولى يميز بين ملامح وجه أمه أثناء الفرح أو الحزن ويستشعر لمسة عاطفتها ، ويتفاعل مع ابتسامتها ويتغذى بحنانها .

كما أثبت العلماء أن الأطفال يختلفون عن بعضهم البعض في شدة التعلق بالآخرين والتأثر بهم والتفاعل معهم ، وهذا يرجع لسببين :

الأول: يتصل بالخصائص التكوينية للوليد، حيث يختلف الأطفال في طبيعة المستوى الأمثل للاستشارة التي يحتاج إليها كل منهم، مع العلم أن هذه الخاصية ترتبط بالنضج وبالوراثة.

الثاني : يتصل بالعوامل المحيطة البيئية ، ومعنى ذلك أن الأشخاص المحيطين بالطفل يختلفون من حيث قدراتهم على سرعة ونوعية استئارة الطفل ومن ثمة يتعلم الطفل الأدوار والاتجاهات الاجتماعية والقيم. (حواشين مفيد ، حواشين زيدان ، 1996 ، 58)

وهنا يظهر تأثير دور جماعة الرفاق في تكوين وتميز شخصية الطفل ، حيث يكون هذا التفاعل متبادلا بينه وبين جماعة أقرانه أي يؤثر ويتأثر ، وطبعاً هذه المرحلة تأتي بعدما يتشبع الطفل من التربية الوالدية داخل البيت، وكذا الإخوة قبل أن يتعرف ويحتك بالوسط الخارجي عن الأسرة.

إن طفولة الإنسان أي اعتماده على رعاية والديه أو من يقوم مقامهما، هي أطول من أي طفولة أخرى في الكائنات الحية، فطفل الإنسان يولد كحيوان ضعيف، لا حول له ولا قوة سوى قوة الضعف التي يستند بها العطف من الوالدين، ويبقى الطفل رضيعاً لمدة سنتين تقريباً وهو في هذه المدة يحتاج إلى عناية الأم، وعطفها كضرورة للبقاء، ومن ثمة يبدأ بتعلم اللغة فالديبب فالمشي حتى يصبح صبيماً يافعاً.

نخلص إلى القول أن الرعاية الوالدية المسؤولة والمفعمة بالعطف، والحنان تكفل للطفل بداية انطلاقة سليمة، ونموا قوياً للاستمرار في الحياة .

2/ التربية

ماهية التربية:

أولاً: مفهوم التربية

تعد التربية علماً لكونها حقائق منظمة قائمة على التجارب المتعددة ليصبح الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع، وأن هدف العملية التربوية هو تغيير الفرد حتى ينمو ويتغير ويتطور سلوكه ومن ثم يستطيع أن يسهم في تغيير وتطوير مجتمعه.

(إبراهيم عبد العزيز ، 2007 ، 31)

ثانياً: خصائص العملية التربوية

تمتاز التربية بجملة من الخصائص نذكر منها :

- التربية عملية تفاعل أحد طرفيها الفرد والطرف الثاني المجتمع فيتم خلالها نقل الأنماط السلوكية عبر دراية بثقافة المجتمع . (عامر مصباح ، 2003 ، 39)
- فالفرد في تفاعله مع الأفراد والجماعة يأخذ ويعطي فيما يختص بالمعايير والأدوات الاجتماعية والقيم . (معن خليل عمر ، 1994 ، 84)

✓ التربية عملية مستمرة تبدأ من لحظة الخلق ، وتنتهي بنهاية الحياة

- هي عملية هادفة، عموما بمعنى أنه وإن كان صحيحا وجود تربية عفوية، وغير مقصود إليها، تحصل نتيجة لخوض تجربة ما، تترك في النظام النفسي أثر أو خلاصة، ويتجلى ذلك في تغيير سلوكي لاحق. (صلاح الدين شروخ ، 2008 ، 13)
- ✓ التربية عملية لا تقتصر فقط على الطفولة فالفرد يخضع لها منذ ولادته وتستمر معه حتى وفاته، فهي عملية لا يمكن تجاوزها أو إنكارها في أي مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد .
- ✓ التربية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن جيل إلى آخر فهي تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات وتساهم فيها عدة مؤسسات.
- ✓ هي عملية نقل للحضارة والقيم الحضارية للمجتمع ، والمحافظة عليها من الاندثار أو التغلب على قيم حضارية أخرى وغزوها، ويظهر هذا فيما يعرض في وسائل الإعلام أي أنها نقل للقوى الحضارية.
- ✓ إنها عملية غايتها موجودة في أحد الطرفين وهو يمارس عمله بالنسبة للطرف الآخر، فالكبير هو الذي يوجه الجيل الناشئ وهي مقصودة أيضا.
- ✓ إنها عملية ترغب في إيصال شئ إلى كمال نموه وإيصاله ، لا يكون عن طريق معلومات يكتسبها الفرد فحسب، بل أيضا تهيئة الظروف لتتمكن هذه القوى الداخلية التي يحملها الناشئ معه من أن تنتزع من الداخل وتنمو. (عبد الله الرشدان ، 1999 ، 24)
- ✓ هي عملية قائمة على التفاعل بين المتعلم وبين الوسط المحيط .
- ✓ والتربية طريقة ونظام، بمعنى أنها تلتزم تحقيق أهدافها بطرق محددة. (صلاح الدين شروخ، 2008 ، 13)
- ✓ إنها فن تنمية الأعضاء الحسية والعقلية، وطريقة تهذيب الفرد طبق أصول مطلوبة. (سعد مرسي أحمد ، 1975 ، 422)
- ✓ إنها الوسيلة التي بواسطتها يعلم المجتمع الجيل الناشئ فيه المعارف والقيم وطريقة حياته. (إسحاق الفرخان، 1983، 14.13)
- ✓ إنها عملية لا نستطيع أخذها بمعنى ضيق محدود، قد يكون أكثر حديثا عن التربية داخل المدرسة، ولكن البيت أيضا يقوم بدوره في التربية والمجتمع أيضا. (عبد الله الرشدان ، 1999 ، 26)

✓ هي عملية يتم بها الانتقال بالفرد من الواقع الذي هو عليه إلى المثل الأعلى (..) تتضمن مجموعة من الإجراءات المتداخلة ،ومن ثمة فإنها ليست محصلة لعامل واحد بحيث يمكن التحكم فيها ، وإنما تتفاعل فيها عناصر متعددة من مثل متلقي التربية العمرية وخصائصه الفردية.

✓ إنها عملية " انتقال " وهذا يتضمن أنها عملية " تغيير " وهذا التغيير يتمثل في النمو المتحصل في متلقي التربية نتيجة لمروره بالخبرات المتضمنة في عملية التربية إن هذا الانتقال هادف وليس عفويا ، وبهذا تختلف التربية عن كثير من صور تنشئة الاجتماعية تلك التي يتشرب فيها الناشئ مفاهيمه وتصورات وأنماط سلوكه من المجتمع المحيط به بصور تلقائية ، كما تتشرب الإسفنجة ما يحيط بها من بلل التربية .

(سعد الشدوخي، 2014، 20)

✓ إن هذا الانتقال يسير باتجاه " المثل الأعلى " الذي ينبغي أن يكون عليه متلقي التربية (...) وهي تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن أمة إلى أمة ومن فلسفة إلى أخرى وتحديد المثل الأعلى للإنسان هو الذي يعطي للتربية هويتها.

ثالثا : الأهداف الاجتماعية للتربية :

إن التربية ترتبط بالفرد والمجتمع ،فهي تحقق أهداف الفرد كما تعمل على تطوير المجتمع، لأن الأول هو اللبنة الأساسية لتكوين الثاني والمجتمع بناء بشري لا يستقيم حاله إلا باستقامة وتأهيل أفراده.

يرى " برتراندرسل" أن هناك ثلاث فروع للنظريات التربوية :

الأولى: يعتبر الهدف الوحيد هو تهيئة فرص النمو وإزالة مظاهر التخلف.

الثانية: ترى أن هدف التربية هو تثقيف الفرد و تطوير إمكانياته لأقصى حد ممكن.

الثالثة : تؤكد على علاقة التربية بالمجتمع أكثر من علاقتها بالفرد ،وبذلك يكون عملها موجه على علاقة التربية بالمجتمع أكثر من علاقتها بالفرد و بذلك يكون عملها موجه

نحو تدريب المواطنين النافعين. (طبال لطيفة، 2009 ، 201)

ومن أهداف التربية نمو طاقات الفرد وإمكانياته على أساس احترام شخصيته وإفساح الفرص المناسبة أمامه لتنمية هذه الطاقات فالتربية هي عملية نمو شاملة للطفل جسديا

وعقليا ، واجتماعيا وسط جماعة اجتماعية معينة تعمل على الوصول به إلى أقصى ما تؤهله له قدراته الطبيعية . (محمد الهادي عفيفي، 44، 42، 1978)

كما تهدف التربية إلى إكساب الطفل مبادئ واتجاهات وقيم المجتمع الذي يعيش فيه حتى يمكن اندماجه مع أفراد هذا المجتمع ، ويؤدي واجباته دون معوقات وتهدف إلى أن يتشرب الطفل القيم الاجتماعية الإيجابية مثل: التعاون والحرية والاستقلال والثقة بالنفس والانتماء للجماعة والصدق والحب ، واحترام الكبير كما تهدف إلى الإعداد العلمي للطفل كي يكون مرتفع الكفاءة العلمية والعملية ، من خلال مراحل متتالية وتهدف أيضا إلى تحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام، والامتثال لقواعده وقيمه ومثله وهذا لا يتم إلا من خلال تبني الفرد قيم الجماعة وثقافتها من خلال عملية والتي تتمثل في نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد .

وتهدف التربية إلى المحافظة على عقل الفرد واتزانته، فيفهم الفرد ما يجري حوله في العالم الذي يعيش فيه، ويستطيع حل المشكلات الاجتماعية التي أصبحت من اهتمام التربية والبرنامج التعليمي، حيث تمد التربية الأفراد بالخبرة الملائمة التي تنمي التفكير النقدي والذي يعتبر من لوازم مواقف الصراع الثقافي، يتعلم الشباب والكبار نتيجة لذلك كيف يفكرون تفكيراً فعالاً منتجا في المواقف التي تواجههم شخصياً، وبذلك تقوم التربية بوظيفتها نحو ازدياد تكيف الأفراد في المجتمع المتغير.

رابعا : الوظائف الاجتماعية للتربية

التربية عملية مركبة تقوم في فاعليتها على أساسين لتؤدي وظيفتها في المجتمع وتحقق قوته وتلاحمه .

أولاً: الوظيفة الاجتماعية: وهي تحقيق نمو الفرد وتسليحه بالمعرفة والمهارات والقيم الوجدانية وجعلها قادرا على تحصيلها بنفسه، فهي إكفاء لميل المتعلم نحو المعرفة وإشباع توقه إلى الخبرة، وتدريب الفكر الناقد ومساعدة على بناء الشخصية.

ثانياً: تتمثل في نقل التراث الاجتماعي على الأجيال وتمكين المجتمع من التقدم والمقصود هنا بنقل التراث الاجتماعي هو نقل ثقافة المجتمع إلى أبنائه (...). من بعد القيام بأمرين هامين بخصوصه حتى يلائم الأوضاع المستجدة وهما : التطهير والتبسيط

1- **التطهير:** ويقصد به حذف سلبيات التراث التي لم تعد مناسبة للحاضر (...)
كالقضاء على الفكر الخرافي، والأخذ بالجديد الذي تأكدت صحته.

(صلاح الدين شروخ، 2008، 14)

2- **التبسيط:** وأما التبسيط فنعني به جعل التراث الاجتماعي في متناول الناس، مناسباً لحياتهم وما استجد بها من أمور، ولما بلغت عقولهم وحضارتهم من سويات، كتبسيط علوم الاتصال المعاصرة، لتكون في خدمة عامة الناس وتحقيق شعار حاسوب لكل أسرة من بعد تدريب الناس على معرفة كيفية استخدامه في حياتهم اليومية.

خامساً: علاقة التربية بالمجتمع

تعد التربية جزء من النشاط الاجتماعي، بل هي الأساس الذي يقوم عليه هذا النشاط في جوانبه المختلفة، فهي التي توجهه الوجهة التي تنسجم مع قيمة، ومبادئه وتعطيه القوة التي تدفعه إلى تحقيق الغاية المنتظرة منه، وهي أن يورث أمانة" الأجيال الحاضرة إلى الأجيال اللاحقة، عن طريق توفير الظروف والوسائل التي تمكن هيئات المجتمع من ممارسة مسؤولياتها في مجال تلقين المعارف والمهارات ومناهج التفكير، ومنظومة القيم التي يعتمدونها في التعايش مع أنفسهم ومع غيرهم والمحيط الذي يتفاعلون معه .
ومن ثمة فهي الصورة المعبرة عن اهتماماته ومواقفه، وطرائق عيشه والأساليب التي يخوض بها معاركه مع الزمن، وتجاه التحديات والظروف ومصاعب الحياة وهي في الوقت ذاته الوسيلة التي يورث بها أفكاره، وقيمه ومعتقداته وتطلعاته إلى الأجيال التي يعدها لتخلفه وتتولي بدورها إعداد الأجيال الآتية، والمجتمع نفسه هدف من أهداف التربية لأنه يطلب من النظام التربوي أن يحدث التغيير الإيجابي المسير لتطلعات الحياة لتحقيق الانسجام، والتوافق بين المجتمع وما يريده.

إنما يريده المجتمع هو أن تصبح التربية عملاً حضارياً ثقافياً هادفاً، يسعى بجميع صيغته وأشكاله إلى بناء الفرد فكراً وروحاً، ووجداناً وجسداً، وسلوكاً، كما يسعى إلى المحافظة على بناء الاجتماعي وتأكيد ذاتية المجتمع وتمتين روابطه وتطوير إمكاناته وتحقيق تطلعاته فالتربية بهذا المفهوم تشكل قوة يحمي بها المجتمع نفسه، ويصوغ وجوده ويرقي حاضره ويصوغ مشروع مستقبله .

يرى أفلاطون أن وظيفة التربية ليست هي أن تعين بقاء المجتمع القديم على قدمه بل هي العمل على خلق مجتمع أفضل من المجتمع القديم، وأحسن تطوراً وتقدماً منه (..)

وتمارس التربية في علاقتها مع المجتمع وظيفية مزدوجة، فهي من جهة تعمل على صيانة التراث الثقافي ونقله إلى الناشئة، وهي من الجهة الأخرى تعمل على تعزيز ورفع مستواه إلى أعلى درجات الرقي.

النظام التربوي مرآة لثقافة المجتمع:

أن التربية تتبع مثل الفلسفة و الأداب والأفكار من الثقافة، ولذلك كانت ولا تزال هناك تربية متقدمة، وتربية متأخرة حسب نوعية الثقافة، فالتربية تتبع من الثقافة المتقدمة كما أن الثقافة المتقدمة دليل حي على تقدم المجتمع الذي تنتسب إليه الثقافة .

(رابح تربي ، 193)

الأغراض الاجتماعية للتربية:

تختلف أغراض التربية باختلاف المجتمعات ودرجة تقدمها والظروف الاجتماعية والدينية والسياسية التي تحكمها، ففي الصين مثلا كان الغرض من التربية هو إعداد القادة وذلك بتزويدهم بالمعارف القديمة التي تتصل بنظام المجتمع، وصلات أفرادهم بعضهم ببعض (..) والتربية بهذا المفهوم هي تربية خلقية واجتماعية عليا.

(إبراهيم ناصر ، 1983، 21)

أما الغرض من التربية في مصر القديمة فكان دنيويا ، ويعنى بتخريج المتعلمين في الفنون المختلفة كالكهنة ، والأطباء والمهندسين ، والكتاب، ثم دينيا وهو العمل على خلق جيل محب للآلهة .

وسنأتي على شرح هذا الأغراض بالتفصيل عبر التسلسل التاريخي للشعوب في الفصل الموالي وهناك من قسمها إلى أغراض فردية وأخرى اجتماعية ففي الغرض الفردي يرون أن الغرض من التربية هو تنمية الحس بالمواطنة والانتماء إلى الوطن فالمواطن المخلص يعرض واجباته فيؤديها ويعرف حقوقه فلا يتنازل عنها وهو يؤمن بالإنسانية من ذاته، أما أنصار الغرض الاجتماعي فيرون أن أعداد الأفراد ما هو إلا وسيلة من وسائل إصلاح حال المجتمع، فالفرد في نظرهم لا شيء والمجتمع هو كل شيء والفرد يجب أن يغني في المجتمع .

(إبراهيم ناصر ، 1983، 22)

ضرورة التربية للفرد والمجتمع :

التربية لا تنتقل إلى الجيل الناشئ جميع ما حصلته الأجيال السالفة من العلوم كما هي وإنما تحاول أن تختار وتنتقي من تلك العلوم ما يلائم حاجات المتعلم، وفق نموه

الجسمي والعقلي، وتعمل في نفس الوقت على إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه (...). قال الإمام الغزالي في كتابه . (احياء علوم الدين ، ج 1 ، 9)

لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الهمجية إلى حد الإنسانية. (تركي رابح ، 1990، 27)

قال أحد المربين: إن السبب الذي من أجله نحتاج إلى التربية هو أن الأطفال لا يولدون بشرا وإنما يصيرون بشرا بفضل التربية، وقال مربيان أمريكيان، لو انتقل سكان الكرة الأرضية إلى المريخ تاركين وراءهم الأطفال الصغار ثم عادوا إليهم بعد عشرين عاما لوجدوهم قطيعا من البهائم بسبب عدم تلقيهم التربية التي تحقق إنسانيتهم.

دور التربية في التغيير الاجتماعي:

تعتبر التربية اللحمة البانية للحضارات، بل هي أساس استمرارية المجتمعات وتطورها فبواسطتها تضمن الأمم صيرورة وجودها، ونمط عيشها وتميز هويتها، بين مثيلاتها ومتى كانت هاته التربية ناجعة بين الأجيال في المجتمع الواحد، كان الاستقرار واضح الأثر والازدهار بارز المعالم، فعليها و بها تتطور مختلف مناحي الحياة وتتغير إيجابا حول المجتمعات والأفراد، وتزداد التنمية ويتحقق الأمن والرفاه، ويكتب لمن امتلك التربية السليمة من الأمم ولوج التاريخ من أبوابه الواسعة، فينال الحظوة، ويتصدر المكانة وهي ضاربة في أطناب العصور والحضارات، ولم تكن وليدة الحداثة بل علا شأنها واهتمت بأمرها، حتى الكتب السماوية، وعلى قدر المدخلات التي تطرأ عليها تتشكل شخصية الفرد.

إن تفعيل عملية التربية بين أفراد المجتمع يرتبط ارتباطا كليا بطبيعة الأفكار، التي تستهدف الأفراد، حيث يتأثرون بها، وينطلقون بين أقرانهم مشكلين واقعا جديداً يختلف عن سابقه من العصر، وعلى اختيار هذه الأفكار ومدى التأثير بها، يقع مستقبل الجيل وكلما كانت عملية التربية موجهة ومراقبة ومدروسة، كلما كان التغيير نحو الأفضل وكلما ظهرت ثقافات جديدة تساير التغيير المنشود، فمستوى التربية ونوعها يؤثران سلبا وإيجابا على تقدم المجتمع، وحينما نتكلم على مستوى التربية نربطه دوما بمستوى الأفكار، التي تعني بهذه التربية، والأثر يظهر جليا على تصرفات الأفراد، ولنا في عصرنا هذا الكثير من الأمثلة عن المجتمعات التي عقدت الهمة، وعزمت الإرادة على تغيير حالها، كالمجتمع الماليزي، والإندونيسي، والهندي، حيث اعتمدوا وتعمدوا تغيير

التربية كمنهج حياة فحققوا خطوات عملاقة، ووثبوا وثبات ثابتة نحو التطور والرقي بأفرادهم وحضاراتهم.

ولكي نغير نظام المجتمع كله يجب أن نغير التربية، وذلك ليكون تغييرا حقيقيا ، فلا بد من تغيير جذري في النظام التربوي وفلسفته، وأساليبه وأهدافه هذا لأن صياغة المجتمع لا تتم إلا بصياغة التربية، وبهذا فان التربية لا تستطيع أن تصنع المجتمع وتغيره أو تحدث فيه أثرا بارزا وسريعا في بنيته، إلا إذا استطاعت أن تقهر العوامل الأخرى الكامنة في المجتمع والتي تشدها إلى الخلف .

إن هاته العملية التي نسلط عليها تركيزنا، لا يمكن أن تؤدي دورها في تحقيق التغيير ما لم يتم التخلص من شوائب الوضع القديم، والسعي بجدية في تهيئة المناخ الاجتماعي الجديد، عبر إحداث إصلاحات في البناء العام للمجتمع، وفقا لسياسة ذات أهداف معالمها واضحة ومنطقتها تتبع من قيم المجتمع، وأصالته وتستشرف المستقبل بمناهج علمية حديثة .

إن مصير مجتمعنا العربي وتحقيق حلم وحق أفراده في التمتع بالحياة، لا يمكن بأية حال ما لم تتغير منهجية التعامل مع قضايا الحياة ، عبر الأفكار و السلوكيات.

إن التربية عامل هام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات، وهي عامل هام في التنمية الاجتماعية، وضرورة للتماسك الاجتماعي والوحدة القومية، والوطنية وهي عامل هام في إحداث الحراك الاجتماعي، فالتربية دور هام في التقدم والرقي، لأنها تزيد من توعية الفرد وترفع من قيمته، كما أنها ضرورية لبناء الدولة العصرية، وإرساء الديمقراطية الصحيحة والتماسك الاجتماعي. (كمال عبد الله ، 2002 ، 4)

إن التربية بحق تعد مرآة عاكسة لحالة المجتمع، وصحته، فالمجتمعات المتطورة تثبت لزاما صحة التربية بها، كما نجد أن هاته المجتمعات حين يصيبها خلل أو وهن في صيرورة المجتمع عامة، يهرع الخبراء إلى إعادة النظر في التربية وآلياتها، ومن ثمة تقويمها لتتكيف وتواكب الواقع الجديد لهذا التغيير، فتأمن انهيار المجتمع وتقهره وتناهى عن مشاكل جديدة قد تطرأ له، ومن هنا نستنتج أن التربية غير ثابتة، فهي متغيرة تتناسب وتتأقلم مع كل جديد، في المجتمع لتعيد توازن الأمور فيه .

فالتغيير الاجتماعي حقيقة وجودية ، فضلا عن أنه ظاهرة عامة، وخاصة أساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحياة الاجتماعية، بل أنه ضرورة حياتيه للمجتمعات البشرية فهو

سبيل بقائها، ونموها، فبالتحديد يتهيأ لها التكيف مع واقعها، وبالتحديد يتحقق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها ، ذلك أن التغييرات الاجتماعية التي تصيب أي مجتمع تعد نافعة وإيجابية إذا ما حققت متطلبات وحاجات الأفراد في بلوغ التقدم، ذلك التقدم الذي يستند إلى أساس أخلاقي، وتربوي يقره المجتمع . (حيدر إبراهيم ، 1982، 25)

إن مثل ركود التربية في مجتمع ما، أو حيويتها كمثل الماء الراكد بمكان والماء الجاري بالواد، فالأول ما يلبث أن يفسد ويتعفن وتقل فائدته ومنفعته للمحيط، بينما في حالة جريانه يحافظ الماء على خواصه وسلاسته، فأينما حل ومر نفع، وغير البيئة والمحيط عامة، ولو نقارن بين الشعوب التي تهتم بتجديد تربيتها عبر تجديد الأهداف والمناهج والآليات والشعوب التي لا تلق لهذا الأمر اهتماما، والتي تتكاسل في الاجتهاد والبحث عن التجديد مكتفية باستيراد ما توصلت إليه الشعوب المجددة، لوجدنا الفرق شاسع وكبير، فما صلح لشعب لا يصلح لشعب آخر بالضرورة، فلكل خصوصيته ومبادئه وقيمه ورؤيته للحياة وهويته التي تميزه عن الآخرين، لذلك فمن العبث تقليد الآخرين ولقد صدق الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: ((وأعدوا أبناءكم لزمان غير زمانكم))، إن هذه المقولة بحق دلالة واضحة سطعت قبل أربعة عشر قرنا تنادي في مضمونها بوجوب الاهتمام بالتربية .

إن تربية الأبناء والحرص على إعداد النشأ، وتحسينه بمختلف القيم وعوامل القوة أصبحت أكثر وجوبا، لأن معطيات الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الآباء يختلف عما سيكابه ويتلقاه الأبناء، في واقعهم الجديد ولنا في واقعنا نحن خير دليل، فما واكبناه من قيم وقناعات لم يبق ثابتا كله بين أبنائنا، فعمل المرأة خارج البيت مثلا لم يكن مرغوبا فيه ونحن أطفال في مجتمعنا، بل كان مرفوضا في كثير من الأحيان، ولكن بعد تعميم التعليم بين الجنسين، والاحتكاك بثقافات الدول والشعوب الأخرى، وتغير مطالب الحياة وغزو العصرنة لمجتمعنا وتسارع الرقمنة، والميل إلى كل جديد، تغيرت رؤى الشباب وقناعاتهم حيال هذا الأمر فأصبحت المرأة العاملة تلقى كل الإقبال، والتنافس من الشباب الراغبين في الزواج وهي أكثر حظ وأوفره من الفتاة الماكثة بالبيت، وحتى أنه من كان يرفض مواصلة تعلم الفتاة من الآباء، عزف عن هذا الأمر في بناته الصغيرات.

لقد اختلف الباحثون والمفكرون في تحديد علاقة التربية بالمجتمع ، فمنهم من رأى بأن التربية هي الوسيلة الوحيدة لاستقرار المجتمع وأنظمتها، وقيمه، وأوضاعها الاجتماعية

بينما رأى فريق آخر أن التربية وسيلة لإصلاح المجتمع، وتحسينه وتقدمه وتطوره، إن هذه الرؤية تختلف في منظور الفكر المثالي، عنها في منظور الفكر الواقعي. ومهما يكن مضمون هذا التغيير، فهو إضافة ليست قابلة للتحقيق تلقائيا دون عمل الإنسان وبذلك يتحتم إتباع الأسلوب العلمي في التحكم في مسيرة هذا التغيير، بحيث يكون تغييرا متوازنا متكاملا، يفضي إلى التطور والنمو والتقدم، ولاشك في هذا أن

التربية تحرر الإنسان وتطلق مواهبه، وقدراته فيتمكن من المشاركة الفاعلة في مجتمعه وعلى هذا المنوال رأينا كثيرا من المجتمعات المغلقة على نفسها، تهرع إلى الانفتاح على المجتمعات الأخرى، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية أين وجدنا مثلا: اليابان ورغم هزيمتها تفتتح على المجتمع الأمريكي، والغربي عامة وتغير أسلوبها، في التعامل مع الآخرين وتنازلت عن كثير من استبداد الرأي، وازدراء الآخر، وفرض المعايير والقيم عليه، والاستسلام للأمر الواقع ومراجعة النفس، والاستفادة من الأخطاء، فغيرت نظرتها العامة للحياة، وأحدثت آليات جديدة، توازن فيها بين ثوابت شعوبها، ومتغيرات الحياة والاستفادة من ثقافة الآخرين ولو كانوا أعداء.

إن الذي يصنع الأمم والحضارات هو القيم التي يؤمن بها أبنائها، وشواهد التاريخ العديدة أمثلة صارخة على القول، فهي تبين أن الأمم التي استطاعت أن تنهض نهوضا سريعا تصنع حضارات جديدة، هي التي عرفت أن تجمع بين المهاد العلمي التقني من جهة، والقيم الفكرية والقومية والإنسانية من جهة ثانية، فالقيم والأخلاقيات الحميدة هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات، وبالتالي فهي تعد مؤشرات للحضارة فالمجتمع الذي يحمل أفراده قيما وأخلاقيات سامية، مجتمع يتنبأ له بحضارة ورقي وازدهار.

وفي هذا نجد الشاعر يقول:

إنما الأمم والأخلاق ما بقيت

فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا

وما شاع خلقا ذميما في أمة، إلا دمرها ولنا في التاريخ كثيرا من العبر، ونقل لنا القرآن منها الكثير مثل ما جرى لقوم لوط، وشعيب (عليهما السلام) قديما ومثل تفشي الأمراض الخطيرة بالمجتمعات التي انتشر فيها تناول الخمر، والزنا حديثا بجملة من

الدول الإفريقية والغربية، لذلك فإن الأخلاق الحميدة البناءة للحملة المجتمع، والقيم السامية هي بمثابة العقد الاجتماعي، فهي واجبة الالتزام من الأفراد والجماعات .

سادسا : أزمة التربية في المجتمع العربي

لقد أدى التطور السريع للتكنولوجيا عبر العالم إلى أفول الكثير من القيم الاجتماعية و بروز قيم أخرى، لا تتبع أو تتناسب مع مبادئ مجتمعنا العربي ولكن نظرا لهشاشة التنظيم الاجتماعي وجدت لها مكانا وفضاءً خاصة بين فئة الشباب، الذي لم يتلق هو الآخر ما يكفيه ويقويه على التشبث بقيمه المستمدة من الدين الإسلامي والتراث الثقافي العربي، لذا فإن التغيير الحاصل في هذه المجتمعات أدى إلى وجود أزمة في التربية ومنها منظومة القيم لدى المجتمعات العربية، التي أصابها هذا التغيير مما أدى إلى إفراز تصادم بين النظم الرسمية والنظريات المستوردة، والنظام الاجتماعي الأصلي المبني على القيم والمعايير الموروثة من الأجداد .

إن تفكيك النظام الاجتماعي التقليدي أدى إلى تفكيك القيم التي تحدد طبيعة المكانة الاجتماعية والأدوار، الوظائف التي يحظى بها كل فرد وتتحكم في النظام الاجتماعي بكل تجلياته ونشاطاته السياسية والاقتصادية والثقافية. (سعيد جودت، 1989، 105)

وعليه فإن التغيير الذي أحدثه التغريب الاستعماري والحملات المتتالية له وما طرأ على المجتمعات العربية عامة والجزائر بالخصوص ما هو إلا انعكاس للانحرافات السلوكية وازدياد مظاهر الغش والكذب والنفاق والخداع والرشاوي والسرقات، والاستقلال والاحتكار وتسويق المسكرات والمخدرات وتعاطيها، وعدم الحياء وممارسة الجنس (...) في الوقت الذي طرأت تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية غيرت الكثير من القيم الخلقية، وأصبحت قليلة في مجتمع من خصوصياته أنه يتمسك بقيمة الرحمة وطاعة الكبير والصدق والوفاء، وحب الخير ومساعدة الآخرين واحترام الغير لقد اختلف هذا التأثير من قطر إلى آخر حسب نوعية الاستعمار وأهدافه وإن كان الكثير منها مشترك إلا أننا نجد المستعمر الفرنسي مثلا في الجزائر، أثر بعمق في منظومة القيم التي وجد عليها المجتمع آنذاك (1830) عند ولوجه هذه الأرض، وعمل على طمس تغيير كل ماله علاقة بالهوية العربية الإسلامية، بينما يختلف عنه التأثير بالنسبة للمستعمر البريطاني في الأقطار التي مارس عليها الجلاء، كالمجتمع المصري وكذا الحال بالنسبة للمستعمر الإيطالي للمجتمع الليبي، وعلى كل فكل تغيير في أي مجتمع

يعود دوماً إلى العوامل التي تواجدت في تلك الحقبة الزمنية، والمكانية، وهو ما أكده دوركايم، على أنه يوجد لكل مجتمع في مرحلة معينة من تطوره نظام للتربية يفرض نفسه على الأفراد بقوة لا تقاوم عموماً، والأفكار والعادات التي تحدد هذا النظام لم يصنعها الأفراد بل هي نتاج الحياة المشتركة وتعبر عن ضرورتها وهي في معظم الأحيان نتاج أجيال سابقة.

عندما نتتبع تاريخياً الطريقة التي تكونت بها ونمت أنظمة التربية فيها يتبين لنا أنها تابعة للدين وللتنظيم السياسي، ودرجة تطور العلوم ولحالة الصناعة (...) فإذا فصلناها عن كل هذه الأسباب تصبح غير مفهومة . (دلال ملحس، 207، 206، 2004)

إذا فالتربية لا يمكن أن تتواجد وتنشأ في منأى عن باقي متغيرات الحياة، وإلا لما كان انسجام في المجتمعات وتفاعل وحيوية للعلاقات، فهي دوماً تتكيف مع كل جديد وتجد آلية للتوافق معه مهما كان حكماً على هذا التوافق بالسلب أو الإيجاب، إن المجتمعات العربية كانت عرضة للتفكك الأسري لأنها كانت عرضة للتغير السريع وما يرافقه من نوع الفشل في قدرة الناس سلوكياً واجتماعياً على التوافق معه، وعدم التكيف مع التطورات الجديدة والتكنولوجية المعقدة والمتغيرة باستمرار، فيحدث عدم التوافق في أنماط السلوك التي أفرزتها حضارة منبثقة عن بنى اجتماعية تختلف عن جوهر البنى الاجتماعية الأخرى وواقع اجتماعي لا يتيح لمعظم أفرادها إمكانية التصرف بشكل يحافظ على القيم والأعراف المحلية. (خليل شكور، 1998، 263)

ونتيجة لعوامل التغير حدث تعديل جوهري في الأدوار والمكانات، وحدث اختلاف في الأبعاد والمسؤوليات وتغير للنسق القيم من داخل كثير من الأسر سواء العربية أو الجزائرية .

لقد أفرز التغير الاجتماعي مشكلات عديدة لدى الشباب منها ما يتصل بصحته والجسمية والنفسية، أو ما يتصل بعلاقته مع أسرته أو بيئته ومنها مشكلات قيادية وتوجيهية والنقص في ذلك كما وكيفا، وغيرها من المشاكل التي تؤثر في حياة الناشئين وتحدد موقفهم من المجتمع كما تحدد المستقبل الذي ينتظرونه أو ينتظرهم .

(فرد ميلسون، 2000، 18.17)

إن هذه المشاكل التي تصادف الشباب أدت بدورها إلى التناقض بين القيم والمجتمع أي بين ما يجب أن يكون وبين الممارسة الفعلية، كما أدى التغير الحاصل إلى جعل الشباب

يفقدون الهوية الذاتية بسبب بعدهم عن الثقافة الأمة، وتراثها وتقاليدها، وعقيدتها وأصبح منهم المتقرب هو الذي يعيش كما تعاش الحياة في البلدان الغربية بتشويه قليل أو كثير، ومنهم من حاول مسك العصا من وسطها فزاد تشويشا منهم من يحاول الحفاظ على شخصيته بما فيها من قيم دينية واجتماعية وصار الماسك على الجمل مما جعل الكل في غربة وهو في وطنه .

(مفيد محمد إبراهيم، 1999، 21)

التربية وخطأ التنظير:

أكد عادل حسونة في دراسته تحت عنوان "العالم الثالث والحوار الدولي العقيم" أن المراقب السياسي والاقتصادي عندما يتصفح التقرير الصادر من البنك الدولي لعام 1980 ثم التقارير الصادرة من الأونكتار unctar منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية وكذلك اليونسيف Unicef منظمة الأمم المتحدة للطفولة والتغذية واليونسكو Unesco منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم وغير ذلك من المنظمات الدولية، سرعان ما تتزاحم الأرقام من إحصائيات لتعلن في قاسمها المشترك أن العالم الثالث في نمو لكنه نحو الأسفل وفي تقدم ولكنه إلى الوراء، وهذا يعني و الأرقام تتكلم ولسنا نحن، أن العالم الثالث يطور تخلفه.

(عادل حسونة، 1987، ص 120.119)

إن انزلاق العالم العربي والإسلامي بمختلف أطيافه وتوجهاته وراء منتجات الغرب الفكرية أدى إلى إفلاس المنظومات التربوية بها، ومن ثمة تدمير البيئة والنظام الاجتماعي كحال سوريا، وليبيا وكذا اليمن، وغيرها من الدول العربية، التي لا تعرف مجتمعاتها اليوم مذاقا للسكينة والاستقرار، وهذا دليل قطعي على ما نقول، وكذا الحال بالنسبة للمنظومة التربوية الجزائرية التي لا تعرف أيضا استقرارا، بسبب عدم اعتمادها على المنهجية الملائمة لمعالجة قضايا المجتمع، وعدم الأخذ بخبرة المحنكين من رجال التربية واستشراف البحوث العلمية في هذا المجال، والتي أنفق عليها الكثير في المخابر بل تم اللجوء إلى الحلول السريعة، والارتجالية التي لا تنطلق أساسا من معالجة التربية وتكييف برامجها ومناهجها مع الواقع المحلي، والمعاش والعالمي المسيطر على مجريات الأحداث والذي لا يمكن مسايرته ما لم يبتعد عن المعالجات العنصرية، والعشوائية والتي لا تستند إلى الخبرة وإعمال العقل والفكر معا، وإسناد هذا الأمر الجلل إلى حكمائه ولمختصين به فعجبا لعالمنا العربي الذي لا يتعض من الواقع، والوقائع التي مرت بها شعوب أمثالهم لما دار بها الزمن، ووقعت في رحى الحروب وتعرضت إلى الدمار

فسارعت إلى منظومة التربية لتتدارك خلل بنائها الاجتماعي، وتقف على سبب وهنها وضعفها، لأنها تؤمن إيماناً جازماً بأن التربية هي الجهاز المنمي للذكاء والكاشف للعبقرية، فهي الأداة المثلى التي تتوسلها الأمم للارتقاء إلى قمة الحضارة، ويكاد اليوم يختصر الصراع بين الدول المتقدمة كصراع سبق وتنافس بين منظوماتها التربوية باعتبارها المجسدة لكل مظاهر الإنماء والتطور والقوة بجميع أبعادها، لذلك ظلت التربية تحوز اهتماماً خاصاً لدى القيادات السياسية والعسكرية، والمشرفة على إدارة وتسيير جميع المؤسسات الاقتصادية والصناعية وغيرها في العالم المتقدم، حيث أن الإصلاحات التربوية في هذه البلدان غالباً ما تكون بعد أن تعصف بها مشكلات أو تهزها أزمات أو تفرض عليها تحديات تدفع بها إلى ضرورة الإصلاح، والمتتبع للمسار التاريخي للإصلاحات التربوية في كثير من دول العالم المتقدم يمكنه ملاحظة ذلك دون عناء .

ونجد كاتب هذا المقال وإن كان أستاذ تعليم ثانوي آنذاك، قد عالج أزمة التربية في العالم عامة في مقاله بأسلوب يناهز مستواه مستوى الكثير من أساتذة الجامعة اليوم، حيث يسترسل ويدلل عن وهن التربية بالمجتمعات المذكورة، مقارنة إياها ببعض الدول التي مرت بنكبات استطاعت الخروج منها بفضل اعتمادها على إصلاح التربية فنجد مثلاً : أن بتلر betler رئيس المصلحة القومية للتعليم ببريطانيا، طرح مشكلة إصلاح التربية والحرب العالمية الثانية قائمة سنة 1944 لما تفاجأت الحكومة البريطانية التي كان يرأسها تشرشل آنذاك بضعف أداء جنودها، وآلياتها وعتادها العسكري أمام تفوق الألمان وكذا الولايات المتحدة الأمريكية، أعادت النظر في نظام التربية عندها لما أطلق الاتحاد السوفياتي سابقاً أول صاروخ " سبوتنيك " نحو الفضاء سنة 1956.

وكذلك الحال بالنسبة لألمانيا التي خرجت من الحرب العالمية الثانية منهزمة، منهكة القوى مهدمة البنية التحتية لا يظهر على وجه أرضها إلا خراب الأبنية، ورائحة الجثث وعويل الأرمال، وبكاء الأطفال فمن كان يظن في تلك اللحظة أن مجتمعا كان يزخر بالقوة والتفوق والتطور، سيفقد كل ما بناه خلال سنوات عديدة، وينهار في فترة وجيزة ثم من كان يصدق أن ينمحي هنا الخراب الذي أفاق عليه العالم في 1945 بألمانيا لتنشأ على أنقاضه حضارة ومدنية جديدة، من أقوى الحضارات، أستطاع الألمان أن يعيدوا بناء قوتهم الاقتصادية بسرعة قياسية، استغرقوا فيها حوالي 15 عام فقط ولتستجمع ألمانيا قوتها فتوحد جزئياً بعد التقسيم الذي دام ما يقارب 45 عاما وتتصدر من جديد

كقوة ضاربة اقتصاديا، وسياسيا جميع دول أوربا بما فيها فرنسا المنتصرة في الحرب وأثبت الألمان من جديد أنهم جنس لا يجيب من تحدها إلا بتحد جديد، يذهل الأنفس والعقول فاستخلص كل من يعتبر أن أزمة العيش تكمن في اختيار منهج الحياة ، بل هي أزمة أفكار، وهو ما أثبته المفكر العالمي مالك بن نبي: أن عالم الأشياء يسبقه عالم الأفكار ولا يمكن للحضارة أن تزول بزوال الأشياء مادام الأفراد يحملون في أدمغتهم بنات الأفكار، يستطيعون زرعها متى شاءوا في بيئتهم الخصبة، التي تقدر أفكارهم وترجمها كأشياء في عالم آخر، بينما على النقيض من ذلك نجد شعوب العالم الثالث ودوله ،تتخبط في فوضى الأشياء والواقع ،نتيجة فوضى الأفكار، هذا ليس لخلو هاته المجتمعات من الأدمغة وإنما يعود الحال إلى كثير من العوامل الخارجية منها والداخلية نذكر على سبيل المثال منها: تهميش الأدمغة المفكرة والمبدعة والعقول النيرة وعدم الأخذ باستشارتها في بناء نظام الدولة، والعناية بها من طرف نوي السلطة والقرار مما اضطر هاته العقول إلى الهجرة إلى الدول الغربية التي وجدت ضالتها فيها ،فاستفادت من إبداعاتها في تطوير حضارتها ورفاهية شعوبها ، (...) فلو يقارن المتتبع حالها بحال دول العالم الثالث، لعرف عن وضع المقارنة بينها وبين من ذكرنا من المجتمعات الغربية كألمانيا، إذ مجرد ما تتابها اضعف الهزات والتحديات لأنظمتها وشعوبها تتهاوى أبنيتها وأسسها، بل وتتسارع إلى الدمار والفوضى أضعاف ما تسارعت إليها تلك العوامل الخارجية الهدامة، وكأن الضعف مستبد فيها منذ القدم والتسوس لا يفارق أسسها وأعمدتها منذ نشأتها، فهي مبنية على جرف هار ، أضعف الرياح ترديه دمارا وأضعف المعاول ينهار لها، وليس حال العراق وليبيا وسوريا عن هذا المثال ببعيد إن كل هذه العوامل التي تساهم في إحداث التغيير الإيجابي للمجتمع لا يمكن التمكن منها إلا عن طريق التربية، وهذا ما تفتن له القادة السياسيون والعسكريون المشرفون على إدارة وتسيير جميع المؤسسات الاقتصادية، والصناعية في العالم المتقدم وهذا ما يفسر اهتمامهم وهروهم إلى النظر في العملية التربوية كلما وقع خلل في المجتمع لديهم.

قامت " Breda " بتقييم النتائج المحققة وتقدير مدى نجاح هذه المخططات التربوية التي نفذت تحت راية اليونسكو، وانتهت إلى أن البرامج التي تضمنتها المخططات بمضامينها وهي من وضع " اللامعين الدوليين المتخصصين "، لا يمكن باية حال من الأحوال نكران فشلها وفسرت سبب ذلك بعدم إمكانية المنظمات الدولية بلامعياها، على فهم واستيعاب

الأوضاع الاجتماعية بكيفية سليمة ومدققة وبتعبير مالك بن نبي الخطأ في فهم المعادلة الاجتماعية التي تضبط بعناصرها شبكة العلاقات الاجتماعية، بما تتضمنه من بني نفسية وثقافية وقيمية وعقدية وحضارية، من الصعوبة بمكان تحسبها وتحديد تفاعلاتها وتأثيرها من طرف خبراء المنظمات الدولية، ولعل من اليقين أن التنظير المفضي إلى فشل مخططات التنمية في العالم المختلف متعمدا ومقصورا، لأن هؤلاء الخبراء اللامعين والمتخصصين يزنون ويحسبون الأمور جيدا، عند وضع مخططات التنمية لبلدانهم .

(محمد صالح جدي ، 1995 ، 12)

وهو بهذا يبين بأن طبيعة المجتمعات، ومفكرتها وكذا مصالحها العليا تفرض عليها الاجتهاد فيما يرفع وينمي تلك المصالح، مما لا يخدم بذلك مصالح شعوب أخرى تختلف عنها في نمط العيش وطبيعته حتى وإن كانت النوايا سليمة في وضع تلك المخططات إلا أنها لا تكون مجدية بسبب عدم نشوئها وميلادها من رحم ذلك المجتمع نفسه المقصود بالمعالجة، وهو ما يمكن أن نضرب عنه مثلا بالسيارات التي تم صنعها في دولة أوربية تخضع في صنعها إلى التجربة وفق كل عوامل البيئة والمناخ والطبيعة، شمسها ورياحها ورطوبتها وكذا نوعية المواد المستخلصة من أرضها، وحين تثبت نجاعتها تتهافت دول أفريقيا لاستيرادها، ولكن سرعان ما تصطدم بمشاكل في عدم صمودها أمام الطبيعة الجديدة بعد ملامستها إياها، لأن عوامل الطبيعة تختلف عن العوامل التي صنعت فيها وكذا هو الحال بالنسبة للعنصر البشري آلياته ومقدرته في التعامل مع طبيعة أرضه المعاشة تختلف عنه في أرض أخرى، وهذا التكيف والتلاؤم ثم اكتسابه نتيجة تراكم تربوي ومعرفي استغرق قرونا عديدة ليحقق الانسجام مع الوسط والبيئة، كما أن محمد صالح جدي يضيف قائلاً: أما المجتمعات الثالثة فهم يصنعون سياسات ومخططات التنمية المعرقة التي تستنفد الجهد والمال وتضيع الوقت، وبالتالي تزداد الهوة بين العالمين اتساعا، فيزداد تطور العالم المتقدم ويتعمق تخلف العالم المتخلف، كما أن الخبراء الأجانب كثيرا ما تكون وظيفتهم غير المعلنة هي الجوسسة التي سهل تدمير منشآت العالم الثالث، ويمكن التذليل على ذلك بالمعلومات التي قدمها الخبراء الفرنسيون من الذين شاركوا في أنجاز مفاعل تموز النووي بالعراق، وهي المعلومات التي سهلت مهمة إسرائيل عام 1981 لقصفه .

إن ارتكاز التربية في المجتمعات الثالثة على العلوم الاجتماعية الغربية، وما توفره من معطيات يمثل تقبيدا لها بتطور مفاهيمي ومعرفي ونفسي وثقافي، واجتماعي وقيمي وعقدي لاصلة له بواقع هذه المجتمعات .

وللتأكيد على هيمنة العالم المتقدم الغربي في مجال العلوم الاجتماعية المصاغة بعيدا عن واقع مجتمعات العالم الثالث، يستعرض "غارو" في دراسة بين معطيات إحصائية تضبط عدد الذين ساهموا في إنجاز دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية وانتماءاتهم حيث كشفت الإحصائيات ... أن 78.1 % من مجموع الكتاب المساهمين في إعداد موضوعات دائرة المعارف الدولية المذكورة وعددهم 1505 كانوا أمريكيين في انتماءاتهم المهنية وجاءت المملكة المتحدة (بريطانيا) في المركز الثاني وأن نصيبها 8.7 %.

(محمد صالح جدي ، 15)

وهنا نلاحظ جليا الإشارات التي تفيد بعدم تواجد ولا عالم مشارك في هذه الدائرة للمعارف والمفيدة عالميا من دول العالم العربي أو الثالث، تتكأ عليها كبنك للمعرفة وتلتجئ إليه في توجيه وتسير أمورها، فهي التي تمثل الأطر والنظريات التي تتكأ عليها التربية في العالم الثالث، وهي قاعدة التنظير عند أبناء العالم الثالث من الأساتذة والمفكرين والجامعيين خاصة حاملي عملية الخضوع والتبعية، هؤلاء المستهلكين لهذه العلوم ونظرياتها العاجزين على بلورة رؤى خاصة منطلقة من واقع مجتمعاتهم .

قال مالك بن نبي: أن العلوم الاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر من ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعد خطرا في مجتمع مازال الناس يجهلون حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعدادها، أشق كثيرا من وضع محرك أو ترويض قرد على استخدام رباط عنق.

(مالك بن نبي ، ، 1981 ، 33)

صراع قناعات النخبة مع قناعات المجتمع حول التربية :

إن الدول الاستدمارية تمكنت من فرض بقاء نفوذها لما وظفت التربية في فترة استثمارها للمجتمعات الثالثة عامة، والعربية والإسلامية خاصة، فصاعت من أبناء هذه المجتمعات من أسميتهم بحاملي " عقلية التبعية " أولئك الملحقين بالثقافة الغربية وضمنت الدول الاستدمارية نتيجة ذلك بالجهد التربوي وسائل تسلطها، وتحكمها في مجتمعات العالم الثالث لها ففرخت من داخلها حماة مصالحها.

إن حركى القلم في ضوء المعطيات المعاصرة، وأبعاد الهيمنة التي يرغب في فرضها العالم المتقدم، أكثر خطورة من حركى السلاح، ولعل إنجازات الأول في جميع دول العالم الثالث هي التي رهنت مستقبل هذا العالم اقتصاديا وسياسيا .
ومن المفارقات نجد أن العامة من شعوب دول العالم الثالث والعرب خاصة، يعيشون وفق عقلية وقناعات نفسية وقيم وسلوك معين، بينما تقيس النخب بها وفق قيم وقناعات مختلفة ومغايرة لها، وهم في هذه الحالة متعايشون ضمن حيز جغرافي واحد يسمى الوطن.

ازدواجية التوجه:

إن هذا الصراع المتواجد بين النخبة وعامة الشعب، أدى إلى ازدواجية في التوجه من حيث المنطلق، والنظر إلى التربية التي يجب أن يكون عليها أفراد المجتمع، ولذلك فإن من أهم أسباب أزمة التربية في الوطن العربي، هي فصل الدين والتراث عن حياة المجتمع، مما أوج قريحة المعارضين للتغريب .

لذا حاول دعاة التغريب تسكين مخاوف المسلمين، وأدخلوا شيئا من التربية الدينية والتاريخ الإسلامي، إلى مناهج التربية الإسلامية، وإلى وسائل التربية الأخرى كوسائل الإعلام (...) كما حاولوا أن يمزجوا بين القيم الروحية الإسلامية، والقيم المادية الغربية المستوردة، ولكن هذه الموازنة لم تتحقق وغلبت كفة الجانب المادي، والمستورد على حساب الجانب الأصلي . (طبال لطيفة، 2009، 205)

أما الفريق الذي كان له الأثر الكبير والذي بنى النظام التربوي في البلاد العربية، أعطى السيادة للفكر المادي، مع إعطاء مساحة صغيرة ليشغلها الدين، من أجل تحقيق حاجات أفراد الشعب العاطفية، وتسكين مخاوفهم على دينهم، وتراثهم وأصالتهم، مما زاد من عدم التوازن بين المادي والروحي، فجعل مناهج التربية المدرسية على سبيل المثال تقوم أصلا على أسس ومفاهيم وقيم مادية، بينما التربية الدينية لا تعطى لها إلا القليل من الوقت والاهتمام، دون ربطها بأهداف المتعلم، وأهداف مجتمعها مما جعلها سطحية لا تؤدي وظيفتها التربوية .

إن التأكيد على التربية المادية وإهمال التربية الروحية وانفصالها عن حياة الفرد في المجتمعات العربية، شنت فكره وشوش عليه حياته، فازدوجت معاييرها لما هو خطأ وما

هو صواب، وما هو حق وعدل وما هو ظلم و عار، يعمل حسب ما تمليه عليه مصالحه وهو في الوقت ذاته يمارس الشعائر الدينية من صوم وصلاة وحج. لم يقتصر ضرر الازدواجية هذه على المفاهيم الدينية وإنما أصاب ضررها المفاهيم العربية أيضا، إذ جعلت الإنسان العربي لا يفهم ولا يقتبس من الفكر الغربي إلا المادية والفردية و الأنانية، والاستهلاك وغيرها من القيم التي تهدر إنسانية الإنسان ولا تبنيتها.

المبحث الثاني: المجتمع وأهمية القيم الاجتماعية في التنظيم الإسلامي

1/ ماهية المجتمع

أولاً/ مفهوم المجتمع: يعد المجتمع الحيز والوعاء الذي ينتظم داخله الأفراد وفق خواص معينة، وضوابط ونظم قوانين وعلاقات، تحفظ انسجام هذا المجتمع ووحدته.

✓ وهناك من عرف المجتمع بأنه عبارة عن جماعة من الناس، تربطهم مصالح مشتركة وليس المجتمع بسيط كما يظن لأول وهلة، بل هو مركب، وهناك مجتمعات بعضها ضمن بعض، فلكل أمة مجتمعا له خصائصه الثقافية والحضارية والمصلحية. (محمد فاضل الجمالي ، 1967 ، 235)

✓ ويعرف المجتمع أيضا بأنه شبكة العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد وتهدف إلى سد حاجاتهم ، وتحقيق طموحاتهم وأهدافهم القريبة والبعيدة .

(إحصان محمد الحسن، 288، 2005)

✓ وعرف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافية محددة، معترف بها وتتمسك بمجموعة من المبادئ والمقاييس والقيم، والروابط الاجتماعية والأهداف المشتركة التي أساسها اللغة والتاريخ، والمصير المشترك.

إن هذا التعريف وإن حقق الإلمام بمفهوم المجتمع، إلا أن الاستثناء يتأكد حين نجد مجتمعات لا تربطها البقعة الجغرافية بقدر ما تربطها الأهداف واللغة والتاريخ كالمجتمع اليهودي مثلا، والذي يتواجد منذ القديم عبر مختلف بقاع العالم، إلا أنه بقي محتفظا بوحده التي كسر بها وشتت الكثير من القوى الاجتماعية، التي لم تحصن توأجدها البقعة الجغرافية.

✓ هناك من عرف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد يعيشون معا فوق بقعة معينة بتعاون وتضامن، ويرتبطون بتراث ثقافي معين ولديهم الإحساس بالانتماء بعضهم لبعض والولاء لمجتمعهم، ويكونون مجموعة من المؤسسات تؤدي لهم الخدمة اللازمة في حاضرهم، وتضمن لهم مستقبلا مشرفا في شيخوختهم ونظم العلاقات بينهم .

و هذا التعريف يبين بوضوح العوامل المشتركة بين الأفراد التي تربطهم وتجعلهم يتفاعلون مع بعضهم و مع وطنهم ضمن المنفعة المتبادلة التي تمنحهم القوة والأمان في مستقبلهم ضمن كيان و كنف المجتمع الواحد.

✓ ويستخدم لفظ المجتمع للدلالة على وحدة اجتماعية معينة مثل القبيلة *trube* او الدولة *national state* والتي لها مؤسساتها السياسية والاقتصادية والأسرية وقد تأثر هذا المفهوم بالسيادة والنظرية السياسية، وبذلك يعتبر المجتمع بمثابة بيئة مغلقة ومرتبطة سلفا يتجسد في العناصر التالية: الأرض أو الإقليم اللغة والنظم فضلا عن مجموعة من الرموز المشتركة مثل: العلم والنشيد الوطني وفقا لذلك فإننا نعبر في الكثير من الحالات عن الدولة بالمجتمع، فنقول المجتمع الجزائري (..) فالدولة يحكمها نظام سياسي يجسد الركن الأول لها وهي السيادة ثم الإقليم والشعب (علي مقداد ، 2011 ، 22)

ثانيا / عناصر المجتمع :

يعتبر المجتمع كائنا حيا مركبا يتأثر بالمحيط الذي يتواجد به ،كما يؤثر فيه وهو دائم الحركة والتغير، وهو في وجوده يتكون من جماعات متنوعة تبعا لتنوع وتخصص ونمط الأفراد التي تتكون منها ،وفي الأساس يتكون كل مجتمع من :

✓ الأوضاع الطبيعية

✓ الناس (الأفراد) في المجتمع

✓ التنظيم الاجتماعي. (إبراهيم ناصر ، 1983 م ، 53)

ثالثا / مفهوم الجماعة :

أ - تعريف الجماعة **groupe** :

بأنها شخصان أو أكثر يدخلان مع بعضهما في تفاعل لفترة زمنية معينة ،ويشتركان في الرغبة في تحقيق هدف مشترك. (بوتومور، 1978 م ، 122)

ب - نشوء الجماعات:

يتعلق نشوء الجماعات بعوامل بعدد السكان في المجتمع ،وكذلك السن والتركيب الجنسي والحالة الثقافية والمستوى الاجتماعي للأفراد، ويمر نشوء الجماعات بمراحل يتم من خلالها تكوين الجماعة .

- ظهور عوامل تسير التكوين الجماعي، وهي مرحلة ما قبل الجماعة وفيها تتواجد مجموعة من الظروف التي تثير لدى عدد من الأفراد الرغبة إلى أن يكونوا فيما بينهم جماعة ينتسبون إليها كتشابه الأهداف، والمصالح بين مجموعة الأفراد، أو وجود خطر يهدد المجموعة ولا يمكن التغلب عليه إلا بتنظيم المجموعة في شكل جماعة.

(حسان الجيلاني، 2008م، 21)

ج - الجماعة في سبيل التكوين

وفي هذه المرحلة ونتيجة للاتصال، ونمو العلاقات بين الأفراد يبدأ التكوين الجماعي في الظهور.

ثالثا: الجماعة في دور التنظيم وهي مرحلة نمو الجماعة وفيها تنشأ الحقوق والواجبات وتتخذ الحوافز والروادع، ويكون البيان الجماعي قد أصبح قائما على تنظيم يزيد من تماسك الجماعة.

رابعا: الجماعة الناضجة: وهي مرحلة الجماعة المتكاملة وتكون أهدافها واضحة و متماسكة، ومحددة المعالم.

د - الأسس التي تقوم عليها الجماعات:

إن الفطرة التي خلق عليها الإنسان جعلت منه كائنا اجتماعي لا يستطيع مزاوله حياته والعيش دون تواجد الأقران من بني جنسه بجانبه وعلى هذا فإن سبب تجمع الناس يعزوه " بيل " إلى العوامل الآتية :

1- الجغرافيا: لا يتحقق ارتباط الناس مع بعضهم إلا بالقرب المكاني والجغرافي

- 2- إشباع الحاجات: حاجات الجماعات المادية والاجتماعية
- 3- الغرض.
- 4- استمرارية الترابط.
- 5- الأخلاق: إن وحدة الجماعات يعبر عنها في حدود الأخلاق السائدة كالأيمان بالقيادة وما شابه ذلك. (نفس المرجع، 24)

هـ - **التنظيم الاجتماعي:** ويقصد به الوحدات الاجتماعية التي تقوم على خدمة الجماعة في المجتمع الواحد وتكون من أفراد وتلك الجماعة، وهدفها مجابهة مشكلات الجماعة وسد حاجاتهم ومن تلك الوحدات: المؤسسات ، كالأسرة والمدراس ودور العبادة والإدارات الحكومية، وكذا الجماعات التي لها نظام خاص كالمنظمات الخاصة بالأعمال والمهن، والجماعات الخيرية، والنقابات بأنواعها والنوادي الرياضية .

رابعاً : الشروط الواجب توافرها في المجتمع المتماسك

- أن يكون في المجتمع استمرار مادي أو شكلي، أما الاستمرار المادي فهو أن يتصل أعضاء المجتمع بعضهم ببعض لمدة طويلة من الزمن، أما الاستمرار الشكلي فمعناه أنه على الرغم من التغير السريع نسبياً في أعضاء المجتمع فإن العادات والتقاليد في المجتمع تكون ذات طابع معين .
- أن تكون لدى أعضاء المجتمع فكرة عن وجود هذا المجتمع ومكوناته وخصائصه .
- أن يكون للمجتمع تقاليد نتيجة لمرور الزمن .
- أن يقوى الوعي الجمعي وينمو عن طريق الاتصال والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى.
- أن يقوم في هذا المجتمع نظام محترم يضمن للأفراد سلامتهم وهويتهم .

خامساً : أشكال المجتمع

يرى بعض علماء الاجتماع أن المجتمع يمكن أن يحتوي على الأشكال الرئيسية التالية :

✓ **الجماعات الأولية:** تعتبر الجماعات الأولية التي يحتك بها الفرد وينتمي إليها من هذه الجماعات الأولية أسرة الطفل (...). إن هذه الجماعات الأولية هي جماعات صغيرة نسبياً، وتقوم فيها علاقة الأطفال فيها بينهم على أساس المواجهة المباشرة في هذه الجماعات.

✓ **المجتمع المحلي:** هو عبارة عن تنظيم اجتماعي أو نسق اجتماعي يحتوي على مجموعة من الأسر، والوحدات الاجتماعية الأخرى، والتي تعتمد الواحدة منها على الأخرى اعتمادا متبادلا، في سبيل إشباع الجزء الأكبر من حاجاتهم اليومية (...). كمجتمع القرية أو البادية . (نفس المرجع ، 58)

ويتواجد هذا الشكل أيضا في مجتمعات أخرى أكبر من حيث التعداد الأسري، كما هو الحال في المدن الكبرى.

✓ **المجتمعات العارضة:** وهي جماعات التي لا يوجد بين أفرادها وعي مشترك وهي جماعة غير مستقرة وغير مقصودة وتلقائية كالعابرين في الطريق أو المجتمعين في دار السينما .

✓ **الهيئات الاجتماعية:** يمكن أن نضرب عليها أمثلة كثيرة مثل: الأحزاب السياسية الجمعيات التعاونية، الجمعيات الخيرية، الأندية، أتباع المذاهب الدينية، الاتحاد العام لعمال النقل. (إبراهيم ناصر ، 58)

سادسا : حاجات المجتمع

إذا كانت الأسس النفسية متعلقة بالفرد وإمكاناته فإن الأسس الاجتماعية للتربية متعلق بطبيعة المجتمع وحاجاته.

ويذهب أغلب العلماء والمفكرين إلى أن الحياة الاجتماعية ليست مفروضة على الإنسان من خارجه بل هي مطلب أساسي وضرورة فطرية نابعة من داخله، والمجتمع لم يوجد إلا لأنه ضروري لوجودنا، يساعدنا على تلبية حاجتنا، ويضمن بقاءنا فهو ضرورة فطرية، إذ الإنسان لا يمكنه أن يوجد بدون الآخرين ولا يمكنه البقاء بدون مساعدة الآخرين . (زعيمي مراد ، 2004 ، 167)

ومن ثمة فإن المحافظة على هذا الاجتماع وتماسك المجتمع يتطلب إشباع حاجات حددها بعض المربين في ست أسس هي: الناحية الخلقية، الناحية المهنية، الناحية العائلية الناحية الوطنية ، والناحية الاستجمامية والصحية .

➤ **التنشئة الاجتماعية:** وهي تربية الفرد وتوجيهه والإشراف على سلوكه وتلقينه لغة الجماعة التي ينتمي إليها، و تعويده على الأخذ بعاداتهم، وتقاليدهم وأعرافهم وسنن حياتهم والاستجابة للمؤثرات الخاصة بهم، والخضوع لمعاييرهم، وقيمهم والرضا بأحكامهم و التطبع لطباعهم وتمثله بسلوكهم .

ويؤثر في التنشئة الاجتماعية بما يلي :

- الطبقة الاجتماعية (فقير، غني، تعليم، أمية).
 - الدين أو المعتقد وحتى الدين الواحد كالمسيحية يختلف باختلاف الطوائف.
 - البيئة: (الجبلية، نهريّة، ساحلية، صحراوية).
- **التمثيل الاجتماعي:** هو عملية تعمل على صهر ومزج العناصر الثقافية الحضارية الأصلية بالعناصر الثقافية والحضارية الوافدة في بوتقة واحدة، تتمثلها الوحدات الاجتماعية الطالعة في إطار المجتمع الكبير، وبهذه العملية تستطيع الجماعات التي تنتمي إلى مستويات حضارية متفاوتة، ومتباينة أن تندمج في نمط حضاري موحد وجديد .

في الواقع أن التمثيل يعد آلية استمدت واستعارها علماء الاجتماع كمصطلح من علوم البيولوجية، وهذا نظرا للتشابه الكبير بين المجتمع ككائن حيوي والكائنات الحية الطبيعية ومثل ذلك الكثير من الآليات كالتناقل الاجتماعي، والتطبيع الاجتماعي والتكيف الاجتماعي.

➤ التواصل الاجتماعي:

هو عملية يمكن بواسطتها نقل آثار التفاعل أو التبنية أو التبديل في أي وحدة من وحدات البناء الاجتماعي، بحيث يصل بالتفاعل أو التبديل إلى الهيكل الاجتماعي العام.

➤ التكيف الاجتماعي:

هو عملية تربوية تنطوي على التطبيع والتنشئة والتمثيل، والتعاون بالاتصال، حتى يصبح الفرد مخلوقا اجتماعيا متعايشاً مع الجماعة، وتصبح حياته جزءا من الحياة الاجتماعية التي تحيط به. (نفس المرجع، 42)

➤ التطبيع الاجتماعي :

عندما يولد طفل يكون كالصفحة البيضاء ، ومنذ ولادته يبدأ بالتكيف مع مجتمعه الجديد ،وما أن يشب ويكبر ، حتى يبدأ في التصنيع واكتساب عادات وتقاليد الجماعة التي تعيش من حوله، ويكتسب طريقة حياة وسلوك معين وهو ما يراه أمامه أو يتعلمه من حوله، ونتيجة لاحتكاكه مع من يعاشرهم ويقيم العلاقات، تتكون بذلك شخصيته الفردية والاجتماعية، ولكن ذلك لا يعني أن كل الأطفال في الجماعة الواحدة ينشئون مثل بعضهم البعض، فهناك فروق فردية في الذكاء والاستعدادات والنمو والتكيف، وفروق بيولوجية وأخرى. (نفس المرجع)

2/ أهمية القيم في تنظيم المجتمع الإسلامي

أولاً: ماهية القيم

رغم تعدد الفلسفات والتصورات للقضية القيمية إلا أن موقفها من أهمية القيم وضرورتها للسلوك الإنساني واحد لا يتغير، إذ يتفق الجميع على أثرها البالغ في تشكيل سلوك الإنسان، وبناء شخصيته وتعريفه بذاته لذا تعتبر القيم جزءاً هاماً من الإطار المرجعي للسلوك وفي التوجيه والإرشاد، كما تتضح أهميتها أيضاً في انتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن كما أن لها دوراً في العلاج النفسي، وتحقيق الصحة النفسية للأفراد.

ثانياً : أهمية القيم

تزود القيم أفراد المجتمع بمعنى الحياة، وبالهدف الذي يجمعهم من أجل البقاء، كما أن نسق القيم يجعل الأفراد يفكرون فيما يقومون به من أعمال على أنها محاولات للوصول إلى أهداف و عمليات، تعطي لحياة الإنسان معنى. (عبد القادر الشريف، 2007، 147)

أ- القيم و العلاج النفسي:

يسعى الناس أحياناً للإبقاء على أوضاع معينة يحسون نحوها بالالتزام الخلقي أو يحاولون الوصول إليها ويبدلون في سبيل ذلك الشيء الكثير من تلقاء أنفسهم، وقد يتفوقون وفق قيمهم في بعض الحالات، وفي حالات أخرى قد يسلكون عكس ذلك مما يسبب لهم نوعاً من الصراع الداخلي بين ما وصلوا إليه، وما كانوا يريدون الوصول إليه بسبب الوازع الديني و الخلقي، أما عندما يحدث توافق بين رغبات الفرد وقيمه، فإن ذلك الصراع يتلاشى وهذه الحالة توضح جلياً أهمية القيم في العلاج النفسي و تحقيق الصحة النفسية للأفراد .

ب/ القيم دعامة لتفكير الفرد:

إن القيم توضح للإنسان الكيفية التي سيسلكها في المواقف المستقبلية، وتضع له معايير للنظر في المشاكل اليومية، وتساعد الإنسان على التفكير، وكذا اختياره للوسائل والأساليب الكفيلة لحل مشاكله كما يسمح بتفسير السلوك العقلي للإنسان .

ج/ القيم وحدة المجتمع و تماسكه:

فكلما كانت القيم موحدة و ثابتة، كلما أدى ذلك إلى تماسك المجتمع، و وحدته إلى حد كبير، و يقدر تفاوت القيم و تباينها يكون تفكيك المجتمع، و من ثم فإن وجود أنساق مشتركة من القيم داخل المجتمع تعمل بوصفها إطارا مرجعيا مشتركا سائدا لأفراد المجتمع .

(لويس كامل مليكة، 1991، 72.71)

و تعتبر القيم عنصر من عناصر الثقافة في كل مجتمع، وربما كانت من أهم تلك العناصر، فحامل الثقافة الذي يتوحد مع ثقافته إنما يجسد كل أو معظم مظاهر الثقافة "ومن ناحية أخرى تكمن الثقافة في توقعات ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه وربما كان هذا دليلا على التداخل الشديد بين القيم و الثقافة " .

د/ أهمية القيم للفرد :

تتضح أهمية القيم للفرد في القضايا الرئيسية الآتية:

- القيم جوهر الكينونة الإنسانية:

تضرب القيم جذورها في النفس البشرية لتمتد إلى جوهرها و خفاياها و أسرارها وهي تشكل ركنا أساسيا في بناء الإنسان و تكوينه، و لقد كانت رسالة الإسلام فيه واضحة تمام الوضوح، و قاطعة بما لا يدع مجالا للتقول أو التزييف، فبيان حقيقة الإنسان هي القضية الأولى التي لا يمكن تجاوزها، إن أية نظرية تربوية أو قيمية تبنى على تصور خطأ عن الإنسان و جوهره، و رسالته و دوره و مصيره يتولد عنها لزاما منهجا غير صحيح في التعامل مع الإنسان و تنشئته و تربيته.

- القيم تحدد مسارات الفرد و سلوكياته في الحياة:

ينبع السلوك الإنساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور و المعتقد و الفكر فتفكير الإنسان في الأشياء و المواقف التي تدور حوله و بناء تصوراتها عنها، هو الذي يحدد منظومته القيمية، و من ثم تصدر أنماط السلوك وفق هذه المنظومة.

- القيم حماية للفرد من الانحراف و الانجرار وراء شهوات النفس و غرائزها

لقد تحدث الإسلام عما للغرائز من تأثير على النفس البشرية، فلم ينكرها أو يقهرها لأن قهرها سيولد أزمات و مشكلات عميقة في تلك النفس، ولكنه وضع نظاما قيميا مسيطرا على تلك الغرائز و الشهوات يعمل على ضبطها و تنظيمها، فتكون خادمة للإنسان لا سيدة عليه، لأن سيادة الغرائز تعني الضياع و قد أمتن الله على المؤمنين بأن

هداهم إلى الدين القيم، وأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وذلك سبيل الرشده و الصلاح. (ماجد زكي الجلاذ ، 2007 ، 42)



إنه سياق القيم الذي يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي و الجسدي و الاجتماعي.

- تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبية:

قيم الفضيلة تعزز لدى الإنسان الطاقات الفاعلة وتمكنه من التفاعل الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة، فأهدافه واضحة ومساراته بيّنة، وقناعاته مبصرة، ومنظومته القيمية مسيطرة، فهو ينتقل من النجاح إلى النجاح، بكسب الثقة بنفسه أما عندما تسيطر القيم السلبية على الإنسان فإنها تورثه العجز و الضعف و سوء الحال ،فأعماله سيئة، وأفكاره سيئة ويفقد ثقته بنفسه وقد قال رسول الله عليه الصلاة و السلام :

((العاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)). (الترمذي ، 2383)

هـ : أهمية القيم للمجتمع

للقيم أهمية بالغة في حياة الأمم و الشعوب فالمجتمع الإنساني مجتمع محكوم بمنظومة معايير تحدد طبيعة علاقة الأفراد في شتى مجالات الحياة، كما تحدد مجموعة المعايير التي يتعامل بها المجتمع مع غيره من المجتمعات الإنسانية.

(1) القيم تحفظ للمجتمع بقاءه و استمراريته :

إن بقاء المجتمعات واستمرارها لا يتعلق فقط بالمعايير المادية، بل هو مرهون بما تمتلكه من معايير قيمية و خلقية، فهي الأسس والموجهات السلوكية، التي يبني عليها تقدم المجتمعات و رقيها و التي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية و الإنسانية و رسم معالم التطور و التمدن البشري وفي حالة اختلاف الموازين و فقدان البناء أقيمي السليم

فإن عواقب ذلك لا محالة وخيمة تؤول بالمجتمع إلى الضعف، و التفكك و الانهيار ولقد
 وضع القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من آياته.

قال تعالى: ﴿...﴾ (الأعراف ، 96)

وقوله تعالى: ﴿...﴾ (النحل ،)

(112)

ولقد شهد لهذه الحقيقة القرآنية التي وضعت قانون الأمم و الشعوب الإنسانية، وحقها في
 البقاء أو الفناء أكثر من عالم من علماء التاريخ.

(2) القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه:

فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها لما لتركيبتها من أصول ثقافية ومعايير
 قيمية، تمثل نواحي الحياة المختلفة، وتظهر القيم كعلامات فارقة، وشواهد واضحة لتميز
 المجتمعات عن بعضها ومن هنا فإن الحفاظ على هوية المجتمع تنبع من المحافظة على
 معاييره القيمية المتأصلة لدى أفرادها، والتي هي جزء من عمومياته الثقافية، فإن
 زعزعت هذه القيم أو اضمحلت فإن ذلك يكون مؤشرا دالا على ضعف الهوية المميزة
 للمجتمع وضياعها.

(3) القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة:

تؤمن القيم للمجتمع حصنا راسخا من السلوكيات و القيم والأخلاق التي تحفظ له
 سلامته من المظاهر السلوكية الفاسدة، مما يجعله مجتمعا قويا بقيمه ومثله تسوده قيم
 الحق و الفضيلة و الإحسان، وتحارب فيه قيم الشر و الفساد .

وهنا تبرر أهمية البناء القيمي السليم للأفراد حيث يتمكنون من التمييز بين الخير والشر والنافع والضار، وفق معايير الثقافة و التي يؤمنون بها .

ثالثا: خصائص القيم الاجتماعية

للقيم مجموعة من الخصائص الذاتية التي ترتبط بمفهومها، وتميزها عن غيرها من أنماط السلوك الإنساني، ومن أهمها :

(ماجد زكي الجلاذ، 35، 2007)

أ/القيم ذاتية وشخصية:

ترتبط القيم بشخصية الفرد وذاته ارتباطا وثيقا وتظهر لديه على صورة مختلفة من التفضيلات، والاهتمامات و الاختيارات، والحاجات، والاتجاهات، و الأحكام، مما يجعلها قضية ذاتية شخصية يختلف الناس حول مدى أهميتها وتمثلها باختلاف ذواتهم وشخصياتهم وهذا يؤكد أهمية ترسيخ العقائد و التصورات الصحيحة عند بناء القيم وتشكيلها.

ب/القيم نسبية:

تعني نسبية القيم أنها تختلف باختلاف الزمان والمكان و الإنسان فتقديرها وبيان أهميتها وجدواها تختلف من إنسان إلى آخر، ومن مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، وذلك لتصورات الأفراد للقيمة وارتباطاتها الزمنية و المكانية، فالقيمة ثابتة عند صاحبها، وراسخة عند معتقديها سواء من حيث مصدرها وأهميتها وجدواها وضرورة تمثلها لأنهم اختاروها، وميزوها بالعقل و الفهم العميق وجعلها معيارا لسلوكهم .

فاختلاف التصورات يورث رؤى للقيم الحسن منها والقبيح و المقبول منها و المردود بناء على قاعدة "القيم تابعة للفكر ومتولدة منه" .

(ماجد زكي الجلاذ، 37)

ج/القيم تجريدية:

القيم معان مجردة تتسم بالموضوعية والاستقلالية، تتضح معانيها الحقيقية في السلوك الذي تمثله و الواقع الذي نعيشه، فالعدل من حيث هو قيمة يحمل معنى ذهنيا مجردا غير محسوس، لكنه يتخذ قيمة من الواقع الحي الممارس .

فالقيم إذن معان كلية ومطلقة ومجردة، ولا تكون إلا إذا اندست بالواقع والسلوك ، أي يؤمن بها الإنسان كموجة يحتضنها في سلوكه .

د/القيم متدرجة:

تدرج القيم يعني أنها تنتظم في "سلم قيمي" متغير ومتفاعل حيث تترتب القيم عند الفرد ترتيباً هرمياً تهيمن فيه بعض القيم على بعضها الآخر، فللفرد قيم أساسية مسيطرة لها درجة كبرى من الأهمية، و هي تأتي في قمة هرمه القيمي فالصلاة و طلب العلم قيمتان يدين بهما المرء، إلا انه قد يوجد في ظرف يحتم عليه الاختيار بينهما، فيقدم الصلاة على طلب العلم وفقاً لترتيبه الهرمي وقد يفعل عكس ذلك.

وتظهر أهمية هذه الخاصية عند تعليم القيم في إدراك القضايا الرئيسية الآتية:

- وجود مساحة عريضة من القيم تتناسب وأنواع المواقف التي يمكن للفرد المفاضلة والاختيار بينها، ومن ثم تأتي أهمية تعليم المتعلم كيفية الاختيار المفاضلة بين القيم بمنهج تفكير سليم .

- إمكانية التغيير في بناء القيم، إذ إنها لا تتخذ مرتبة ثابتة لا تتغير في نفس الفرد بل ترتفع و تنخفض، وتتقدم وتتراجع فيما بينها تبعاً لتصورات الفرد وبناءه الشخصي وتربيته وطبيعته، لما يتعرض له من مؤثرات خارجية .

ج/ أهمية العوامل البيئية و التربوية في توضيح "السلم القيمي" وثباته، فالخبرة و النضج و الوعي، و النمو و التعلم، جميعها تؤثر في مدى وعي الفرد وإدراكه للقيم، وكلما أزداد الوعي و الإدراك و النضج، كان ذلك أدهى لحسن ترتيب القيم وتنظيمها ومن ثم ثباتها .

رابعاً: وظائف القيم التربوية

تساهم القيم بدور فعال في حياة الطفل لأنها بمثابة معايير يقاس بها العمل وتوجه الطفل إلى القدرة على التمييز بين الخير، والشر والصواب، و الخطأ، و الحسن و القبيح. و تساعد القيم على التنبؤ بسلوك صاحبها، فمتى عرفت ما لدى شخص ما من قيم استطعت أن تتنبأ بما سيكون عليه سلوكه في المواقف المختلفة، ونظراً لتأثير القيم على السلوك، فإن القيم تكون جزءاً لا يستهان به من الإطار المرجعي للسلوك ومن ثم تستخدم كمعيار للحكم على هذا السلوك . (أحمد عبد الله إسماعيل، 22)

وتدفع القيم الأفراد إلى العمل وتوجه نشاطهم، وتعمل على حفظ نشاط الأفراد بحيث يكون موحداً أو متناسقاً، وتلعب القيم دوراً فعالاً في التوافق النفسي الاجتماعي للأفراد إلى جانب الدور الذي تلعبه في عمليات العلاج النفسي هذا ومن وظائف القيم الفردية ما يلي :

- ✓ تهيئ للأفراد خيارات معينة تحدد السلوك الصادر منهم وبمعنى آخر تحدد شكل الاستجابات، وبالتالي تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية الفردية .
- ✓ تحقق للفرد الإحساس بالأمن، وتتيح له الفرصة التعبير عن نفسه
- ✓ تعمل القيم على إصلاح الفرد نفسيا وخلقيا، وتوجهه ناحية الخير
- ✓ تربط أجزاء ثقافة المجتمع ببعضها، حتى تبدو متماسكة ومتناسقة .
- تحفظ للجماعة روحها وتماسكها داخل أهدافها التي ارتضتها لنفسها، كما أنها تساعد المجتمع على التمسك بمبادئه الثابتة و المستقرة .

وهكذا تتكامل الوظائف الفردية للقيم مع الوظائف الاجتماعية لها بحيث تعطي في النهاية نمطا في الشخصية الإنسانية، القدرة على التكيف الإيجابي مع متطلبات وظروف المجتمع الذي يعيش فيه .

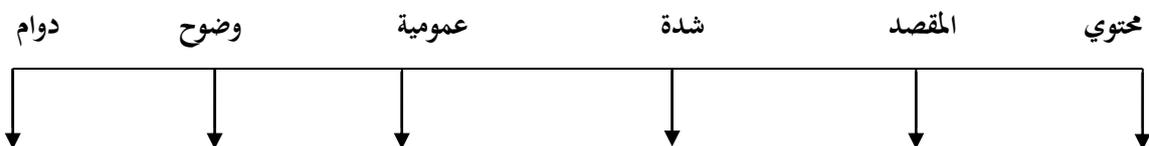
هذا وتؤدي القيم الوظائف التالية :

- تزود القيم الفرد بالإحساس بالغرض لما يقوم به و توجهه تجاه هذا الغرض .
- ✓ تهيئ القيم الأساس لعمل الفرد، و العمل الجماعي الموحد .
- ✓ تتخذ أساسا للحكم على سلوك الآخرين .
- ✓ تمكن القيم الفرد من معرفة ما يتوقعه من الآخرين.
- ✓ تولد لدى الفرد إحساسا بالصواب و الخطأ .

خامسا: تصنيفات القيم

لقد تعددت التصنيفات المقترحة للقيم وجاءت معبرة عن فلسفة أصحابهم ونظرتهم للقيم كمفهوم ونظرية ومنظومة فنلاحظ أن هناك تصنيفات خاصة بالفلاسفة وأخرى لعلماء النفس و التربية، وكل تصنيف منها يعتمد معيارا محددًا يضم تحته منظومة القيم الخاصة بالعلم الذي يعالجه.

ومن بين هذه التصنيفات ما يلي : (ماجد زكي الجراد ، 47)



القيمة من القيمة القيمة القيمة القيمة القيمة

شكل (1):

معايير تصنيف القيم

المعيار الأول: محتوى القيمة

من أشهر التصنيفات التي اعتمدت معيار محتوى القيمة ومضمونها تصنيف عالم النفس الألماني " سبرانجر " Spranger في كتابه " (types of men) أنماط الرجال حيث قسم الناس إلى ستة أنماط بناء على القيم الأساسية التي يعتقدون بها . وقد جاء تصنيفه هذا بناء على دراسته وملاحظته لسلوك الناس في حياتهم اليومية .

ومن بين هذه القيم :

أ- القيم النظرية :

وتعني الاهتمام بالمعرفة واكتشاف الحقيقة، والسعي إلى التعرف على القوانين وحقائق الأشياء وتمثل نمط العالم والفيلسوف

ب- القيم الاقتصادية:

وتتضمن الاهتمام بالمنفعة الاقتصادية والمادية، والسعي إلى المال والثروة، وزيادتها عن طريق الإنتاج واستثمار الأموال ...وهي تتمثل نمط رجال الأعمال والاقتصاد .

ج-القيم الجمالية :

تعبر عن الاهتمام بالجمال وبالشكل وبالتناسق هي تهتم بالشخص ذا الاهتمامات الفنية والجمالية .

د-القيم الاجتماعية:

وتتضمن الاهتمام بالناس ومحبتهم، ومساعدتهم وخدمتهم، والنظر إليهم نظرة إيجابية كفايات، لا وسائل لتحقيق أهداف شخصية وتجسد نمط الفرد الاجتماعي.

هـ - القيم السياسية:

تتضمن عناية الفرد بالقوة والسلطة، والتحكم في الأشياء أو الأشخاص والسيطرة عليهم .

و-القيم الدينية :

وتتضمن الاهتمام بالمعتقدات والقضايا الروحية، والدينية والغيبية والبحث عن حقائق الوجود، وأسرار الكون .

ولابد من الالتفات هنا إلى أن التصنيف السابق لا يعني أن الوصف للفرد نمط قيمي معين ينفي أن تكون لديه قيم من أنماط أخرى، بل تعني إن هذا النمط من القيم غالب عليه وظاهر في سلوكه ولذلك وسم به.

المعيار الثاني: المقصد من القيمة :

تنقسم باعتبار مقصدها إلى قسمين :

أ- القيم وسائلية:

وهي القيم التي تعد وسيلة لغايات أبعد، فهي ليست مقصودة لذاتها بل لتحقيق غاية عليا أبعد منها .

ب- قيم غائية:

وهي القيم التي تكون غاية في حد ذاتها، و يصعب التمييز بين القيم الو وسائلية والغائية وذلك نظرا لتداخلها وامتزاجها بعض ببعض وتبعاً للظرف و الزمان الذي ينظر إليها فيه.

المعيار الثالث :شدة القيمة:

ترتبط شدة القيمة بأمرين:

أولهما : درجة الالتزام التي تفرضها على الفرد.

وثانيهما: الجزاء أو العقوبة التي تقررها وتوقعها على من يخالف القيمة و بمقدار درجة الإلزام والجزاء تكون شدة القيمة أو ضعفها .

المعيار الرابع: عمومية القيمة:

ويقصد مدى شيوع القيمة و انتشارها وتصنف القيم فيه إلى صنفين هما:

1-القيم العامة: وهي القيم الشائعة والمنتشرة في المجتمع بغض النظر عن فئاته وطبقاته وبيئاته وتمثل هذه القيم الإطار القيمي العام الذي يحتكم إليه أفراد المجتمع في سلوكياتهم وأحكامهم .

2-القيم الخاصة: وهي القيم التي ترتبط بفئة خاصة تتحدد بزمان ومكان معينين ومن أمثلتها:إخراج الزكاة في شهر رمضان، والصلاة في مصلى العيد والاحتفال بالمناسبات الدينية .

المعيار الخامس وضوح القيمة:

تنقسم القيم من حيث وضوحها إلى قسمين:

1-القيم الصريحة :

وهي القيم التي يصرح بها الفرد ويعلن عنها بالكلام .

2-القيم الضمنية :

وهي القيم التي يستدل عليها من خلال السلوك المنتظم الذي يصدر عن الأفراد ولذلك تعتبر فيها قيما حقيقية صادقة إذا إن أفضل ما يدل على القيمة هي أثارها الظاهرة في السلوك، بحيث لا يمكن أن يفصل دور المدرسة القرآنية وتأثيرها في تنمية القيم الاجتماعية من مجرد تبنيتها لمنهج يحتوي على هذه القيم، ما لم يكن ذلك ظاهرا في سلوك الأفراد الذين قامت بتنمية هذه القيم لديهم، وهذا في حد ذاته تأكيدا على أداء دورها واكتمال مهمتها.

المعيار السادس: دوام القيمة

و تنقسم القيم من ناحية دوامها إلى قسمين :

1- قيم عابرة :

وهي القيم العارضة التي لا تدوم طويلا، وإنما توجد لوقت قصير مؤقت لارتباطها بحدث ما، أو ظاهرة معينة تزول بزوالها ومن خلالها الدور الذي تقوم به المدرسة القرآنية فإنها تستطيع بسهولة محاربة القيم العابرة التي تظهر بين الحين والآخر ترتبط بموضة مثلا، أو سلوك معين لأنها سرعان ما تتلاشى وتذهب، خاصة وأن المدرسة القرآنية تتبنى قيما ثابتة وأصيلة.

2/القيم الدائمة: وهي القيم التي تدوم طويلا و يتناقلها الناس من جيل إلى جيل ،و تتخذ

صفة الإلزام والتقدير كالقيم الخلقية من صدق وأمانة، وعدل وهي القيم التي تتخذها المدرسة القرآنية منهجا في تعليمها لطلابها.

سادسا: القيم الإسلامية المفهوم والأسس

لقد اعتنى علماء الإسلام بالقضية القيمية عناية واضحة، وبخاصة ما تعلق منها بالقيم الخلقية المتعلقة بتهديب النفس والسمو بالروح، وقد ارتبط تصور هؤلاء العلماء للقيم بنظرة الإسلام الشاملة للعلم والإيمان، والمعرفة وأثرها في تنشئة الإنسان وتربيته، وتجلى هذا التصور في أبداع صورته في "علم السلوك" الذي وظفه علماء الإسلام وبخاصة الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين جزءا كبيرا من جهودهم للكشف عن خصائصه وسماته وانبثقت فكرة السلوك عندهم من حقيقة مؤداها أن أحكام الشرع هي المعيار الصحيح الذي يتوجب أن يتحدد في ضوءه السلوك السوي، والذي يقاس بمدى الالتزام بالحدود الشرعية و الوصايا الربانية الشاملة التي أمر بها الله عز و جل، ويمثل هذا التصور الأساس الذي تبنى عليه نظرية القيم في المنهج التربوي الإسلامي وهي تختلف في جوهرها عن الفلسفات والمدارس الوصفية التي تعمل على إلغاء دور الدين أو تهميشه عند الحديث عن القيم وفلسفتها .

ومن هنا يظهر لنا أن القضية القيمية التي توكل إلى المدرسة القرآنية هي من منطلق الاهتمام بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لذلك فمهمة المدرسة القرآنية هي إيصال هذه المفاهيم القيمية، وتحويلها إلى سلوكيات ظاهرة وتجنب القيم السلبية من خلال توضيحها وتبيان المخاطر منها.

1/ مفهوم القيم الإسلامية:

تتضح من خلال بعض التعاريف المقترحة "للقيم الإسلامية" إنها تأثرت بمجملها بالاتجاهات التربوية المعاصرة حيث أسس مفهومها على بعدين هما:
البعد السلوكي، والحكم الشرعي الذي يحكم به على السلوك من حيث كونه حسنا أو قبيحا ومن ناحية ثانية تظهر دراسة التعريفات مدى الاختلاف بين الباحثين في تحديد إطار القيم الإسلامية ما بين مضيق لها لتعني "الأخلاق الإسلامية" وبين موسع يجعلها مرادفة ومساوية لمفهوم الإسلام ذاته.

ومن بين هذه التعريفات:

أ- القيم الإسلامية: هي حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدي بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك .

ب- هي مقاييس تحكم على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها و كراهيتها أو منزلة معينة بين هذين الحدين ".
(ماجد زكي الجلاذ، 54)

ج- مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل، والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل وهذه القيم التي تحدد علاقة الإنسان، وتوجهه إجمالاً و تفصيلاً مع الله عز وجل ومع نفسه ومع البشر ومع الكون و تتضمن هذه القيم غايات و وسائل ."

د- هي عبارة عن مكون نفسي معرفي عقلي ووجداني أدائي يوجه السلوك ويدفعه ولكنه الهى المصدر ويهدف إلى إرضاء الله تعالى ."

من خلال هذه التعريفات يثبت أن القرآن الكريم هو منهج متكامل في دراسة لنماذج السلوكية المعروضة في القرآن وتحديد دورها في بناء الشخصية، من خلال الإقتداء بالنماذج التي عرضها القرآن الكريم، بحيث تحتل فئة الأشياء أعلى مرتبة في سلم النماذج السلوكية المقترحة، وعلى رأسها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما يسهل مهمة المدرسة القرآنية في ترسيخ القيم الإيجابية من خلال التمعن الدقيق للآيات القرآنية وأخذ العبرة منها.

2/المنظومة القيمية الإسلامية:

تقوم منظومة القيم في الثقافة الإسلامية على التعاليم الدينية، وهذا ما يجعلها تتميز عن بقية المنظومات التي لا تجعل للدين اعتباراً في تشكيلتها القيمية، ومن هنا يأتي حديثها عن القيم من المنظور المادي الفلسفي، لدرجة اعتبرت فيها القيم حيادية ومتغيرة ولا يجب تلقينها أو فرضها لأنها جزء من الحرية الشخصية، فالإنسان حر في اختيار قيمه ما دام يحقق وجوده كما يرى الوجوديون، والقيم المتغيرة لا ثبات لها كما يرى البرجماتيون وهذه النظرة جعلت القيم فضفاضة لا معيار لها من صلاح أو فساد، أو قبول ورد حتى تلك القيم التي قد تظن أن لا خلاف حولها كالإيمان والزواج والمال والحق والخير.

بينما تنظر الثقافة الإسلامية للقيم من زاوية مغايرة تماماً إذ تقرر أن القيم ترتبط بالعقيدة والشريعة، وأن لها منظومة محددة في الكتاب و السنة .

ومن هنا تظهر أهمية القيم في منظومة المجتمع الإسلامي بشكل جلي على اعتبار تبنيتها لهذا المنهج القرآني، وفي ظل هذا الهدى القرآني الكريم والحديث النبوي الشريف يأتي التعامل مع القيم الجديدة، فما وافق هدي الإسلام من القيم فهو مقبول وما خالفه فهو مردود وقيم الإسلام كلها خيرة وفاعله.

3- أصول منظومة القيم الإسلامية:

أ/ العقيدة الإسلامية: تعتبر العقيدة الإسلامية المنبع الرئيسي للقيم الإسلامية حيث ترتبط نظرة الإسلام بين التصور العقائدي و بين السلوك أقيمي، لذلك فالعقيدة والسلوك مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا لهذا فان ما تقدمه تعاليم الإسلام من قيم لا يصبح ذا فائدة ما لم يتحول إلى سلوكات ظاهرة لان السلوك الإنساني لا ينبعث من فراغ بل يقوم على قاعدة راسخة ثابتة من المعتقدات المعرفية و الوجدانية و بذلك يكون السلوك أقيمي جزءا مهما يعبر عن جوهر الإيمان ومدى عمقه في النفس و العقل و القلب وقد ربط القرآن الكريم والحديث النبوي بين الاعتقاد القلبي و السلوك أقيمي أو العمل الصالح

لقوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِرُّكُمْ وَلَا أَنفُسِكُمْ أَنفُسَكُم مَّا تَكْفُرُونَ﴾ (النحل، 97)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة، 177)

(سورة البينة، 7)

من هنا يتبين أن العقيدة الإسلامية هي التي تعطي منظومة القيم الإسلامية ومنها تنبثق جميع القيم، وتستمد شرعيتها و قوتها وعلى أركان الإيمان المتمثلة في الإيمان بالله وملائكته، ورسوله، وكتبه، و اليوم الآخر، و القدر خيره وشره، يقوم بناء قيمي متنسق الفروع متعدد الجوانب، فمصداقية القيم و مستوى عمقها وعوامل التزامها، إنما تعود في الحقيقة إلى درجة إيمان الإنسان بها و اعتقاده بصحتها وإيمانه بمشروعيتها.

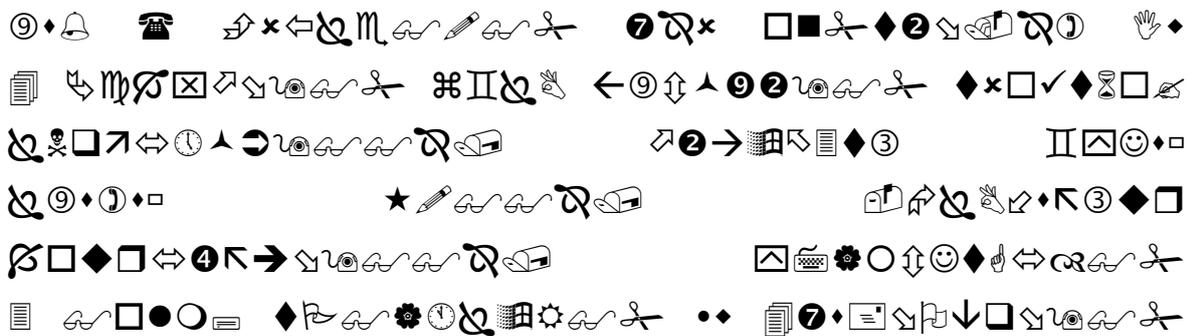
ب/ الأحكام الشرعية المحددة للقيم الايجابية و السلبية: إذا كانت العقيدة هي الأساس التصوري والمعرفي للقيم فان ميدان القيم العملي يظهر في سلوك يتحدد بما تقرره الأحكام الشرعية من سلوك مرغوب أو مرفوض، فمعيار الصلاح أو الفساد السلوكي في منظور الإسلام، إنما يرتبط بالحكم الشرعي، فما رآه الشرع حسنا فهو حسن وما رآه الشرع قبيحا فهو قبيح.

- و سلم القيم في الإسلام هو سلم ثلاثي التركيب يتكون من المراتب الآتية :
- قيم ايجابية : تشمل القيم المفروضة التي يجب التزامها وعدم التقصير فيها وقيم مندوب إليها ومرغوب فيها من غير إلزام.
- قيم سلبية: تشمل كذلك نوعين من القيم قيم منهي عنها وهي القيم المحرمة التي يلزم الابتعاد عنها وقيم مكروهة حث الشرع على الابتعاد عنها من غير إلزام .
- القيم المباحة: وهي وسط بين القيم الايجابية والسلبية و الخيار فيها مفتوح للفرد بين الفعل و الترك و تقوم حكمة هذا على فكرة إبقاء الإنسان في دائرة القيم الايجابية، و حمايته من الوقوع في القيم السلبية. (دراز محمد عبد الله ، 1982 ، 60)

ج / حرية الاختيار والإرادة:

حتى تكون للقيم فاعليتها و قوتها الإلزامية، فانه ينبغي أن تقوم على حرية الاختيار لا الإكراه و الإكراه، و من هنا تبنى منظومة القيم الإسلامية على إعطاء الفرد حرية الاختيار و الإرادة لما يختاره من قيم، ولكنها في الوقت ذاته تربط بين الحرية و الإرادة و بين المسؤولية و الجزاء فالله عز وجل لم يجبر الإنسان على الإيمان به إجباراً، بل منح الإنسان حرية الاختيار حتى بين الإيمان، و الكفر، و لكنه أعقب كل اختيار بمسؤولية وجزاء .

ويتجلى ذلك بقوله تعالى :



و إخراجها عن المجال العمومي حيث ينجر عن إضعاف أو قلب القيم انعكاسات سلبية على صعيدي المنظومة القيمية و المؤسسات المختلفة للنظام، على اعتبار أنها تمثل الجانب الملموس المجسد لها في كل المجالات و يترتب عنه اختلال كبير و فساد في المجتمع.

هنا تكمن المهمة الصعبة أمام المؤسسات التربوية التي تحمل على عاتقها ضرورة الحفاظ على هذه القيم و عدم الانجراف وراء الآراء المنافية لها، و التي تحاول عصرنة الإنسان بفقدانه لأهم قيمه باسم التحرر، لذلك تظهر جليا المسؤولية التي تتبناها هذه المؤسسات من خلال تبني منهج محكم متوازن يحافظ على سيرورة القيم و دوامها بالصورة التي جاء بها القرآن و تحافظ عليها على مدار قرون من الزمن من كل ما كان يحاك لها من مكائد.

دور تجدد القيم في إحداث التغيير بالمجتمع :

إن عيش الأفراد ضمن جماعات هو ضرورة وجود، وتحدي لمطالب الحياة، كما أن طبيعة البحث متأصلة في طبيعة الأفراد، والميل إلى اكتشاف الجديد هو من مميزات الفكر الإنساني، لذا نجد الأفراد لا يقتنعون في غالب الأحيان بالواقع الحياتي المتواجدين عليه ونجدهم في تقصي دائم، وحرآك دائم للبحث عن سبل جديدة لتغيير حياتهم إلى الأفضل حسب رؤاهم، وقناعاتهم ومبادئهم، وهم بذلك في هلع دائم وضغط نفسي واجتماعي متواصل، لكون كل واحد منهم يمثل حلقة من حلقات المجتمع المتزاحمة المضغوطة وهذا الضغط أو الدافع إما يكون داخلي يرجع إلى درجة طموح الأفراد وهواياتهم وأمالهم وأحلامهم، وكسر جمود الروتين من حولهم، أو هو نتيجة حتمية تتطلبها ضروريات الحياة المختلفة، فهو في سعي دائم إلى اكتسابها والحصول عليها من أجل ضمان استقراره وطمأنينته وسعادته.

إن عيش الإنسان في جماعة، وضرورة تطويره في نظام اجتماعي على شكل ما، يمثل مطلباً حيويًا على المستوى البيولوجي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي، إذ يعتبر إحدى الشروط الرئيسية لبقاء الإنسان على وجه الأرض، وضمن لبقاء المؤسسات الاجتماعية الحيوية، إن للإنسان حاجيات متعددة من طعام وملبس ومأوى، وحاجات نفسية واجتماعية كمطلب للاستقرار، وضرورة الزواج والحصول على مكانة اجتماعية مرموقة.

إن التصور العام لأفراد مجتمع ما حول الكون، والسماء والأرواح والقوى الغيبية والذي في أصله ينبع من أفكار ذات بعد ديني، وفلسفي، يجعل من أفراده يخضعون إلى القيم المتولدة عنه في شكل أعراف، أو قوانين يسلمون لها ويؤمنون بها، واذكر في هذا المقام أنه في فترة الثمانينات والسبعينات كانت تسود مجتمعنا على سبيل المثال بعض القيم الاجتماعية، حول القباب والصالحين " لخوان" يميل إليها الكثير من شرائح المجتمع الإشباع حاجاتهم الروحية (...). سرعان ما تلاشت جلها بسبب انتشار التعليم وثقافة الجيل الجديد.

ونجد sumner يؤكد أن " النظم تبدأ بأساليب السلوك، التي تتحول إلى عادات جماعية وهذه الأخيرة ما تلبث أن تتحول إلى قيم ومعايير أخلاقية، بسبب ارتباطها بالفلسفة الاجتماعية التي تجعل منها ضرورة للصالح العام ((. (السمالوطي نبيل ، 1981 ، 21)

إن تغير القيم كثيرا ما يخضع ويرجع إلى الثقافات العابرة من مجتمعات أخرى، وغالبا ما تنتقل القيم من المجتمعات المتطورة، إلى المجتمعات الغير متطورة، أو السائرة في طور الحداثة، لقد تعددت العوامل والمصادر المساهمة في تغيير القيم بالمجتمعات عالميا وتغيرت من خلالها التربية، ولم يصبح للمجتمعات المنغلقة عن نفسها وجود بسبب اكتساح العصرية الرقمنة، عبر الأقمار الصناعية وكذا الشبكة العنكبوتية، التي استباحت البيوت والأسر، ومحت معالم الحدود بين القارات والدول، فأصبح العالم قرية واحدة وتسارع التقارب المكاني، ألزمني بين الأمم، إن السرعة في انتقال المعلومة الذي يشهده العصر الحديث في الأونة الأخيرة، لم يسبق أن شهده العالم في الحقب الزمنية السابقة .

لقد شكل هذا التحول التكنولوجي منعطفا هاما في حياة الشعوب ، وتغير الحضارات ومن خلال التأثير الكبير لهذه الآليات تأثرت حياة الأفراد، وأصبح كل الناس يعيشون في دوامة يلاحقون فيها دوما كل مبتكر و جديد، وتراجع دور الأسرة قسريا في تربية الأبناء والجيل، وتنازل الآباء مدهوشين أمام هذا الغزو الثقافي، عن متابعة تصرفات أبنائهم مقابل توفير لقمة العيش لهم، وتوفير ما جد من صنائع هذه الحضارة، لإشباع حاجاتهم وترفيهم .

أن الثقافات تحتك وتتجاوز وفق أسلوب الغلبة والسريان الحضاري، وحسب الأسلوب الأول عادة ما تنتقل ثقافة الغالب إلى المغلوب، أو على الأقل أجزاء منها، بدافع التقليد

أو الاعتقاد بأنها تحمل صفة القوة والكمال، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون في مقدمته: (إن المغلوب مولع تماما بالافتداء بالغالب في شعاره وفي زيه ونحله وسائر أحواله) .

(الجويدي درويش، 2003 ، 137)

وحسب هربرت ميد فإن الرموز والإشارات والمعارف التي يتعرض لها الإنسان، تشير في حقيقة الأمر إلى بداية السلوك الاجتماعي، ومن ثمة فإن الأنماط السلوكية والتصرفات التي يسلكها الفرد، ما هي إلا انعكاس للرموز التي يتم التعامل معها، والتي يتأثر بها سلبا أو إيجابا.

(احمد مبارك الكندري ، 1989، 177.176)

من المفكرين من لا يكثرث لما يشكو غيره من وجود اختلال في القيم، من منطلق أن التحول الحضاري والتطور التكنولوجي قد وجد نسقا جديدا للحياة الإنسانية ، يختلف عما افته البشرية من قيم وتقاليد من ذي قبل، وهذه هي سنة التطور وهي من أقوى سنن الحياة فأى تحول علمي يصاحبه تحول القيم، فيما تداعت المحافظة بالتشكيك للمحافظة على نسق والقيم المألوفة.

(محمد الكتاني ، 2001 ، 94)

ومنهم من يتحدث على أن الآخر قوي ومسيطر، ولكن الحديث عن قوة الآخر وهيمنته يدعو إلى القبول أو الاستسلام، والتمسك بأهداب الماضي والتغني بأمجاده وبقوة الثقافة العربية لن يفيد في وضع متأزم في شتى نواحيه.

إن التغيير الذي يحدث للتربية يكون إيجابا أو سلبيًا حسب طبيعة العامل الجديد، الذي يدخل على المجتمع، إلا أن الدراسات المهمة بطبيعة العوامل والثقافات الوافدة على مجتمعاتنا العربية لا تزال بعيدة كل البعد في فاعليتها لهذا الأمر، ويذكر الباحث محمد الطاهر بوشلوش، أن دراسة موضوع القيم في الجزائر ظلت بعيدة كل البعد عن الباحثين والدارسين لشؤون الاجتماع والمجتمع، في حين كان تاريخها في الفكر الاجتماعي موضع اهتمام كبير من قبل الرواد والأوائل في علم الاجتماع من أمثال ماكس فيبر.

أصبح من الصعب إن لم نقل من المستحيل التصدي إلى الوافد من القيم على مجتمعنا نظرا لغياب القنوات التي ساعدت على غربلتها ومراعاة مدى ملاءمتها، لمبادئ المجتمع العربي وثوابته.

إن القيم التي تتحكم في توجيه المجتمع وتدخل في ثقافته، وتميزه عن غيره هي أيضا تتعرض للتغيير والتحول، مما يعود على تغيير وجه التربية على كل حال، والمتتبع لقضايا التربية ومفاهيمها في أنها عبارة عن مجموعة كبيرة من القيم، والاتجاهات التي

تحكم تنظيم المجتمع بمختلف مكوناته حيث نجد مثلا :

الحياء يتداول بين المجتمع المسلم كقيمة أخلاقية تربوية دينية، وهي أدنى درجة من الخجل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء من الإيمان). (النيسبوري، 39، 2003)
إن العلاقة بين التربية والقيم بصفة عامة علاقة وطيدة، ووثيقة حيث لا يمكن أن نفصل بين التربية والقيم لأنهما مثلا زمان، ومن هنا بدأت التربية تتحمل المسؤولية في حل تلك الأزمة القيمة التي تعاني منها المجتمعات بصفة عامة، لأن التربية في جوهرها عملية قيمية، تسعى المؤسسات التعليمية إلى غرسها لدى الأبناء، بل إن أهم نتائج التربية هو أن تتخذ لها مجموعة من القيم البناءة، الدائمة وتنظم حولها حياة الأفراد والجماعات .

(أحمد إبراهيم يوسف ، 2000 ، 25)

وعليه فعملية البناء القيمي ليست مسؤولية مؤسسة اجتماعية بعينها، أو منهج دراسي بعينه ولكنها مسؤولية كل من له علاقة بعملية التربية، سواء في إطار الأسرة أو المدرسة أو أي مؤسسة في أي مجال أو على أي مستوى، فالتربية تسعى إلى تحقيق العمل في أي مجال وعلى أي مستوى و تحقيق العمل النافع اجتماعيا، والتعامل بين أفراد المجتمع من أجل الصالح العام، كما تعمل التربية على غرس مبادئها في نفوس أفراد المجتمع، وتخطط في ضوئها أسس العلاقات الإنسانية الطيبة بين أفراد المجتمع ويقع على عاتق التربية بناء القيم عن طريق إعداد أجيال قادرة على تحمل المسؤولية والإسهام بإيجابية في النهوض بأنفسهم، والارتقاء بمجتمعهم، وتأتي مهمة التربية ودورها في العمل على تفهم الفرد لقيم وعادات مجتمعه الذي يعيش فيه، وذلك عن طريق تهيئة جو تربوي اجتماعي ينمو فيه الفرد، ويتعلم ويرسخ في ذهنه وسلوكه قيم مجتمعه .

(إبراهيم عبد العزيز الدجيلج ، 2007 ، 45)

إن نمط التربية وأسلوب التعايش وانسجام الأفراد معها، يحددان معالم المستقبل المحتوم على المجتمع .

لذلك " فعلى التربية يقع عبأ التغيير في الأنظمة، والمؤسسات والعلاقات وهذا يتطلب إنسان مشبع بالقيم المساهمة في صنع التغيير، وضبطه وتوجيهه فلعل في مقدمة القيم المطلوبة في تربية الأفراد هي قيم العمل، واحترام الزمن وتقدير أعمال، الآخرين وتقدير العلم والبحث العلمي، والإيمان بالحوار كطريق لحل المشكلات، وتغلب نتائج البحث العلمي على القرارات العشوائية .

(علي أحمد الجمل، 1966 ، 19)

إننا نجد في كثير من المجتمعات والدول وتيرة التغيير فيها ثقيلة، وحال المجتمع فيها مترد بسبب قوى ضاغطة، تعمل عكس التغيير، وذلك يرجع إلى تخوفها من عواقب هذا التغيير ونواتجه، التي قد لا تخدم مصالحها الخاصة أو تضع أجندة وحسابات من المستقبل المجهول وإن كان الأمر يعد كرد فعل طبيعي، إلا أنه يخلص في نهاية الحال إلى تعايش مشوه وقهر يمارس ضد الأفراد والجماعات، ويزيد من رغبتهم في الحصول على هذا التغيير ويعيشون معه ولوفي أحلامهم، وكثيرا ما يراودهم في يقضتهم، ورغم هذا يبقى التغيير سنة لله وسنته في خلقه من بني البشر، لذلك ينبغي تعريف الأفراد بطبيعة التغير ومداه والمغزى منه، وإن هذه التغيرات جميعها تتطلب فهم الأفراد، ولتأثيراتها وتداعياتها وهذا لا يتحقق إلا بعد فحص ودراسة الواقع ومشكلاته وفي ذات الوقت الاقتناع بمبررات التغيرات المطلوبة للمجتمع.

خلاصة :

تعد التربية جزءا من النشاط المجتمعي بل هي الأساس الذي يقوم عليه هذا النشاط في جوانبه المختلفة، فهي التي توجهه الوجهة التي تنسجم مع قيمه ومبادئه، وتعطيه القوة التي تدفعه إلى تحقيق الغاية المنتظرة منه، وهو أن يورث أمانة الأجيال الحاضرة إلى الأجيال اللاحقة، عن طريق توفير الظروف والوسائل التي تمكن هيئات المجتمع من ممارسة مسؤولياتها، في مجال تلقين المعارف والمهارات ومناهج التفكير ومنظومة القيم التي يعتمدونها في التعايش مع أنفسهم، ومع غيرهم ومع المحيط الذي يتعاملون معه .
فالتربية تعد عملية إنسانية تنمو وتحيا بين الفرد والمجتمع، فتأخذ من الأول محورا لها تهتم بتطويره وتنميته على نحو متكامل، وشامل تستشرف من خلاله واقعا سليما متوازنا وتحقق له من خلاله الطمأنينة والأمان، فيعيش سعيدا وفق القيم التي ارتضاها الخالق

لكافة البشرية وضمن حيوية الفطرة، يتفاعل الفرد مع بني جنسه، وأقرانه فيحافظ على لحة وقوة المجتمع ويسعى في تطويره، وازدهاره بشعور منه أو بدون شعور، عبر آلية التربية التي تخدم الفرد والمجتمع.

و في هذا الفصل، تعرفنا على ماهية هذا الإنسان كمخلوق، وفق مختلف أبعاده النفسية الروحية والبيولوجية ثم الطفولة وأهميتها كأساس للتربية، وكذا حاجات النمو، ثم تطرقنا إلى ماهية التربية وأهدافها ووظائفها، وكذا علاقة التربية بالمجتمع وضرورتها لبقائه ودور التربية والقيم في أحداث التغيير الاجتماعي، ثم أسباب أزمة التربية في المجتمع العربي وبعدها تطرقنا إلى المبحث الثاني وتعرفنا من خلاله على ماهية المجتمع مفهومه وعناصره، وكذا مفهوم الجماعة، ثم شروط، وأشكال وحاجات المجتمع، ثم أهمية القيم في تنظيم المجتمع الإسلامي، ودورها في أحداث التغيير الاجتماعي، وكونها، لا تأتي من فراغ و إنما تستمد من البيئة بمعناها الواسع (الاجتماعية و الطبيعية) أي أن للقيم مصادر تنبع منها أو توجد من خلالها، ومن هذه المصادر التعاليم الدينية، التي تعد مصدرا أساسيا لكثير من القيم.

و كذلك التنشئة الاجتماعية التي يرسخ فيها المجتمع قيمه، على شخصية الفرد الذي ينتمي إليه، و إن لكل مجتمع معتقداته الدينية و عقيدته السياسية و الاجتماعية و فلسفته التربوية.

مصادر ومراجع الفصل الثاني:

القرآن الكريم.

- 1- إبراهيم عبد العزيز الدعيلج، التربية ، ط1 ، دار القاهرة ، مصر 2007 م .
- 2- إبراهيم ناصر، التربية و ثقافة المجتمع ، ط1، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، 1983م .
- 3- إحسان محمد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث، ط 1، دائر وائل للنشر، عمان ، الأردن 2005 م.
- 4- أحمد إبراهيم يوسف، علاقة التربية بالمجتمع وتحديد ملامحها النوعية، مجلة عالم الفكر المجلد 29 ، العدد 1 ، دار الكويت ، 2000 م .
- 5- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال و القيم التربوية، دار الفكر، دمشق ، 1995.
- 6- أحمد مبارك الكندري، علم النفس الأسري، ط 1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت 1989 م .

- 7- إسحاق الفرحان ، التربية الإسلامية بين الأصالة و المعاصرة، دار الفرقان، عمان، الأردن 1983م .
- 8- الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، **صحيح مسلم**، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 2003 م .
- 9- الترمذي ، **صفة القيامة و الرقائق و الورع** عن رسول الله رقم الحديث 2383 .
- 10- السمالوطي نبيل، **الدين و البناء الاجتماعي**، دار الشروق، جدة السعودية، 1981 م .
- 11- السيد سلطان محمود ، **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ** ، دار و المعارف ، القاهرة مصر 1979 م.
- 12- بسام جرار، **دراسات في الفكر الإسلامي** ، ط 2 ، مركز نون للدراسات و الأبحاث القرآنية البيرة، فلسطين ، 2006 م .
- 13- تركي رابع ، **أصول التربية و التعليم** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2 الجزائر 1990
- 14- حامد عبد السلام زهران ، **علم النفس النمو** ، ط 4 ، عالم الكتب القاهرة ، مصر 1982 م
- 15- حسان الجيلاني ، **الجماعات** ، دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر 2008
- 16- حواشين مفيد، حواشين زيدان ، **النمو الانفعالي عند الطفل** ، ط 23 ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، 1996 م .
- 17- حيدر ابراهيم، **التغير الاجتماعي و التنمية**، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1982 .
- 18- خليل شكور ، **أمراض المجتمع** ، ط 2 ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 1998 م.
- 19- دراز محمد عبد الله ، **دستور الأخلاق في القرآن** ، تعريب و تحقيق عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة الكويت ، 1982.
- 20- دلال ملحس استنتيه، **التغير الاجتماعي و الثقافي** ، ط 1 ، دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2004 م.
- 21- رشيد ميموني ، **البعد الاجتماعي في القرآن** ، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث و الترجمة ، جامعة قسنطينة ، الجزائر 2009 م.
- 22- زعيبي مراد ، **علم الاجتماع رؤية نقدية** ، ط1 ، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية ، قسنطينة ، الجزائر ، 2004 م.
- 23- سعد الشدوخي، **مفهوم التربية**، مجلة البصائر، العدد 729، الجزائر، الجزائر 2014
- 24- سعد جلال، **الصحة العقلية** ، دار الفكر العربية، القاهرة ، مصر، 1979
- 25- سعد مرسي أحمد ، **تطور الفكر التربوي** ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، 1975 م
- 26- سعيد إسماعيل علي ، **فلسفات تربوية معاصرة** ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 198 ،

المجلس الوطني الثقافي الكويت ، 1995م.

- 27- سعيد جودت، في أفق المستقبل، نظرة تحليلية للتقاليد العربية، منشورات ملتقى الأسرة العربية والمستقبل ، القاهرة 1989م .
- 28- سيد أحمد طهطاوي ، القيم التربوية في قصص القرآن، دار الفكر العربي القاهرة السنة 1996.
- 29- صلاح الدين شروخ ، علم النفس التربوي للكبار ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، الجزائر ، 2008م.
- 30- طبال لطيفة ، أزمة التربية في المجتمعات العربية ، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة ، ع 4 ، بسكرة ، الجزائر ، 2009
- 31- عادل حسونة ، واقع العالم الثالث والحوار الدولي العقيم ، مجلة المنار ، وزارة الأوقاف الإسلامية ، الإمارات العربية ع 4 ، 1987م.
- 32- عامر مصباح ، التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية ، ط 1 شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003 م.
- 33- عائض القرني ، التفسير الميسر ، العبيكان للنشر ، الرياض ، السعودية 2001 م.
- 34- عبد الحميد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، دار التربية ، دمشق، سوريا، 1976 م.
- 35- عبد الرحمن النحلاوي ، التربية الإجتماعية في الإسلام ، دار الفكر دمشق ، سوريا ، 2006 م.
- 36- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة بن خلدون ، تحقيق الجويدي درويش ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت 2003 م .
- 37- عبد القادر الشريف ، التربية الاجتماعية و الدينية في رياض الأطفال ، ط 1، دار المسيرة للنشر و التوزيع عمان ، الأردن 2007،
- 38- عبد الله الدايم، التخطيط التربوي، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، 1980 م .
- 39- عبد الله رشدان ، علم اجتماع التربية ، ط 1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1999م.
- 40- عبد الله عبد الدائم ، الثورة والتكنولوجيا في التربية العربية ، ط 2 ، دار العلم للملايين بيروت 1978 م .
- 41- علي أحمد الجمل ، القيم ومناهج التاريخ الإسلامي ، ط 1 ، عالم الكتب القاهرة ، مصر 1966 م .
- 42- علي حسن القرشي ، التغير الاجتماعي ، ط 1 ، دار الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة 1989 م .
- 43- عبد الله الدايم، التخطيط التربوي، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، 1980 م .

- 44- فتيحة كركوش، علم النفس الطفل، ديوان المطبوعات الجامعية، البليدة، الجزائر، 2010.
- 45- فرد ميلسون ، الشباب في مجتمع متغير ، ترجمة يحي مرسى عبد بدر ، دار الهدى للمطبوعات ، ط1 ، الإسكندرية 2000 م.
- 46- فوال صلاح محمد ، التصور القرآني للمجتمع ، المجلد الثاني ، نظرية الإسلام الإجتماعية القاهرة ، دار الفكر العربي 1985 م.
- 47- كمال عبد الله ، مدخل الى علوم التربية ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامي، بيروت لبنان ، 2002.
- 48- لويس كامل مليكة ، سيكولوجية الجماعات والقيادة، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1991.
- 49- ماجد زكي الجلاد : تعلم القيم وتعليمها ، ط2، دار الميسرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن ، 2007.
- 50- مالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين ، وجهة العالم الإسلامي ، دار الفكر ، 1981 م.
- 51- محمد الطاهر بوشلوش ، التحولات الإجتماعية و الاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1997-1999) ، دراسة تحليلية العينة من الشباب الجزائري ، دار بن مرابط للنشر والطباعة والتوزيع ، 2008 م .
- 52- محمد الكتاني، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع العربي المعاصر ، أكاديمية الملكة المغربية ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، أفريل 2001 م .
- 53- محمد سعيد مرسي ، فن تربية الأولاد في الإسلام ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ، مصر 1998 م .
- 54- محمد فاضل الجمالي ، تربية الإنسان الجديد، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل 1967 م.
- 55- محمد لبيب النجيجي ، دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، ط 2 ، دار النهضة بيروت ، لبنان 1981 م.
- 56- معن خليل عمر ، علم الاجتماع الأسرة ، دار الشروق ، عمان، الاردن، 1994 م.
- 57- مفيدة محمد إبراهيم، أزمة التربية في الوطن العربي ، ط 1 ، دار المحلاوي للنشر ، عمان الأردن ، 1999م
- 58- هناء السيد، الفضائيات وقادة الرأي العربي ، ط 1، دار النشر والتوزيع ، القاهرة 2005 م

- 1- أحمد عبد الله إسماعيل، القيم التربوية الموجهة للطفل المصري من خلال الراديو و التلفزيون، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس .
- 2- علي مقداد ، الدين و المجتمع ، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي ، جامعة الجزائر 2 ، 2011 م.

المجلات

- 1- لونيس علي، صحراوي عبد الله ، ، مجلة مخبر المسألة التربوية للطفولة في الجزائر جامعة محمد خيذر بسكرة ، الجزائر 2006 م .
- 2- عبد القادر فضيل ، محاضرات من ملتقيات الفكر الإسلامي ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر، 2002 م.
- 3- محمد الصالح جدي ، التربية في العالم الثالث (المتخلف) ، ط 2 ، المجلة الجزائرية وزارة التربية الوطنية ، الجزائر 1995م.

الفصل الثالث: تطور الفكر التربوي عبر العصور

تمهيد.

المبحث الأول: التربية بعد خلق الإنسان وخلال الحياة البشرية الأولى.

ا. التربية بعد خلق الإنسان.

ii. التربية الشرقية القديمة.

1. التربية الهندية .

2. التربية لدى بني إسرائيل .

3. التربية الصينية.

4. التربية لدى قدماء المصريين

المبحث الثاني : التربية في العصور الوسطى وعند العرب قبل وعند مجيء

الإسلام

1 . التربية اليونانية.

2 . التربية الرومانية.

3 . التربية المسيحية في العصر الوسيط.

4. التربية العربية والاسلامية

المبحث الثالث: الفكر التربوي الحديث

أولا : عصر النهضة الأوروبية

ثانيا: نماذج ومميزات الفكر التربوي ما بعد عصر النهضة

1 . نماذج ومميزات الفكر التربوي بالعالم الغربي .

2 . نماذج ومميزات الفكر التربوي العربي في العصر الحديث .

تمهيد :

جاء الدين الإسلامي في أوضح معالم له مسترسلا عبر آيات القرآن الكريم التي نزلت على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وقد اهتمت في جوهرها بالحياة الاجتماعية العامة وبتربية الفرد والمجتمع ، وتطهيره من شوائب السلوكات المنحرفة التي رسختها حياة الجاهلية الأولى ،فقضت على ما يفترض أن ينتهجه الإنسان عن وعي في تناول مختلف حيثيات الحياة الدنيوية ، ويستعد بكل قدراته للانتقال بأمان إلى الحياة الأخرى ، ويعد سيد الخلق قاطبة محمد عليه الصلاة والسلام أول معلم لهذه الأمة حيث أرسى وأسس لأهم التوجيهات التربوية الإسلامية التي أخرجت مجتمعا يتمتع بسلامة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات في الرعييل الأول، أي زمن الصحابة وتابعيهم، بل تعدته إلى الإبداع في فن التعامل مع الآخر ممن ينتمون إلى الديانات الأخرى، فحق فيهم

قوله تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾. آل عمران، 110

كما أن دعائم الأمن والاستقرار والفضيلة والتحضر، ونبيل الخلق وسمو الهمة، ورجاحة الفكر، تتوقف على ما يتلقى الفرد من تربية حسنة.

تعتبر التربية في مجملها عملية متكاملة وشاملة لمختلف السلوك والقيم والعادات والمعاملات، بل هي وجه من أوجه الثقافة لكل مجتمع، فهي تميزه عن غيره وعليها تعتمد قوته، ومنها يستمد رقيه ويحمي حضارته ، وكل مجتمع لا يبني حاضره على الاستثمار في تربية الأفراد والجماعات ، كان مصير مستقبله التقهقر والكساد .

والتربية المحمدية عملية حياة ، لأنها تهتم بالإنسان قبل مولده ، ومن مهده إلى لحدده فهي أساسا تحث على حسن إختيار والديه - الزوج والزوجة - وتهتم بتربية الفرد دينيا وعقليا وخلقيا منذ فجر طفولته.

وقد فضل الله البشر عن باقي الأمم بالعقل ليوظفه في حسن التدبر ، وحسن الفكر ، وهو الذي خص كل أمة منهم بنمط ونظام اجتماعي يحفظ استمرارهم ، وطريقة عيشتهم ، حيث

يقول عز وجل : ((﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَنفُسُنَا فَتَفْتَحُ عَيْنُهَا رَاجِعًا إِلَىٰ ذِكْرِ النَّبِيِّ الَّذِي أَنزَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الذِّكْرِ ۚ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْهَا فَسَوْفَ يُكَفَّرُ عَنْهَا وَهُوَ عَلَىٰ وَعْدِهِ مُبِينٌ ﴿٣٨﴾)) . (الأنعام : 38)

والإنسان هو أمة من هذه الأمم ، لا يعيش إلا منتظما في جماعة يتصف جميع أفرادها بخصائص واحدة ، لكنه يمتاز عن سائر الكائنات بما وهبه الله من العقل والتفكير وحرية الاختيار ، وبما خصه الله به من إرسال الرسل بالشرائع ، لتكليف والبشر بتطبيق المنهج الإلهي الاجتماعي .

وهذا المجتمع الذي فضله الله عن باقي المخلوقات من مميزاته التنوع ، والتعدد الثقافي الذي ينجر عن طبيعة التربية التي يتلقاها أفرادها ، حسب اللغة ، والعرف ، والديانة والقطر مما يترتب عنه تنوع الفكر التربوي ، وتنوع طرائقه وأساليبه ، وأهدافه وكذا وسائله وآثاره ، وعليه إذا انطلقنا من أن الفكر تولده الحاجة ، ويفرضه الواقع ، ليصبح صورة نمطية للحياة التي تعيشها الجماعة ، فإن الفكر الذي يعكس حياتنا الثقافية – في المجال التعليمي – هو الفكر التربوي الإسلامي ، كل أصوله وركائز ومحدداته ومقاوماته وأساليبه النابعة من شريعتنا الإسلامية من ناحية ، ومن واقعنا الإسلامي من ناحية . وللوصول إلى دراسة وتعمق أكثر لما وصل إليه الفكر التربوي الإسلامي ارتأينا منهجيا أن نخرج ثانية ومن تطلعاتنا المستقبلية من ناحية ثالثة . (لظفي برعات ، 1992 ، 9) وللوصول إلى دراسة وتعمق أكثر لما وصل إليه الفكر التربوي الإسلامي ، أرتأينا منهجيا أن نخرج عن ظهور الفكر التربوي عامة عند بني البشر عبر العصور ، وفق التراتب الزمني لمختلف الحضارات .

المبحث الأول: التربية بعد خلق الإنسان وخلال الحياة البشرية الأولى

1. التربية بعد خلق الإنسان :

لقد ارتبطت التربية ارتباطا وثيقا بخلق الإنسان، ويظهر ذلك جليا من خلال الآيات القرآنية الدالة، حيث تحدثنا عن قضية خلق آدم عليه السلام واستخلافه في الأرض أين أعطاه الله ويسر له ما أمكن من المعرفة والعلم، ما جعله يتأقلم مع الوسط والعالم الذي فتح عينه عليه بعد ما بث الله الروح فيه، كي يخرج من حالة الاغتراب عن الذات ويستأنس بالمحيط المعاش، فتضمنت هذه المعرفة ما أهله لاستعمال اللغة، والرموز والإشارات إلى المخلوقات والأشياء، حيث تميز بالاطلاع على مسمياتها دون الملائكة المقربين من الله عز وجل، وهذا الأمر يعد تكريما وتفضيلا منه تعالى لبني البشر فيما بعد، فنالوا المكانة بين المخلوقات بالعلم والمعرفة .

قال تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)) (البقرة 30-31)

وهذا دليل على أن ظهور التربية ارتبط بتوجيهات الله سبحانه وتعالى فهي عملية توجيهية مصدرها الإله .

وفي هذه الآيات نلمح بوادر التربية للإنسان ممثلة في سيدنا آدم، حيث فضله الله وعلمه مسميات الأشياء، ووكّل إليه الخلافة في الأرض بالمحافظة على عهده، وحذره في آيات تليها من غواية إبليس، ولكنه خالف أمر ربه، ثم ما عقب تلك الوصية من ندم وقربة وما ترتب على هذه التجربة من آثار، وهذا كله إلا تربية لآدم ولذريته من بعده على الأرض.

وتتوالى الأحداث لتتطور معها التربية وأساليبها حيث يسرد لنا القرآن الكريم قصة ابني آدم قابيل وهابيل بعدما نزع الشيطان بينهما، حيث ظهر الحسد كمعطى سلبي جديد للنفس البشرية الأمانة بالسوء، وتظهر معه أول حالة للصراع بين الخير والشر، وحب التملك والذات وإقصاء الآخر، والتمرد على قوانين الطبيعة والحياة .

حيث قال تعالى : ﴿ وَابْنِ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُدْخِلْنِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغِي عَنْهَا حِمْيَرًا وَلَا شَافِرًا كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَ آيَاتُنَا فَأَنْتَ فِيهَا مِنَ الْمُنكِرِينَ ﴾ [البقرة: 25].

﴿ وَابْنِ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُدْخِلْنِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغِي عَنْهَا حِمْيَرًا وَلَا شَافِرًا كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَ آيَاتُنَا فَأَنْتَ فِيهَا مِنَ الْمُنكِرِينَ ﴾ [البقرة: 25].

﴿ وَابْنِ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُدْخِلْنِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغِي عَنْهَا حِمْيَرًا وَلَا شَافِرًا كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَ آيَاتُنَا فَأَنْتَ فِيهَا مِنَ الْمُنكِرِينَ ﴾ [البقرة: 25].

(المائدة : 27)

ولذلك يبدو جليا أن التربية تمتزج بالأمن والإيمان بالله تعالى، وتنبذ الشر، وما اختلف من الآثام مما منحها صفة الضبطية، ضبطية النفس والمشاعر في السلوك عامة، ونحو الآخرين خاصة، ويبدو نقيض التربية من خلال الآية حينما أطلق العنان للنفس لتبتطش مما جعل الأخ يسفك دم أخيه في لحظة ضعف، تبعها قنوط وندم، وهكذا استمرت الحياة ليجد أفراد الجنس البشري أنفسهم في صراع دائم مع الطبيعة، بمختلف مكوناتها ليضمنوا البقاء على وجه الأرض، ويحافظوا على تواجدهم وتمكنهم واستمراريتهم بين باقي مجتمعات الحيوان، فكان الغذاء أول حاجة تدفع الإنسان إلى البحث عن مصادره والحصول عليه، ولو كلفه ذلك حياته نفسها، كي يضمن عيشه وقوته وقوت أبنائه وزوجته.

فمنذ أقدم العصور هناك عوامل أساسية وفعالة ومؤثرة على أفكار الإنسان ومؤسساته من هذه العوامل: العوامل الاقتصادية، الدينية، الاجتماعية والسياسية ... ودرجة كل عامل تختلف حسب الزمان والمكان، فالعامل الاقتصادي يعتبر من أقوى العوامل تأثيراً حيث أن احتياجاتنا الأولية جسمية، فيستطيع الإنسان أن يعيش في ظروف جوية قاسية بدون ملابس، وبدون سقف يأويه، ولكن لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون غذاء فالغذاء يعمل على استمرار الحياة التي بدورها تستطيع أن تخلق الفن والمبتكرات وتقدم الفلسفات وتكون الأفكار. (سعد مرسي أحمد ، 1986 ، 54)

إذا كان الغذاء لهم الأول لهذا الكائن الحي والجديد على البسيطة، وهي فطرة تميزت بها كل الكائنات الحية لتضمن بقاءها وقوتها واستمراريتها، إلا أن الإنسان طور وسائل وأساليب الحصول على هذا الغذاء مستخدماً عقله، وفكره الذي نماه وصقله بالتجربة والاحتكاك بمختلف الأشياء التي تتواجد بمحيطه فهو يبحث ويكتشف في كل مراحل حياته دون أن يدرك منها معينا في ذلك غير التجربة فيخطئ ثم يصل إلى الصواب وهو في حالة ترقب وخوف وهلع، بدءاً من عوامل الطبيعة كالرعد والبرق، إلى مختلف الحيوانات بل حتى من أخيه الإنسان.

حيث يرى HOBBS في كتابه المشهور " LE LEVIATHAN " أنه قبل وجود المجتمع كان الإنسان يعيش في حالة الطبيعة، ونظراً لأنانيته وغياب معيار الخير والشر اتسمت حياة الإنسان بالحذر الشديد، وبحرب الجميع ضد الجميع ، وكان الفرد معزولاً وفقيراً عنيفاً، وعمره قصيرة، ثم ابرم الناس اتفاقاً يسلم بمقتضاه كل فرد عن حريته مقابل ضمان سلامة حياته . (رشيد ميموني ، 2009 ، 161)

وقد أكد القرآن وحدانية المجتمع في بداية تواجد الإنسان على الأرض حيث يقول تعالى ((...))

وهذا دليل قاطع على أن الإنسانية في بداياتها عاشت في كنف مجتمع واحد يتحكم إلى قوانين معينة كانت سببا في ديمومة هذا التعايش .

وهو ما ذهب إليه روسو في كون العلاقات التي كانت تربط ذلك المجتمع البدائي هي بداية لتشكيل ما يشبه عقد اجتماعي حيث يصف Rousseau - JJZ الإنسان في تلك الفترة أنه كان طيبا وحرا ولكن كان ينقصه نوع من الحس الأخلاقي والشعور بالمسؤولية ، تحطم هذا التناغم الطبيعي عندما دخل الإنسان في مرحلة المجتمع ، حيث ظهرت النزاعات حول الملكية وسوء توزيع الثروات، والفقر، انجر عن ذلك كل الانحرافات حيث ظهرت الشهوات المؤدية إلى الأخلاق السيئة مثل الحسد.

(رشيد ميموني ، نفس المرجع ، 162)

وهذا المنطلق والوصف الغربي يتوافق تماما مع ما أكده القرآن حيث تجسدت الطيبة في آدم عليه السلام كما تجسد الحسد والجرم في ابنيه حيث تآقت النفس البشرية إلى حب التملك وحب الذات، وهنا يظهر عجز الإنسان أمام التجارب والأحداث الجديدة في حياته، مهما كانت قوة بطشه، ما لم تتعهد التربية بالتهذيب ، والتوجيه لطاقاته ووجهة صحيحة. (عباس محجوب، 5)

إن القرآن أشار إلى مسائل جوهرية اخفق العلم في التوصل إلى حقيقتها كأصل الإنسان ونشأة المجتمع واصل اللغة والدين . (رشيد ميموني، 70)

فلقد نقل هذا الكتاب حقائق تواجد مجتمعات عبر التاريخ، بل وأضاف عليها أن أشار إلى حقائق علمية تتعلق بالكون والسموات والأرض، يكاد يثبت العلم يوميا صدق حقيقة تواجدها مما يقطع الشك في أن ما ورد من أخبار عن المجتمعات والأقوام التي سلفت في غابر الأزمان عبر القصص القرآني والتي تصف الأحداث والوقائع كما كانت، هو جزء من تاريخ البشرية المعاش، مما جعل العلماء والمستشرقين منهم وحتى غير المسلمين يتخذون القرآن كمرجع للتدليل على الكثير من الحقائق العلمية .

وما قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسْرَةً خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاسْمَاعُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾

(الكهف : 51) وغيرها الكثير من آيات القرآن الدالة على أسرار تواجد

الخلق على البسيطة، ومن هذه الحقائق أيضا قدم التربية وارتباطها بقدم المجتمعات ، ونذكر في هذا الباب وصايا لقمان ومواعظه لأبنه .

وعطفا على ما سبق فقد تميزت التربية في المجتمعات البدائية ببساطة مطالبها، ترتب عنه بساطة في وسائل تلك المطالب لا تعدوا فوق إشباع حاجات الجسم، من طعام وشراب وكسوة، ومأوى يقي من حر الشمس، وقساوة وبرودة الطبيعة، ثم تعداه إلى إرضاء القوى الغيبية، وعالم الأرواح واكتساب الأمن النفسي، فتراكمت هذه المعارف البدائية لتصبح فيما يورثها السابقون للاحقين من الأبناء كي يبقى النظام القبلي "الاجتماعي" سائد يحفظ حق الفرد ويحدد دوره داخل الجماعة .

وعند تساؤلنا عن سبب تجمع الناس وتشكل الجماعات فإنه يرى " بيل " أن أسباب ذلك تكمن في العوامل التالية :

- أ- الجغرافيا: لا يتحقق ارتباط الناس مع بعضهم إلا بالقرب المكاني أو الجغرافي .
- ب- إشباع الحاجات: إن الهدف من تشكل الجماعات هو إشباع حاجات أعضائها المادية والاجتماعية على السواء.
- ت- الغرض: تهدف الجماعات إلى تحقيق غرض معين، فهذا تكون لها ميكانزمات من خلالها يتحدد سلوك أعضائها حيث لا يعملون منفردين .
- ث- استمرارية الترابط: للجماعات وسائل من شأنها المحافظة على الترابط و التجاوز المكاني مع الجماعات الأخرى.
- ج- الأخلاق: إن وحدة الجماعة يعبر عنها في حدود الأخلاق السائدة كالإيمان بالعبادة وما شابه ذلك. (حسان الجيلاني، 2008، 24)

وهذه العوامل الخمسة تكاد تكون أولى العوامل في تكوين الجماعات منذ ظهور البشرية ولذلك قامت التربية البدائية على أساسين يمكن حصرها في:

- 1- الإعداد اللازم للحصول على ضروريات الحياة، وبناء العلاقات الطيبة والسليمة مع أفراد القبيلة أو الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، وهي المقصود منها التربية العملية في حيز مكاني محدود .
- 2- تأهيل الفرد وتدريبه على أنواع العبادات التي بواسطتها يستطيع إرضاء عالم الغيب والأرواح مما يحقق له الأمن والسلامة النفسية، وهو أساس وعماد التربية النظرية.

والحق أن التربية كما عرفتها تلك الشعوب البدائية حملت جملة من السمات والخصائص شبيهة بتلك التي عرفتها التربية في أكثر مراحلها نمواً وتطوراً، ولعلنا لا نغلو إذا قلنا أن التربية حتى الساعة تحمل في ثناياها بذور تلك التربية البدائية بل لعلها ما تزال تعاني من بقاياها، وترزخ تحت أثقالها. (عبد الله عبد الدايم، 1973، 14) ومحاولة منا لتتبع مسار التربية وتطورها عبر التاريخ وتواجد الحضارات البشرية الأولى نجد الآتي :

II. التربية الشرقية القديمة :

أولاً : التربية الهندية :

أ- ملامح تاريخي واجتماعي :

اعتنت الحضارة الهندية بتربية الطفل تربية حسنة، لأجل مستقبل زاهر، وكما يقول المثل الهندي " عندما يكون الأولاد صغاراً زودهم بجذور عميقة، فإذا كبروا زودهم بأجنحة طليقة، درس الهنود العديد من العلوم، مثل الحساب والطب، ونجحوا في تمرير ميراثهم العلمي للأمم الأخرى (...). تأسست البوذية في الهند على يد الأمير سيد هارتا ناجوتاما (483-563 ق.م) الذي عرف في اللغة السنسكريتية باسم بودا أي الرجل الحكيم، أو المستنير والمتنور، وهو مصلح اجتماعي مرموق، وفيلسوف قديم وزعيم ديني بارز. (الكندري لطيفة، ملك بدر، 2008، 85)

وتؤمن البوذية الوثنية أن السعادة تكمن في كبح النفس، وقمع الشهوات والتفرغ للعبادة وتصفية النفس، لذلك فإن البوذية تحث على الرهبة والعزلة والتفكير التأملي، من أجل تهذيب النفس، عبر تمارين روحية وجسدية معينة، وتقوم البوذية على فكرة الألم الذي لا ينفك عن الإنسان إلا بالعبادة .

يتميز المجتمع الهندي القديم صفتان :

الروح الطبيعية من الوجهة الاجتماعية، ومذهب الحول من الوجهة الدينية أما فيما يخص الروح الطبقيّة فكان المجتمع الهندي مقسم إلى طبقات وراثية castes كل طبقة منها مستقلة على الأخرى تمام الاستقلال، ولا يجوز الارتقاء من إحداها إلى الأخرى بل لا يجوز التزاوج بينها. (عبد الله عبد الدايم، 1984، 25)

وبهذه الكيفية كان المجتمع الهندي يعيش حالة من الاغتراب بين الطبقات والأفراد، قتلت من خلالها المواهب والإبداعات، فرسخت حياة الأفراد قبل مجيئهم للدنيا .

والمجتمع الهندي كان يتكون من أربعة طبقات هي :

- طبقة البراهماتيين أو الكهان، ومنها يظهر المعلمون والمشرعون
- طبقة الكشتاريا kshatras أو المحاربين .
- طبقة الفايزاس vaysyas أو طبقة الصناع .
- طبقة السودرا sudras أو طبقة العبيد ، (...) كان هدف الهندي وغاية كل تربية جديدة عنده أن يقتل المرء فكره وإرادته في التأمل الصوفي، وأن يخضع ميوله وشهواته ويخلع كل فكرة ليرضيه كما يتحد بالذات الإلهية ، وأن أحل في مبدأ كل مبدأ . (نفس المرجع ، 26)

إن الديانة الهندية لا تقرر خلود الروح وحسب، بل تقول بتناسخ الأرواح وتؤمن بتقمصها، ونظرا لخضوع الشعب الهندي إلى طقوسه الروحية التي تفرض على أفرادهم إفناء أرواحهم في روح العالم الكلية من أجل الوصول إلى الطمأنينة التامة والحكمة والخير.

بقي هذا الأخير جامد الأفكار فاقد الحرية في اختيار طرق أخرى للعيش في الحياة.

ب- النظام التربوي: إن البراهماتيين والكهان كانوا القائمين وحدهم على أمور التربية أما المرأة التي كانت مرتبطة بالرجل ارتباطا مطلقا فقد كانت محرومة من أي ثقافة، أما الفتيان فيبدو انه وجدت لهم مدارس ابتدائية في جميع العصور وكانت هذه المدارس تقوم في قلب الريف تحت ظل الأشجار وتحت الأروقة في المطر (...) وكانت النظم تبيح العقاب الجسدي (...) أما الدراسات الغالبة فكانت وفقا على طبقة الكهان الذين كانوا يدرسون قبل العصر المسيحي بكثير، الخطابة والمنطق والفلك والرياضيات . (المرجع السابق ، 1984 ، 28)

- الأركان الأربعة التعاليم بوذا هي :

- 1- كل الأشياء والخبرات تحتلها الصعوبات والإحاطات .
 - 2- الشهوات من أسباب المعاناة .
 - 3- الحل هو التخلص من الشهوات .
 - 4- الخلاص لا يتحقق إلا بثمانية آداب هي :
- العلم الصحيح .

- التطبيق .
- الكلام الحسن .
- التصرف السليم .
- الحياة الصحيحة .
- بذل الجهد .
- التفكير السليم .
- التركيز السليم .

ومن وصايا بوذا هي لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تناول مسكر .

(الكندري لطيفة ، ملك بدر ، 86)

وعلى العموم فقد أعطت الحضارة الهندية اهتماما كبيرا للتربية الروحية والأخلاقية والاجتماعية كما اهتمت في مناهجها التعليمية بالفلسفة والرياضيات والطب ودراسة النجوم ونشرت أفكار الزهد وإنكار الذات، وكذا الخرافات، مما أضعف النظرة الإيجابية نحو تعمير الحياة.

في التربية الهندية لم تتل المرأة حقها من التعليم كما أستعمل أسلوب الترغيب في التربية مما عزز مفهوم السلام والتسامح.

واستخدمت الحضارة الهندية الشعر في التعليم لسهولته كأسلوب في الحفظ .

ثانيا : التربية لدى بني إسرائيل:

أ- ملتح تاريخي واجتماعي :

عني بنوا إسرائيل بالتربية عناية كبرى وكانت التربية لديهم قوة خاصة هي التي استطاعت أن تبقى عاداتهم واعتقاداتهم حية، طول العصور رغم تشردهم في البلدان وكانت التربية لدى العبريين في العصور الأولى تربية أسرية منزلية (...)، وكانت الأسرة هي قوام هذا المجتمع البدائي، الذي كان يجهل تقريبا معنى الدولة والرئيس، ولا

يتخذ رئيسا إلا الإله. (عبد الله عبد الدايم ، 1984 ، 29)

ب/ النظام التربوي : كان على الطفل أن يتربى على أن يكون مخلصا (يهوه)، لذا لم يكن عليه أن يكتسب معلومات واسعة، بل يكفيه أن يتعلم عن طريق المثال والقوة القواعد الخلقية والمعتقدات الدينية (...). والإنسان الكامل في نظر العبريين هو التقى الفاضل الذي يبلغ هذا المثل الأعلى الذي سنه الإله نفسه في التوراة إذ قال ((كونوا

قديسين مثلما أنا قديس، أنا ربكم الخالد)) ،أما النظام فكان قاسيا، كما تدل على ذلك آيات عديدة في التوراة، وكان ضرب الأطفال جائزا بل واجبا . (نفس المرجع ، 30)
كان الفتيان وحدهم فيما يظهر يتعلمون القراءة والكتابة، أما الفتيات فكن يتعلمن الغزل والحياكة وتهيئة الطعام ورعاية الشؤون المنزلية، والغناء، والرقص أيضا (...). كان الآباء يعلمون أبناءهم التاريخ القومي والحوادث الكبرى التي رسمت مصير " شعب الله " وكانوا يقيمون الحفلات الكبرى والمواسم تخليدا لذكرى هذه الحوادث يشهداها الأطفال فتملاً نفوسهم شكرا لله وحبا للوطن.

حاول اليهود، بعد انتشار المسيحية وغلبتها أن ينتقموا لأنفسهم من انكسارهم هذا بالثقافة والعلم، شأن أكثر الأمم المغلوبة القوية التي تحتفظ بعد الفتح كالأمة البروسية بعد معركة (بينا) والفرنسين بعد الحرب السبعين.

لقد كان اليهود عبر التاريخ أكثر الأمم اهتماما بالعلم والبحث عن المعرفة، بل وقد كان لهم السبق في كثير من إكتشاف الحقائق العلمية ففي عام 64 قبل الميلاد فرض الكاهن جوزيا بن جمالا jose ben djamalal على كل مدينة إنشاء مدرسة، مهددا من يمتنع بالحرمان ، وفي التلمود إذا لم يجاوز عدد الأطفال خمسة وعشرين قاد المدرسة معلم واحد، وإذا جاوز هذا العدد، فعلى المدينة أن تؤجر مساعدا له وإذا جاوز الأربعين لزمها معلمان.

وقد اختلف منهج التربية ونظامها بعد انتشار المسيحية بين المجتمع اليهودي عما كان قبلها حيث أنه :

كان الطفل يدخل المدرسة في السادسة، يتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من التاريخ الطبيعي وكثيرا من الهندسة والفاك، أما الطرق المتبعة في تعليم القراءة والكتابة فيطلعون عليها رينان renan في كتابه عن حياة يسوع حين يقول: علم يسوع القراءة والكتابة وفق الطريقة الشرقية، بأن يوضع بين يدي الطفل كتاب برده مع رفاقه على إيقاع ونغم إلى أن يستظهره (...).، وكانت طرق التدريس في هذا الطور جذابة ومشوقة والنظام لينا بعض الشيء، لا ترى فيه الغلظة والقسوة التي كانت قبل العصر المسيحي ومما يقوله التلمود ((عاقب الأطفال بإحدى يديك ، وداعبهم بكليتهما)).

ونستطيع أن نخلص إلى أن للتربية اليهودية طابعا مختلفا بعض الاختلاف عن غيرها من أنواع التربية الشرقية فالذي يميز التربية الشرقية عامة هو روح المحافظة، والحد

من حرية الفرد، والحيلولة دون نموه الشخصي أما اليهود فقد كان المظهر الديني والخلقي هو الغالب عندهم، وكان تصورهم للألوهية الشخصية ولاعتقادهم بالصلة المشخصة الحميمية مع الإله والمسؤولية الفردية تجاهه اثر في نمو الشخصية الفردية. ويعتبر المجتمع اليهودي من أكثر المجتمعات انغلاقاً على نفسه، بدليل عدم تأثره بالحضارات، والثقافات التي حل بها أو حلت بين أفرادها، ودليلاً واضحاً على استمرارية تمسكه بتقاليد وقيمه التي نشأ عليها رغم تفاوت الزمن وتطور الحضارات فبقى له السبق في التأثير دون التأثير بمن هم حوله رغم تشتت أفرادهم عبر البسيطة في حقب زمنية طويلة لم يستطيع لململة بعضه إلا في الفترة الأخيرة من خمسينيات القرن الماضي حيث استطاع أن يجد له مكاناً على أرض فلسطين، محققاً لهدف كان قد رسمه أبائهم، منذ قرون خلت ذاقوا فيها طعم الضياع والتشتت عبر قارات العالم إلا أنهم تمسكوا بما تكمن فيه كل القوة وهو العلم وهو ما يتضح من خلال جوائز نوبل التي نال أغلبها علماء من اليهود.

ثالثاً : التربية الصينية

أ- ملامح تاريخي واجتماعي:

يمكننا أن نعتبر التربية الصينية النموذج الواضح للتربية الشرقية عامة فهي تمثل في شكل بين خصائص التربية الشرقية هذه التربية التي تتصف بروج المحافظة وتهدف إلى أن تجمع في الفرد حياة الماضي، وان تنشئه على عادات فكرية وعملية كالعادات الماضية دون ان تقوي أي ملكة، أو تغير أي عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة (...). نرى الحياة الرتيبة والسكون المطلق والجمود هي الصفات التي تميز هذا الشعب منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة. (عبد الله عبد الدايم، 32)

وتعتبر الأسرة في الصين عماد المجتمع وقد ساد الزواج من امرأة واحدة مع وجود تعدد الزوجات، ولكن في نطاق ضيق ومحدود، ولم يكن الطلاق شائعاً، ولكن يمكن للزوج أن يطلق بشروط معينة وتحت ظروف خاصة، وحكمه الحياة الأسرية تتلخص في أن النساء لا يتكلمن عما يدور خارج البيت ولا يتدخل الرجال فيما يدور في البيت.

(سعد مرسي، سعيد إسماعيل، 1971، 54)

ولعل الحضارة الصينية أبرز الحضارات عهدا بالتربية، وأشهرها ذكرا في التاريخ فكان الصينيون يميلون إلى التأمل الميتافيزيقي والبحث عن الحكمة الدينية، لذلك نجد المذاهب الفلسفية مثل الطاوية والكونفوشوسية، لعبت دورا كبيرا في تشكيل الرؤوس المعرفية، والآداب الاجتماعية في حياة الصينيين منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى العصر الحديث، وهو الأمر الذي يثير الاستغراب

(Waleed Eltantawy @medu .edy.my)

لقد أشتهر الصينيون منذ القدم بالجد المثابرة والعمل الدؤوب دون كلل أو ملل، وإجمالا يمكن القول أن للصين تاريخا موعلا في القدم، ولها تربية شرقية عريقة تتسم بالصرامة في حفظ العادات والتمسك بالتقاليد، وتقديس أرواح الأجداد

ب- النظام التربوي :

ركزت التربية الصينية على ضرورة عقد الاختبارات للطلاب وعلى أهمية حفظ المعلومات، ولم تنس فلسفة التربية الصينية أن تؤكد على الروحانيات، وفي الجانب الأخلاقي فإنها اهتمت بالزام المتعلم بالقوانين والتشريعات (...)، وهناك صلة مباشرة بين حبهم لعلم الكيمياء، وارتباطهم بالقيم الروحية إذ كان هدفهم من دراسة الكيمياء هو اكتشاف سر البقاء، فكرسوا جهودهم في البحث عن مادة تهب حياتهم الخلود، على أن هذا الاهتمام المتواصل قادهم إلى دراسة النباتات، فكتبوا على فوائد الثوم والأعشاب (الكندري لطيفة، ملك بدر، 80)

ويعتبر نظام الامتحانات في الصين الظاهرة الأساسية في التربية والتعليم وذلك لأن هذه الامتحانات لا تمثل القوة المسيطرة على التربية فحسب، بل أيضا تدعم الوسائل التي تؤدي إلى صيانة الكيان الحكومي والاجتماعي، ويتم عن طريقها انتخاب الموظفين اللازمين لإدارة شؤون الدولة، والناجحون في هذه الامتحانات يتمتعون بالاحترام والتقدير والإعجاب، من جميع طبقات الشعب ولهم ملابس وشارات خاصة لا يرتديها غيرهم من أبناء الشعب، ويسيطر على هذه الامتحانات تماما موظفوا الحكومة الذين يتكونون من نخبة العلماء الصينيين، الذين سبق وأن نجحوا في الامتحانات.

(سعد مرسي ، سعيد إسماعيل ، 37، 1971)

ولا يمكن فهم الخلفية النظرية للصين من غير التعرف على رواد الحركة الدينية.

منهم:

1. Laotzu لوتس :

هو مؤسس الطاوية في القرن السادس قبل الميلاد (507 ق.م) وله ثمة إصلاحات جمة بالنسبة للصينيين منها أن فكر الإصلاحية ظل قرابة ألفي سنة من ركائز الفكر الفلسفي والاجتماعي في الصين، اهتم لوتس أي - المعلم الكبير - بالروحانيات وبالصحة البدنية من أجل طول العمر فأكد على أهمية اختيار الطعام المفيد، رفض لوتس تدوين أقواله، لكن أنصاره جمعوا عباراته في كتاب أسمه (tao .th ching) وهو بالنسبة لهم مجموعة أقوال ترسم المنهج الكامل للحياة القديمة حيث يعيش الإنسان مع غيره بالحب لا بالعنف، ويعتبر كتاب لوتس من أكثر الكتب انتشارا في العالم .

2. الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس (479 ق.م-551 ق.م)

هو المعلم التربوي الذي أستمر فكره واستقر سحره في أعماق الفكر التربوي الصيني حتى أطلق عليه لقب وأعظم معلم صيني، حاول أن يقوم بالإصلاحات الحكومية والإدارية التي من شأنها أن تساعد المحتاجين والمساكين ولقد قام طلابه بتدوين تعاليمه بعد وفاته، ولعل طفولته المحرومة تولد يتيم في المجتمع جعله يشفق على المساكين ولقد قام طلابه بتدوين تعاليمه بعد وفاته، ولعل طفولته المحرومة كولد يتيم في المجتمع جعلته يشفق على المساكين فيكون فلسفته الإصلاحية. بدأت رحلته الفكرية مع أستاذه الفيلسوف لوتس الذي أنشأ الطاوية لكنه سرعان ما اختلف معه وأنفصل عنه .

لم يدع كونفوشيوس أنه نبي يوحي إليه، فقد كان مصلحا أكثر منه رجل دين، أحترم الآلهة حرص على إقامة الشعائر، وكانت عنايته من جهة إصلاح النفس الإنسانية وتكوين مجتمع سليم قوامه المحبة والإخاء والعدل.

ويرتكز القانون الأخلاقي عنده على أربع فضائل رئيسية هي :

- وجوب طاعة الوالد والخضوع له .
- وجوب طاعة الحاكم والانقياد له .
- على الأخ الأصغر أن يطيع أخاه الأكبر.
- على الأصدقاء أن يخلصوا في معاملة بعضهم البعض .

هذه الفضائل في نظر " الكونفوشيوسيين خالدة ويجب على كل فرد أن يتحلل بها باستمرار لأن الاستمرار في التحلي بالفضيلة، هو نفسه جزء لا يتجزأ من الفضيلة... لم يهمله الأصل العائلي لتلاميذ وأعد أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ، وزاد عدد المتفوقين منهم على السبعين .

تتميز توجيهات كونفوشيوس بالإيجاز والتركيز على البعد الأخلاقي، فيقول في موعظته:

يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور لا ينفك يقلبها في فكره :
فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوحوأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشا ظريفا، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورا، وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصا، وفي تصريف شؤون عمله يحرص أن يبذل فيه عنايته، وأن يبعث الاحترام فيمن معه، وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس، وإذا غضب فكر فيما يجره عليه غضبه من الصعاب وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة .

ومن روائع أقواله :

إذا اختبرت نفسي فوجدتني على خطأ، وجدتني عاجزا حتى على مواجهة الضعيف وإذا اختبرت نفسي فوجدتني على حق، وجدتني قادرا على مواجهة الألف.

(عبود ، 2001 ، 149)

وعلى العموم فإنه يمكن أن نستخلص مما سبق أن التربية الصينية اهتمت اهتماما كبيرا بالأخلاق والعلم وهما أمران يفسران سر تماسك المجتمع الصيني رغم تعداده الهائل ويبرر أن استمرار نظامه القائم كما يتضح أن الفكر الصيني يربط الذات دوما بالمجتمع صاهر روح الفرد في روح الجماعة .

كما أن الحكمة اتخذت كوسيلة لتربية المجتمع وهي ثمرة التأمل الفردي والولاء للجماعة، والحفاظ على الموروث الثقافي وتناقله عبر أجيال المجتمع الصيني، فسر مدى ولاء والوفاء للتربية المتناقلة عبر التاريخ الضاربة جذوره في أعماق الحضارة الصينية.

رابعا: التربية لدى قدماء المصريين:

أ- ملامح تاريخي واجتماعي:

عند الوقوف على الأهرامات كأثار ومعجزة من معجزات اليد الصانعة، والعقل البشري المفكر، لا يجب أن يحتار الواقف ويتعجب من هذه المعجزة أن شئنا القول ولكن من الأخرى أن يتعجب من التربية التي قادت حضارة مزدهرة، سادت أرض مصر لقرون مضت وانقضت، حاملة معها الكثير من أسرار عظمتها الخالدة، فالأكيد أن هذا الانجاز والإبداع كان وليد سياسة تربوية متطورة، قامت على علم حقيقي لا خرافات أو سحر. ويرجع مايسبرو فجر المصريين الأوائل إلى ما بين 1000-8000 ق.م على أن التاريخ المدون عن مصر يبدأ من عام 1241 ق.م ويقول برسدت أن واد النيل سكنته أقوام حوالي 1800 سنة ق.م (...)، ويرجع ولد ديورانت نقلا عن ثقافت في التاريخ القديم أن غزاة وفدوا أو هاجروا من غرب آسيا، وجاءوا معهم بثقافة أرقى من ثقافة البلاد وتزاوجوا مع هؤلاء السكان، الأقوياء وأنجبوا سلالة هجينة، كانت مطلع حضارة جديدة ثم أخذت هذه السلالة تمتاز ببطيئا حتى تألف من امتزاجها فيما بين 3000-4000 ق.م شعب واحد هو الشعب الذي أوجد مصر التاريخية .

(سعد مرسي ، سعيد إسماعيل ، 1971 ، 76)

وفي فترة من الفترات احتل الهيكسوس (ملوك الرعاة) جزء من أرض مصر، ثم مالبثوا حتى طردوا منها حوالي عام 1700 ق.م، وعادت السلالة الوطنية فحكمت مصر كلها ووحدتها، وفي عام 525 ق.م استولى قمبيز ملك الفرس على تلك البلاد وجعلها مقاطعة فارسية ثم غزاها الاسكندر الكبير، وأنشأ فيها مدينة الإسكندرية التي أصبحت موئلا للعلم والحضارة، وازدهرت مصر تحت حكم البطالسة، وغدت مقاطعة رومانية قبل ميلاد المسيح بسنوات، وأخيرا فتحها العرب في أيام عمر بن الخطاب في القرن السابع الميلادي و غدت منذ ذلك الحين بلدا عربيا . (عبد الله عبد الدايم، 1973م، 46)

عبد شعب مصر في البداية آلهة كثيرون (...). وكان المصريون القدامى يؤمنون بالبعث بعد الموت، وبخلود الروح والثواب والعقاب في دار الآخرة، وكانوا يعتقدون أن الروح تعود لتسكن الأجساد من جديد، ولهذا لجئوا إلى ((التحنيط)) وبنوا الأهرام ليحفظوا فيها جثث ملوكهم (...). وأنقسم المصريون القدامى إلى ثلاث طبقات اجتماعية، أعلاها وأوسعها نفوذا طبقة الكهنة ، وكانت لهم السلطة الكبرى على الشعب والفرعنة ،

بالإضافة إلى الكهنة عرافات وكتابا ورجال فن وعلم (أطباء ومهندسين وغيرهم) أما الطبقة الثانية فتضم المحاربين الذين كانوا يعدون نبلاء والطبقة الثالثة تضم باقي الشعب. لقد برع المصريون في علوم كثيرة منها علم الهندسة والطب والزراعة والفنون الجميلة كالرسم والنحت والموسيقى، كان المصريون أصحاب حضارة عملية إلى ابعد الحدود والأدلة على صدق ما سبق مستفيضة وأعظمها آثارهم الخالدة ورسوماتهم الساحرة (...). عبد الفراعنة الشمس، وقدسوا الحيوانات ولقد قام اخناتون (1369-1353 ق.م) باختيار اله واحد وهو الشمس فعبده، ومن الناحية الاجتماعية أدت المرأة دورا مذكورا على ساحة الأحداث العامة، وكانت للمرأة الفرعونية منزلة عظيمة في المجتمع .

ويذهب بعض الباحثين المحدثين مثل البروفسور جورج جيمس في كتابة التراث المسروق stolenlegacg إلى أن المصريين الأوائل وليس اليونان هم مصدر الإشعاع التربوي في التاريخ الإنساني، وإن سقراط وأفلاطون وأرسطو نقلوا إنتاج المصريين ووضعوه في كتبهم .

ب- النظام التربوي لدى قدماء المصريين:

كان النظام التعليمي يركز على حفظ المعلومات وتنمية المهارات، مثلها مثل الحضارة السومرية وكان على المتعلم أن يبدأ من البسيط إلى المعقد، وكان التعليم مرتبطا بأهمية الإنتاج والعمل. (Armstrong henson and savage 1993.77)

وذكر الدكتور عبد المحسن حمادة (1995) أن التعليم العالي كان مقتصرًا غالبًا على المعابد ومن أشهر المعابد جامعة (أون) أي عين شمس ومعبد الكرنك وأدفو، أن الأطفال من سن 5 إلى 11 كانوا يتعلمون " قراءة وكتابة اللغة الهيروغليفية ، وكانوا يدونون نصوصهم الدينية على خشب الأبنوس والعاج وصفحات ورق البردي ، كان التعليم في مراحل الأولى يحصل عليه عامة الناس، أما التعليم العالي فكان من جملة الحقوق التي ينالها ويتمتع بنورها إلا أبناء الفراعنة النبلاء .(المرجع السابق، 67)

ومن الحكم المصرية الماثورة في ميدان التعليم قولهم في تمجيد شأن الكتابة " كن كاتبًا تبلغ المجد والثروة، وقولهم " تذكر يا يابني أن أي مهنة من المهن محكومة بسواها إلا

الرجل المثقف فانه يحكم نفسه بنفسه، " تقول د. أميرة طه بخش مثل هذا القول يكشف لنا مدى اهتمام المصريين القدماء في التربية ، بل يوضح أن المصريين القدماء ربما يكونون أول البشر إرساء لمفهوم التربية في إطاره العلمي المعاصر، ومن العبارات المتفاوتة على جدار مصري فرعوني " سأجعلك يا بني تحب الكتاب ... كما تحب أمك أو أكثر " .

ويبدو أن مصر القديمة عرفت الأشكال الأولى من التخصص (التدرج العلمي) ، فكان كل من الكتاب والمهندسين والبنائين والأطباء والكهنة، يتلقى إعدادا مناسباً لمهنته المقبلة أما الكتاب scribes فكانوا يدرسون ثلاثة أنواع من الخط الشعبي (dimatique) والخط الهيراطي (hierorrique) والخط الهيروغليفي، بالإضافة إلى المحاسبة والرسم والدين ، أما المهندسون والبنائون فكانوا يدرسون بوجه خاص الهندسة وعلم الحيلة (الميكانيكا) وعلم الأفنية والمياه وعلم الفلك .

أما الأطباء فكانوا أيضا يدرسون دراسات عميقة ، وكان بعضهم يختص بفن التحنيط وحده ، ولم يكن المحاربون يحصلون سوى على ثقافة أولية تضاف إليها معلومات خاصة حول المهنة ، ومما يقرره أفلاطون نفسه أن الموسيقى المصرية كانت جليلة ورصينة والكهنة كانوا يدرسون العلوم جميعا، من دين وأدب وعلوم طبيعية وفلك وطب وهندسة وموسيقى ومعلوماتهم فيها كانت واسعة جدا (...)، وكان مشاهير رجالات اليونان يفخرون بأنهم تتلمذوا عليهم.

لقد كان المصريون أول من استخدم أوراق البردى من أجل التدريب على الكتابة ، كما أنهم استخدموا طرقا حسية في تعليم العد والأعمال الحسابية الرئيسية، وكانوا يستخدمون الأشكال في تعليم الهندسة.

ونستخلص مما أطلعنا عليه أن التربية عند المصريين تميزت ببعدها الديني وهذا ما يفسره سيطرة الكهان على النظام العام للدولة، وكذا العلمي وهو ما يفسره حج مختلف رجالات وفلاسفة الحضارات اليونانية وغيرها لأخذ ما وصل إليه العلم والمعرفة على يد المصريين .

وكحوصلة وملح عام للتربية الشرقية وانطلاقا من التربية الهندية، ثم الإسرائيلية والصينية ثم المصرية، يتجلى أن التربية بهاته الحضارات كانت محافظة إلى حد ما وغير متجددة تلتزم بالحراسة في الحفاظ على المورث الثقافي والتقليدي، وتعتمد في

أسلوبها التعليمي على الحفظ ولاستظهار، ولا تعطي الحرية للأفراد لإبراز إبداعاتهم ولعله أسلوب أنتهج قصد السيطرة والمحافظة على استمرارية الأنظمة واستقرارها ودوام الدول .

المبحث الثاني:

التربية في العصور الوسطى وعند العرب قبل وعند مجيء الإسلام
1) التربية اليونانية :

أ- ملامح تاريخي واجتماعي :

تختلف التربية اليونانية عن التربية الشرقية وتتباين تباينا تاما فعلى حين نرى أن روح المحافظة والجمود والحد من حرية الفرد هي التي تتميز التربية الشرقية، نرى أن روح التجديد والابتكار وروح الحرية الفردية، هي التي تتميز التربية اليونانية، فالليونان فسحوا المجال واسعا لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها، السياسية منها والخلقية والعلمية والفنية، وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة، الجميلة فكان التكوين الروحي للفرد موضع عنايتهم وتكامله النفسي و تحقيق الانسجام بين كماله الروحي وكماله الجسدي المثل الأعلى لهم.

إن اليونان القديمة تعطينا مثالا خالدا لعلاقة التربية بالمجتمع ولتكيف التربية وفق تطور المجتمع، فقد كانت اليونان القديمة في القرن السابع قبل الميلاد بلادا زراعية كانت التربية فيها بسيطة، تعتمد على تكوين النشأ تكوينا رياضيا عسكريا .

(محمد فاضل الجمالي، 1967، 67)

لقد أثرت الثقافة المصرية القديمة تأثيرا مباشرا، على العالم الموجود في ذلك الوقت وبالأخص على اليونان القدماء فقد لعبت مصر دورا هاما في الثقافة الهيلينية، وفيما قبلها من الثقافات التي ورثها الإغريق (...)، واختلط الإغريقون بالمصريين في عهد الأسرة السادسة والعشرين ، ومن ذلك الوقت بدأ يحيون مكانتها العلمية ويفدون إليها طلبا للعلم والمعرفة (...). فتعلموا عن المصريين علم جسم الأرض ثم طوروه إلى علم الهندسة وأخذ ((سولون)) الذي تعلم في جامعة عين الشمس القديمة القوانين المصرية القديمة وصاغ منها تشريعات اليونان في مجالات الحياة المختلفة ومنها المجال التربوي.

(محمود السيد سلطان ، 1979 ، 33،34)

يعتبر اليونان شبه جزيرة تتبعها مجموعة من جزر البحر الأبيض المتوسط وهي ذات مناخ معتدل تضاريسها عبارة عن جبال ووهاد وعلى أرضها وجدت مدن كثيرة كانت تسمى كل منها دولة، ولكل من هذه الدول نظام اجتماعي ذات قوانين وأنظمة خاصة تتراوح بين الديمقراطية والاستبدادية كما كان لكل منها، ألهتها وهكذا نحن ستختار نموذجين من هذه الدول إحداهما إسبرطة والأخرى أثينا، لأنها يمثلان نوعين مختلفين من النظم الاجتماعية والثقافية بوجه عام، وهذا لنقف على التربية في كل منهما .

ب - التربية الإسبرطية

كان المجتمع الإسبرطي طبقات مثل شقيقه المجتمع الأثيني، وكان الحكم أرستقراطيا عسكريا هدفه إخضاع الفرد للدولة ، نجد إسبرطة كانت تحافظ على التراث الثقافي المورث، خاصة فيما يتعلق بالأفكار المتوازنة عن الكون والآلهة، ولذلك اتسمت ثقافتها بالجمود، وانعكس ذلك كله في فكرها التربوي وفي نظامها التربوي ولذلك استهدفت إعداد الفرد للدولة واتخذت من الطاعة العمياء للقانون ومن التربية الجسدية، ومن التقشف وضبط النفس والشهوات، وتحدي الصعاب، وسائل لتحقيق هذا الهدف.

وفي سبيل تحقيق ذلك فإن الدولة (اسبرطة) تمتلك الطفل منذ ميلاده وتخضعه لاختبارات الحياة والموت عن طريق مجلس من الشيوخ، وترعى الأم طفلها لمدة سبع سنوات في

البيت ثم تتولى مؤسسات تشرف عليها الدولة أمر تربيتهم بواسطة مربى ومساعدى لهم ويصبح ابن الدولة، ويخضع لنظام قاس من التربية التشفية إعدادا للحروب ، وغلب بهذا الشكل على التربية الإسبرطية طابع التربية العسكرية، واحتقار التدريب العقلى والأدبى فى مناهج التعليم.

الشجاعة النابعة من التمرينات الرياضية الشاقة كانت من أهم القيم التربوية فى حياة الفتىان والفتيات وكانت كل المواعظ والمتوارثة والتدريبات القاسية تعمل على ترسيخ هذه الفضيلة فى نفس المواطن الإسبرطى لدرء المخاطر الخارجية وتأمين حياة قوية وحضارة متفوقة، انبثقت مجموعة قيم اسبرطية من قيمة الشجاعة مثل قيم الصبر والتعاون ، وتحمل المشاق ، وضبط النفس والثبات والخشونة فى العيش ، والطاعة العمياء للقادة ، والولاء المطلق لهم واحترام النظام .

ويقال أن المثال الحسن للتربية الإسبارطية، هو ذلك الشاب الذى إذا ضرب ضربا مبرحا بالجلد يتحمل الضرب بكل سرور، بدون أن يصرخ وأن يبدي آثار التألم ، ويقال أن الحكيم ليكوغرس هو الذى وضع أسس هذه التربية الإسبارطية، وهى على جانب عظيم من الجفاف الفكرى والفقر الفنى ، ويروى أن الإسبارطيين لم يكثرثوا بتعليم القراءة والكتابة.

ومما سبق يبدو جليا أن التربية الإسبرطية باهتمامها المطلق ببناء الأجسام والخشونة دون اهتمامها بالجانب الفكرى الفنى والتربوى والتعليمى دلالة على شعور هذا الشعب بعدم الأمن والاستقرار نتيجة الحروب الدائرة بين الأمم ذلك الزمان وهو تطرف منهجى فى تناول الحياة مما جعلها يهملون حياة الفكر والروح والفن .

ج - التربية الأثينية

وتختلف التربية الأثينية اختلافا بينا عن التربية الإسبرطية سواء فى أهدافها أو فى وسائلها فهدها أن تخرج فردا حكيما فى أدائه وواجباته وفى استخدام حقوقه هذا إن كانت من ضمن أهدافها أن تخرج شخصا قويا شجاعا فى الحرب فإنها اختلفت مع إسبرطة أيضا فى طريقة إعداد وفى حين اعتمدت إسبرطة على الدولة فى تنشئة الطفل أولت التربية الأثينية للأسرة قدسية واعتبرتها ركيزة فى تنمية الطفل وتشكيل شخصيته .

(محمود السيد سلطان ، 1979 ، 41)

وكان الأثيني غيور على زوجته وأبنته، وتتزوج البنات في سن الخامسة عشر وأقل أحيانا أما الرجل فلا يتزوج إلا بعد سن الثلاثين، ونساء الأحرار قل ما يخرجن إلا بإذن من الزوج وحراسة عبد، وتمضي الفتاة وقتها في تعلم الفنون المنزلية تحت إشراف أمها وتهتم بجمالها ومظهرها.

(سعد مرسي أحمد ، 1986 ، 126)

ويمكن تلخيص أهدافها في أنها استهدفت تكوين المواطن الكامل جسما وعقلا وخلقا لكي يزود على وطنه وقادر على الإسهام في فكره وثقافته متزنا في شخصيته قادرا على استثمار إمكانياته الجسمية والعقلية والروحية ، وفي ظلال الحرية الفكرية، وفي ظلال الأشجار الوارفة نمت الفكر الأثيني وترعرع فأبدع، وأثمر نظريات وفلسفات ظلت تؤثر في العالم بعدها ومازالت تؤثر، وخلدت مفكرين في الفلسفة والسياسة والاجتماع والتربية مثلا افلاطون وأرسطو و السفسطائيين.

- السلم التعليمي:

يلتحق الطفل بالمدرسة حوالي سن السابعة، ويدرب على كل التمرينات الرياضية كالجري والرقص، والسباحة، وتدليك الجسم بالزيوت والمصارعة ورمي القرص والرمح، كما كان يدرس الموسيقى لتهديب نوقه الأدبي ولتنميته خلقيا وكان يتعلم القراءة ويجيد الكتابة والحساب والأغاني الوطنية، والشعر والطريقة التي اتبعت في التعليم هي الطريقة التركيبية ، فيتعلم التلاميذ الحروف ثم المقاطع ثم الكلمات، ويبدأ التلاميذ الكتابة على الرمل ثم على الشمع ، ودرس التلاميذ الجغرافيا عن طريق إلياذة هوميروس ، وينتقل الأثيني إلى مرحلة الجندية من سن الثامنة عشر إلى العشرين.

كان من نتائج التربية الجديدة أن عرفت الثقافة والتربية اليونانية انتشارا واسعا عبر العالم وهذا يظهر من خلال انتشار مؤسسات راقية أبرزها مدرسة أفلاطون 376 ق. م. ومدرسة أرسطو من الليسيوم 335 ق.م . ثم مدرسة زينون، مدرسة أبيقور، ثم توحدت هذه المدارس وشكلت جامعة أثينا التي استمرت حتى عهد جوستينيان حيث أغلقت عام

329 ق.م ، إثر انتشار الدين المسيحي . (عبد الله الرشدان، نعيم جعيني، 1999 ، 125)

إن هذا العرض المجمل يعطينا صورة واضحة عن الفروق الجوهرية بين التربية الإمبرطية والتربية الأثينية القديمة ولكن هذه الفروق سوف تتسع كما قلنا مع تطورات أثينية ، ففي النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد بدأت التطورات الجديدة في حياة أثينية ، فبتأثير (ثومسيتوفكس) أصبحت أثينية أعظم قوة بحرية وكانت تجارتها

مزدهرة ونشأت بذلك طبقة تجارية ثرية جديدة، تخاصمت مع كبار المزارعين على النفوذ وأدى الخصام إلى تأسيس ديمقراطية ، أدت هذه الأخيرة إلى تطورات في نظام التربية والتعليم .

الفسطاطيون :

نشأت طبقة جديدة من المعلمين الفسطاطيين، وهم جماعة قدموا إلى أثينية من الخارج بقصد إعداد الأثينيين للحياة العامة لقاء أجور معينة ومع أن الفسطاطي تعني " الحكيم " إلا أن بعض هؤلاء كانوا مشعوذين ،ولذلك فقد اتخذت الكلمة معنى مزدري به أحيانا بالرغم من بروز أشخاص من مثال " بروتاغورس " هم فلاسفة حقا (...) هذا وأن جماعة من الشبان عنيت بالتقاليد العلمية اليونانية والفكر اليوناني سافروا إلى خارج أثنية ليتعلموا على أيدي الفسطاطيين من أتباع فيثاغورس والجمعية الدينية التي عنيت بالعلوم الرياضية. (محمد فاضل الجمالي ، 71)

ليس من الإنصاف للتاريخ أن نمر في بحثنا هذا على التربية اليونانية التي غيرت مجرى حضارات وأحداث العالم دون أن نبرز أهم من ساهموا في هذا التغيير من فلاسفة وحكماء ومفكرين من بينهم :

1- سقراط:

لم يمض نصف قرن على ازدهار الثقافة الجديدة على أيدي الفسطاطيين حتى برز بعض المعلمين من أبناء اثينة نفسها ، وقد ظهر قبل انتهاء القرن الخامس للميلاد سقراط الذي عاش بين سنة 429 و399 قبل المسيح ، ويعده البعض أعظم شخصية فكرية أنجبتها أوروبا في تاريخ الفكر الإنساني، إن سقراط كان نحاتا من حيث المنشأ ولكنه مفكرا عميقا في حياة الإنسان، وفي حياة المجتمع ، وكان مؤمنا بالله وبالحياة الروحية وبالحياة بعد الموت ، كان يعتقد بأن وراء عالم المحسوسات المتغير عالم المفهومات الثابت، ف وراء المفردات الحسية الفكر، هو بذلك مهد لفلسفة كل من أفلاطون وأرسطو طاليس.

إن سقراط كان مؤمنا بالله كما أسلفنا ، وبالحياة بعد الموت وناقدا للمجتمع ولما تسرب إليه من فساد، وإن اتصالاته المستمرة مع الشباب أوجدت حركة، اجتماعية ضد

الأوضاع السائدة الأمر الذي حمل الأثينيين على محاكمة سقراط بتهمة إفساد الشباب وتسميم أفكارهم فحكمت عليه المحكمة المؤلفة من خمسمائة شخص بالأكثرية بالموت بشرب السم.

2- أفلاطون :

ولد أفلاطون (429-347 ق.م) من أسرة ارسقراطية وتتلمذ على سقراط في سن العشرين بينما كانت الحرب مشتتة بين دولة اثنيا من الشقيقة اليونانية اسبرطة (...). بنى أفلاطون نظريته على أساس نظرة للمجتمع العادل الفاضل المثالي الذي يوضع فيه كل فرد في مكانة المناسب بدقة متناهية وبعدالة مطلقة (...). لقد تأثر أفلاطون في جمهوريته بأساتذة اليونان كما تأثر بالواقع الأثيني، وبالتهديدات الاسبرطية لوطن الأم اثنيا كما تأثر بالحضارة المصرية القديمة، وبتنظيمها الاجتماعي التربوي بشكل واضح.

(محمود السيد سلطان ، 41 ، 43)

أهمية أفلاطون :

كان الفيلسوف العظيم أفلاطون أول من كتب عن العلاقة الوثيقة القائمة بين التربية والمجتمع، فسلامة المجتمع بل سلامة الإنسانية كلها، تتوقف في رأيه على سلامة التربية التي يقدمها المجتمع للفرد، فإن صلحت التربية صلح المجتمع، وإن فسدت اضمحل المجتمع وزال من الوجود هذا وأن (جمهورية أفلاطون) هو أول كتاب وضع في التربية في عالم الغرب وقال عنه روسو ((أنه أطرف بحث كتب في التربية على الإطلاق)) . هذا وأن لأفلاطون فضلا مضاعفا على العالم ، الفصل الأول هو تعريفه العالم بشخصية أستاذه العظيم سقراط وآراءه إذ لولاه لما عرف سقراط المعرفة الكافية، والفضل الثاني ما قدمه هو نفسه إلى العالم من نفائس الآراء، هذا وأن البعض قد يذهب إلى اعتباره أعظم فيلسوف ظهر إلى الوجود .

(محمد فاضل الجمالي ، 77)

أرسطو طاليس (أرسطو) :

عاش بين (384-322 ق.م)، هذا ويعتبر البعض أن أرسطو أعظم الجميع فقد كان لفلسفته إلى جانب فلسفة أفلاطون أعماق الأثر في الفكر القديم وفي القرون الوسطى وبقيت آراءه العلمية رائجة إلى حين بزوغ العلم الحديث (...). أن أرسطو مثل أستاذه أفلاطون ينظر إلى التربية باعتبارها عملية مرتبطة بكيان الدولة وبالكيان السياسي القائم ولذلك فهو يعالج موضوع التربية في كتابه " السياسة " باعتبارها موضوعا سياسيا (...)

هذا وأن أرسطو نفسه كان معلما خاصا لإسكندر المقدوني (...). هذا وأن نظرة أرسطو إلى التربية تختلف على نظرة أستاذه أفلاطون اختلافا جوهريا من حيث عنايتها بالفرد كأساس للبناء الاجتماعي فأرسطو يرى أن واجب التربية هو تكوين الإنسان الفرد ((وأن الإنسان بطبيعته حيوان سياسي)) . (نفس المرجع ، 1967 ، 87 - 92)

مقومات التربية عند أرسطو:

ما يراه من أن تقوية الأواصر الأسرية خير للأسرة والتربية في الوقت نفسه، ولهذا ينتقد في كثير من الأحيان العنف الشيعوية ((شيوعية النساء)) التي قال بها أفلاطون إذا يرى أن الصداقة أو ما نسميه اليوم بالإحسان والإخاء هي أساس كل حياة اجتماعية ومبدؤها (...). وثمة في نظره شيئان يسهمان إسهاما جوهريا في خلق الاهتمام والترابط بين قلوب الناس الملكية، والصداقة (...). لقد شغلت التربية الخلقية أرسطو كما شغلت أفلاطون، ولهذا يقرر بضرورة تكوين العادات الخلقية منذ الصغر ، في كثير من العناية. (عبد الله عبدالدايم ، 1967 ، 87 - 92)

أهمية أرسطو :

الإنسان في رأي أرسطو يتكون من طبيعة وعادة ومنطق (تفكيري) والعادة تسبق المنطق و التفكير، وبما أن نفس الإنسان الشهوانية تظهر قبل نفسه المنطقية، فوجب تنشئه الفرد على ضبط الشهوات بالعقل والمنطق، هذا و أن الخير والشر ليسا في الشهوات نفسها بل في استعمال الشهوات، فإذا ضبطت الشهوات بالعقل والحكمة كانت خيرا والعكس بالعكس وهذا وإن النفس الشهوانية وإن كانت غير عاقلة إلا أنها تخضع للعقل إذا سلب العقل عليها، فواجب المربي هو أن يحمل الطفل على التمييز بين الخير والشر وإخضاع للعقل .

وخلاصة القول ، إن أرسطو تميز عن سبقوه بفكره المتسامي و دراسته للإنسان بنظرة ثابتة رفعه بها عن باقي المخلوقات، مؤكدا على أن سعادة الإنسان كونه مخلوقا عاقل لا تنحصر في ملذاته الجسدية ، أو شهواته التي تحط به روحه الحيوانية، إنما نفسه العاقلة تحقق له السعادة الكاملة حينما تسموا به إلى درجة الألوهية، وتنزهه عن الشعور بالذات إلى التأمل فيما هو له من الخلق، والتفكير فيما وراء الطبيعة وإدراك حقيقة الوجود المرتبطة بالإله الواحد " المحرك الأول" للخلق، خالق الكون، فأستحق أرسطو بفكره المتسامي أن يلقب بالمعلم الأول .

2) التربية الرومانية

أ- ملحق تاريخي واجتماعي :

من الحضارات التي عاشت لمدة مئات السنين ولعبت دورا في تاريخ الفكر البشري الحضارة الرومانية وريثة الحضارة اليونانية حيث حولت الآراء الفلسفية السابقة إلى نظريات وابتكارات مادية ملموسة وعلى ذلك كان سقوط اليونان 146 ق.م في أيدي الرومانيين هزيمة سياسة عسكرية، ولكنها لم تكن نهاية الفكر الإغريقي الذي أثر تأثيرا قويا في ثقافة الغزاة ، لقد تحولت النظريات المنطقية والعلوم للأكاديمية إلى انجازات عملية نفعت الرومانيين ، وكانت التربية عند الرومان تقوم على التقليد والقسوة في دفع المتعلم إلى الدراسة .

ب- التربية لدى قدماء الرومان :

لم تعرف روما المدارس إلا منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد أما قبل هذا العهد فهم يعرف الرومان من المعلمين آباءهم والطبيعة، فكانت التربية لديهم تربية جسدية وخلقية فحسب أو بتعبير أصح حربية وخلقية، فكانوا يعنون من جهة بالتدريبات المتصلة بساحة الوعى أو ساحة مارس ويعنون من جهة ثانية بحفظ الأناشيد الدينية التي كانت تحتوي على أسماء الآلهة والآلهات، يضاف إلى هذا دراستهم الألواح الأثني عشر (المحتويات للقانون الروماني)، وعن طريق هذه التربية خرج الرجال الأشداء والشجعان الذين عرفوا بوطنية لم يعرف التاريخ مثلها .

عندما تقدمت التربية عند الرومان أصبح التعليم يركز على مهارة القراءة والكتابة والمحادثة وكان التركيز واضحا على تبني فكرة أهمية الخطابة في إعداد المواطن كما شيشرون الذي ولد سنة 106 ق.م وفشل سنة 43 ق.م هو أحد أعلام التربية الرومانية فعل شيشرون بضرورة الاعتناء التربوي بالشبيبة وترك وصايا عديدة هي من أقدم الوصايا التربوية الرومانية .

كان كل شيء لديهم يهدف إلى غاية عملية والمنفعة عندهم فوق كل اعتبار آخر أما المثل الأعلى فلا شأن لهم به، فهم يريدون أن يكونوا جنودا ومواطنين مطيعين قادرين على التضحية وهم ينكرون الحديث على الإنسان ، بما هو إنسان ولا يستسيغون سوى الحديث عن المواطن الروماني .

ويعتبر كونتليان (quintilian) (35، 95 م) أحد أعلام التربية الرومانية بالإضافة إلى شيشرون حيث أسهم إسهاما بارزا في حقل التعليم عندما أكد على أهمية تعليم الصغار في المدارس، إذ كان السائد في كثير من المجتمعات أن الطفل يدرس أكثر وقته في محيط الأسرة، وشن كونتليان هجومه على استخدام العقاب البدني فلم يقر به واعتبره صورة متخلفة (...). ولقد ترك كونتليان المربي الروماني مقطوعات نثرية لها قيمة تربوية كبيرة وكأنه استلهمها من دراسة عميقة لمبادئ علم النفس الحديث، فمثلا رأيه في استخدام اللعب كوسيلة من وسائل التربية، وحديثه عن أهمية الترويح والتسلية في تجديد نشاط الطفل من المباحث العصرية التي تعرض لها في مواعظه التعليمية القيمة والتي تنسجم تماما مع روح التربية الحالية .

قامت شهرة كونتليان على تأليفه كتاب أصول الخطابة ومن أفكاره الثقافية قوله " من الخطأ الاعتقاد بأن المعلم ضعيف الثقافية يناسب التلاميذ الصغار " .

عرفت الحضارة الرومانية المدارس الابتدائية التي كانت معروفة باسم اللودوس المعلم يسمى المؤدب أما الآباء الأغنياء فكانوا يجلبون لصغارهم معلمين أكفاء يلازمانهم في البيت والمدرسة فيقدموا لهم التوجيه اللازم أخلاقيا ودراسيا.(الكندري نطيفة، ملك بدر، 79) وكان الآباء الأغنياء من الرومان يضعون أبناءهم في رعاية عبد يطلق عليه إسم "بيداجوج" منذ دخولهم مدراس اللودوس حتى سن السادسة عشر .

(العميرة محمد حسن ، 2000 ، 148)

إن السبق التاريخي لوضوح معالم التربية الذي نالته المدارس اليونانية كالمدرسة الرواقية والابيقورية وحتى مدارس فيثاغورس وسقراط وكذا أرسطو كان له الأثر في تواجد أتباع لفكرهم التربوي من الحضارة الرومانية وفلاسفتها وإن لم ينالوا شهرة بالقدر الذي ناله فلاسفة اليونان ولعل أبرز هؤلاء بالإضافة إلى كونتليان وشيشرون نجد أيضا: 1/ سينيكا: وهو من بين الفلاسفة والكتاب الخلفيين الذي ظهوروا في القرن الأول بعد الميلاد .

2/فلوطارخس (plutarque):(137،50 ق.م)ينتسب في الواقع إلى العالم الروماني إذا قدم لي روما مرات عديدة فتح فيها في عهد (دومتيان) مدرسة علم فيها الفلسفة والأدب والتاريخ .
(عبد الله الدايم ، 93- 94)

وخلاصة القول فإن التربية الرومانية كانت تربية تقليدية وتعتمد الغلظة والشدة على المتعلم وطريقة التعلم بواسطة الحفظ عن ظهر قلب ، عدا بعض المؤشرات التي أتى بها كونتليان والتي تعتمد على فهم الطبيعة وترك مجال للحرية في التعبير للمتعلم.

(3) التربية المسيحية في العصر الوسيط

أ- ملحق تاريخي واجتماعي :

بعد القرارات المتتالية (312، 313 ، 321 ...) التي أصدرها الإمبراطور قسطنطين عدت المسيحية دين الإمبراطورية الرسمي، فعدت أهداف الشعب العملية، ورعاية حياته الاجتماعية في يد الكنيسة على أن هذا لا يعني أن جماهير الشعب قد اعتنقت المسيحية روحا وسلوكا، ومع ذلك فقد خلق هذا الانقلاب حاجة إلى تنظيم السلوك تنظيما جديدا وإحلال مثل عليا في الحياة ، وما كان في وسع التربية أو الديانة اليونانية والرومانية أن تلبى هذه الحاجة.

ب- روح المسيحية الجديدة:

ركزت المسيحية على الإيمان بالجوانب الروحية في الإنسان كما قدمت مفهوما كريما لهذا الإنسان ، وبذلك فهي تختلف عن الديمقراطية اليونانية التي قصرت حقوق المواطنة على الأحرار من اليونان، كما تختلف عن مفهوم الفرد في القانون، الروماني الذي فرق من السادة والعبيد، كما أنها تختلف عن مفهوم الفرد عند اليهود الذين خصوا اليهود فقط بكل ما يعنونه من حقوق وواجبات ،وبإتباع الناس الدين المسيحي ساد ما يسمى في تاريخ البشرية (بالحياة النظيفة) .

قامت المسيحية في بدنها على سواعد عدد من المشايخ الذين نشروا تعاليمها بما وهبوا من علم وفصاحة، وقد كانوا فريقين، فريق اغرق في التصوف وغالى في التشيع ،ونظر إلى كل فضول فلسفي بالتالي نظرتة إلى شيء محرم وعدّ الشغف بالأدب زندقة وكفرا وفريق آخر كان أكثر اعتدالا عندما حاول أن يوفق جهد المستطاع بين العقيدة الدينية والعناية بالأدب.

يعتبر بعض المؤرخين أن سقوط الإمبراطورية الرومانية على يد العثمانيين والذي يوافق سقوط القسطنطينية عام 1403 نقطة تحول تاريخي للعالم الأوربي .

فقد عاش الغرب من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الرابع عشر في ظلام دامس وغاب العقل عن واقع الحياة، إلا في أحوال نادرة ومحاولات متفرقة، سيطر فيها رجال

الدين النصارى على حياة الناس فصادروا حرية التفكير، والتعبير وأثقلوا المجتمع بدفع المبالغ الباهظة للكنيسة حتى يشترروا الجنة، وأعطوا العامة صكوك الغفران. إن هذه البذور التي كانت تحملها الديانة الجديدة لم تثمر مباشرة (...) فالتعاليم المسيحية قد حلت أولاً بين شعوب همجية لم يكونوا قادرين منذ الوهلة الأولى على الارتفاع إلى ثقافة فكرية وخلقية سامية، فقد كان غزو البرابرة للمجتمع القديم على حد تشبيهه جوفروا (jouffray)، أشبه بحطب أخضر تلقيه على لهيب مشتعل فلا يتصاعد منه في البدء إلا كثير من الدخان، ثم أن المسيحيين الأوائل كان عليهم لتوطيد عقيدتهم أن يحاربوا صعوبات متجددة بلا انقطاع (...) وفي هذا النضال الذي قام به أوائل المسيحيين للتغلب على العالم القديم خلطوا بين النضال ضد الديانة الوثنية وبين نضالهم ضد الآداب الوثنية. (عبد الله الدايم ، 105)

لقد أعطت المسيحية مفاهيم جديدة للعدالة الاجتماعية كنبذ الطبقية، وحاولت إصلاح المجتمع الوثني وتغيير الكثير مما كان عليه، كمنع احتفالات المصارعة الرومانية الدموية وكذا واد الأطفال، وأشاعت روح التسامح والفضيلة بين أفراد المجتمع.

ج- ملامح التربية الغربية في العصر الوسيط :

✓ التركيز على أخلاق المعلم وعلى مفهوم العدل، الحكمة، العفة، الشجاعة، وضبط النفس، الاعتدال، فالمعلم يجب يكون مالكا لزام هذه الصفات متحليا بها في علمه.

✓ سيطر رجال الدين على مقاليد الأمور كلها وعلى رأسها الشؤون السياسية.

✓ احتكار حق مطالعة الكتب على طائفة رجال الدين وعدم تشجيع العلماء و البحث العلمي مما سبب الضمور العلمي.

✓ الإيمان بالخرافات والتبرك والتمسح بالصور والصليب وتمائيل وتفسير الأمراض المزمنة على أنها مس شيطاني فقاموا بتعذيب المريض أو تقييده وحبسه.

✓ فكرة الخطيئة الأولى وعقدة الذنب ولدت عند البعض الشعور بأن الإنسان شرير و أوجدت فكرة المخلص الذي يضحى بنفسه لإنقاذ البشرية إي الإيمان بعيسى كإله منقذ.

✓ احتقار المرأة وسلب حقوقها المادية والإنسانية .

✓ تشجيع الاهتمام بالأدب والقانون وقام بعض العلماء وخاصة في القرن الثاني عشر والثالث عشر بترجمة تراث اليونان وبعض الكتابات العربية مثل كتب الرازي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد الفلسفية الطبية .

(الكندري لطيفة، ملك بدر ، 96)

وبقيت الكنيسة قرونا طويلة هي المؤسسة الوحيدة التي تقود وتوجه المجتمع وتشرف على تسيير أموره ولقد أوجدت المسيحية عدة مدراس من بينها:

1- مدارس تعليم المبادئ المسيحية:

وكانت تتخذ الكنائس مقرا لها وكانت تستقبل أبناء المسيحيين والراشدين من اليهود والوثنيين الذي اعتنقوا المسيحية، وكان التهذيب بهذه المدارس تهذيبا عقليا وخلقيا مع اهتمام واضح بالموسيقى.

2- مدارس الحوار الديني:

3- وهي مدارس أرقى من المدارس السابقة وكان لابد للقساوسة المسيحية وزعماء الكنيسة من الإلمام بتاج العقل اليوناني، حتى يستطيعوا النقاش مع مدارس الفكر اليونانية ثم أنشئت مدارس الكاتدرائية متبعة نظام المدارس الحوارية ، وتطورت واتسعت وتوطدت مكانتها خاصة بعد إعلان المسيحية ديناً رسمياً لروما .

ولقد تأثرت التربية المسيحية في صيرورتها التاريخية ببعض النهضات ، كنهضة شارلمان (771-814 م)، والحركة المدرسية في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ومن أشهر مفكري هاته الحقبة والفاعلين فيها .

• شارلمان (شارل الكبير) .

• القديس أوغسطين الإكويني ، وهو المساعد الأيمن للشارمان وكذا جيروم وقد قال فيهما " آه كم أتمنى أن يكون لدى اثنا عشر راهبا في مثل ثقافة

جيروم وأغسطين) . (عبد الله الدايم ، 113)

ومن أقوال القديس أوغسطين : " أن الجهلاء هم الذين يحظون بملكوت السماء " .

كما غابت حرمة المرأة واستغربها واعتبرت مصدر فتنة فكان أكابر القوم يئدون البنات ومن فقرائهم من يقتل أبناءه خشية الفاقة وال فقر حتى نهى الإسلام عن هذا الفعل قال تعالى : ((...))

كما لم يجتمع العرب في الجاهلية على عبادة اله واحد، نجد إلى جانب هذه القيم التي شاعت بينهم هناك قيم مثالية فلما تتواجد في أمم أخرى كإكرام الضيف ونصرة المظلوم. **ج. التربية في الجاهلية:** كانت الأسرة أهم وسائل التربية عند العرب البدو الجاهلين، وقد تشاركها في ذلك العشيرة التي تجمع أفرادها أواصر النسب، وروابط القرابة التي تعد صورة مكبرة للأسرة إذ كان الطفل يأخذ من أسرته وعشيرته طرقها الخاصة في كسب القوت وتحصيل اللباس واتخاذ المسكن، ويتعرف منها على أساليب الدفاع وطرق الإغارة على الأعداء، وفنون الأعمال والصناعات ، كالصيد والرمي والقص وإعداد آلات الحرب وعمل الأنية ودبغ الجلود وغزل الصوف وحياسة الملابس وتربية الماشية .

أما الحضرة فقد كانت التربية عندهم أرقى وفي وسعنا أن نقول أنها كانت تنقسم إلى قسمين ابتدائية وعالية (...). كان الأطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة، كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية وعلم الفلك ، والطب وفن العمارة والنقش والآداب والتاريخ. (عبد الله الدايم ، 136)

د. التربية العربية عند مجيء الإسلام (العهد الأول)

تمتد هذه الفترة حوالي ستة قرون بدءا من القرن السابع الميلادي، وعندما انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ثم انتقل سريعا إلى ربوع إمبراطوريتي الفرس والروم ، حتى القرن الثالث عشر عندما قضي على الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول (سقوط بغداد على يد هولاءكو عام 1258 م (...)) وتقسم هذه الفترة في الواقع إلى أطوار يتميز كل واحد منها بخصائص تأخذ التربية خلالها أشكالا متباينة بعض الشيء .

الطور الأول : طور نمو الإسلام في عهد الرسول.

الطور الثاني : طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين وقاربت نهايتها في عهد الأمويين (661م-750م).

الطور الثالث : طور تكوين الحضارة العربية والامتزاج بين الشعوب والحضارات ويبدأ هذا الطور مع بداية الطور العباسي ويمتد حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر ميلادي .

الطور الرابع : ويبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بظهور قبائل المغول المتبربرة في أواسط آسيا في القرن الثالث عشر الميلادي . (نفس المرجع ، 141 ، 142)

أهداف التربية العربية الإسلامية:

لم يكن هدف المسلمين من التربية دنيويا محضا كما كان اليونان والرومان مثلا، ولم يكن دينيا كما كان عند الإسرائيليين في الصدر الأول، وإنما كان عرضهم دينيا ودنيويا معا ، وكان يرمون إلى إعداد المرء لعملي الدنيا والآخرة معا.

فالعرب عنوا بتدريس علوم الدين والشريعة كما عنوا بدراسة علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها، واستطاعوا بفضل هذه التربية الجامعة أن يشيدوا حضارة رائعة، قدمت للعالم زادا ثقافيا علميا كان هو الأساس في تطور الحضارة الحديثة كلها .

هـ. التربية بعد مجيء الإسلام: (عهد الحضارة والتوسع)

إن التربية السلامية وما عرفته من انتشار عبر أصقاع المعمورة لم يكن وليد الصدفة والارتجال وإنما تجدرت وأصرها عبر مؤسسات ومنشآت اتبعت أساليب ومناهج ناجحة جعلتها تحافظ على استمراريتها وديمومتها .

وهذا المنهج والأسلوب الإسلامي الفريد هو منهج تربية محمد صلى الله عليه وسلم ثم تداولته باقي المؤسسات عبر التاريخ حيث نجد النبي قد علمه الله على يد جبريل عليه

السلام بدءا من قوله تعالى : (())





﴿...﴾ (العلق آية 1-4)

فنجده سبحانه وتعالى في هذه الآيات يربط ربوبيته بعملية الخلق ، موجهها الإنسان إلى أعمال العقل والتدبر في مراحل خلقه بعد القراءة والتعلم ، حيث يدرك أن الفضل يعود للرب الأكرم، والمربي الأول للبشر بوسيلة القلم، كي يطلقه على ما جهل من مختلف العلوم والمعارف.

وتستمد التربية الإسلامية خصائصها من طبيعة الدين الإسلامي الذي يمتاز بعدة خصائص منها الشمولية والواقعية، والوسطية والمرونة والخلود، وتتميز التربية الإسلامية بأنها تتمحور حول إلهية المصدر ، وهذا يستلزم ثبات أصولها وأنها من عند الله فهي سالمة قطعا من التناقض والنقص .

قال تعالى ﴿...﴾ (البقرة آية 2)

وقال تعالى : ﴿...﴾ (النساء آية 82)

ولقد أدرك هذه الحقيقة أعداد الإسلام منذ العهد المكي (...). يقول الوليد ابن المغيرة عن القرآن:

والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله وأنه ليعلو وما يعلى عليه، وانه ليحطم ما تحته. (الكندري لطيفة، ملك بدر ، 120)

ومن خلال تتبع التربية الإسلامية يدرك الباحث المنصف أنا رجلا أميا كما شأنه لا يمكنه أبدا أن يقدم نظاما كاملا للحياة، بل حتى المجامع العلمية الضخمة لم تقدم منها شاملا للحياة، يربي الرجل والمرأة والغني الفقير والكبير الصغير، في أمورهم الصغيرة والكبيرة على مر الأزمان ولكل عصر ومصر.

أهداف التربية الإسلامية:

- 1- تسعى التربية الإسلامية لإيجاد الإنسان الإيجابي والذي يكون عنصراً صالحاً مصلحاً فاعلاً أينما كان، وفي أي بلد سكن وأن يحسن إلى الناس جميعاً.
 - 2- الاعتناء بالأسرة كونها أساس التربية الناجحة وتزويدها بما يتطلب من باب الاعتقاد والعبادات والمعاملات من خلال منهاج تربوي واضح المعالم.
 - 3- تحث التربية الإسلامية الإنسان المسلم على أن يعبد ربه ويطيعه ويساهم في عمليه التفاهم بين القبائل والأجناس.
- و. مؤسسات التربية الإسلامية

أ. غار حراء :

إذا سلمنا بأن تعريف المدرسة هي المكان الذي يتلقى به الطالب مختلف العلوم من المعلم فإن غار حراء يعد المكان الأول الذي تلقى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم معلم المسلمين الأول العلم، حيث جاء جبريل عليه السلام مرسلًا من رب العالمين فعلمه سورة العلق، اقرأ قال تعالى: ((أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)) (العلق، آية 1)

ب. بيت الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

وهو المركز التربوي الثاني مركز الإشعاع والمعرفة، حيث كان ينزل فيه القرآن على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفيه خديجة زوجته المرأة الصديقة التي كانت على قرب ودراية كبيرة، بكل ما ينزل على النبي بالإضافة إلى ابن أخيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ت. دار الأرقم ابن الأرقم:

هذه هي المؤسسة التي كانت مكانا لاجتماع من آمن في بداية الدعوة، تعقد فيها ندوات الخير ويجتمع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتصل بهم من أراد أن يسمع القرآن منهم، وهي دار كانت بجوار الكعبة على مقربة من جبل الصفا، أهلها من سلالة عبد الدار بن قصي، الذين يحملون مفتاح الحرم المكي الشريف، لا تبتعد عنه سوى أمتار، وقد أتاحت لهم هذه الدار التعبد فيها، كما بنيت في هذه المؤسسة التربوية اللبنة الأولى للبناء الإسلامي بشكل عام .

بالإضافة إلى المدرسة المحمدية في بيت النبوة وبيوت الخلفاء الراشدين من بعده والصحابة والتابعين، وإن لم تكن واضحة بما يشبه المدارس في العصور التي يلحق ذكرها نجد المؤرخين قد اعتبروا عام 459 هـ حداً فاصلاً فيما يختص بإمكانة التعليم عند

المسلمين، ففي هذا العام افتتحت في بغداد أول مدرسة من مجموع المدارس الكثيرة المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي الشهير- نظام الملك- وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الإسلامي، حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة، بالإضافة إلى كثير من المدارس الكبرى في عواصم والإقليم . (عبد الله عبد الدايم ، 145)

تعتبر حلقات التعليم في بداية العهد الإسلامي الوسيلة لتلقي التربية والتعليم، وإن اختلفت أماكن تداولها إلى أن ظهرت مؤسسات أخرى يتصدرها:

ث. **الكتاب:** وإن عرف وجوده قبل ظهور الإسلام فالمسلمين عرفوا نوعين من الكتاب

أ. كتاب خاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالباً في منازل المعلمين، وكتاب يهتم بالتعليم القرآني ومبادئ الدين الإسلامي وكان مكانه المسجد في الغالب (...). ظهر على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (...). وقد ظهر في هذه الكتابات بعض المعلمين الموهوبين الذين لمعوا في المجتمع العربي الإسلامي من أشهرهم الضحاك في مزاحم (105 هـ) والكميث بن زيد (126 هـ) وعبد الحميد الكاتب (132 هـ) .

ج. **القصور:** نوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء كي يجد هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها (...). والمنهاج هنا يضعه الأب أو يشارك في وضعه والمعلم هنا لا يسمى معلم صبيان بل يسمى ((مؤدبا)) (...). وقد خطى الفاطميون في هذا المجال خطوات واسعة فانشؤا في قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد عليّة القوم وإشرافهم.

ح. **د - حوانيت الوراقين:** ظهرت هذه الدكاكين منذ مطلع الدولة العباسية، وانتشرت سريعاً في العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها، ولم يكن بائعو الكتب مجرد تجار ينشدون الربح وإنما كانوا في معظم الأحيان أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة (...). ولم تكن مهنة الوراقة في عهد الدولة العباسية تقف عند حد الصفقات التجارية وبيع الكتب، وإنما كانت تتعدى ذلك إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية . (عبد الله عبد الدايم ، 148)

خ. **منازل العلماء:** جرى التعليم الإسلامي بالمنزل في عهد الإسلام المبكر وقبل نشأة المساجد يوم أتخذ الرسول (ص) دار مبادئ الدين الجديد (...). ومن منازل العلم

أيضا دار الإمام الغزالي (504 هـ) التي كان يستقبل فيها تلاميذه بعد أن اعتزل العمل بنظامية نيسابور.

د. الصالونات الأدبية: يرتبط تاريخ الصالونات الأدبية بتاريخ القصور وبخاصة قصور الخلفاء (...). على أن الصالونات الأدبية بمعناها الصحيح لم تبدأ إلا في العصر العباسي، فأصبحت هذه الصالونات تعقد في أوقات منظمة وشملت مع قصور الخلفاء قصور الأمراء.

ذ. المسجد: يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا ولقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات أيام الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، ثم توسع المسلمون في عصورهم التالية في فهم مهمة المسجد، فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء وكان أول مسجد أنشئ في الإسلام مسجد قباء.

ر. المكتبات: كانت المكتبات وسيلة القدماء في نشر العلم ولعل أقدم الخزائن العربية هي خزانة الأموي الحكيم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد ظلت محفوظة في البلاط الأموي حتى ولي الخلافة (...). ومن ذكر عنه الاعتناء بجمع الكتب من خلفاء بني أمية الوليد بن عبد الملك (96 هـ) فقد روي أنه جمع خزانة وجعل عليها خازنا أسمه سعد (...). ويمكن تقسيم المكتبات التي ظهرت في العالم العربي الإسلامي إلى ثلاثة أقسام:

1. **مكتبات عامة:** وقد أنشئت بالمساجد لتكون في متناول الدراسي، ومن أشهر هذه المكتبات بين الحكمة والحيدرية، ومكتبة ابن سوار.
 2. **المكتبات بين العامة والخاصة:** وهي مكتبات أنشأها الخلفاء والملوك تقريبا للعلم أشهرها مكتبة الناصر لدين الله ومكتبة المستعصم بالله.
 3. **المكتبات الخاصة:** وقد أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، أشهرها مكتبة الفتح بن خاقان، ومكتبة حنين بن إسحاق.
- ز. الخوانق والربط والزوايا البيمارستانات:**

الخانقاه هي كلمة فارسية معناها البيت، كانت تبنى غالبا على شكل مساجد للصلاة وبها غرف عديدة للفقراء الصوفية والرباط اسم من ربط مرابطة إذا لازم ثغر

العدو كما تعد مأوى يلجأ إليه العلماء والرحالون وطلاب العلم الذين ينتقلون في أرجاء العالم الإسلامي، أما الزاوية والزوايا فهي كالرباط والخانقاه إلا أنها اصغر في الغالب وهي أكثر ما تكون في الصحاري والأمكنة الخالية من السكان أما البيمارستانات فتعنى بكلمة فارسية تعني، مكان المرض ويدرس فيها الطب.

مناهج التربية الإسلامية :

تنوعت المناهج في المرحلة الابتدائية واختلفت باختلاف الدول الإسلامية فهي لم تقتصر على العلوم والمهارات الجسمية، بل ركزت أيضا على التربية الخلقية واكتساب العادات الحميدة، وتعددت المناهج في المرحلتين الثانوية والعالية فلم يقيد الطالب بموضوعات معينة ويمكن تقسيم المناهج بشكل عام إلى قسمين رئيسيين :

- المناهج الدينية الأدبية، ساهرت نمو الفكر الإسلامي وتطوره واطلاعه على الفكر الفارسي واليوناني والهندي يصنفها الخوارزمي إلى علوم طبيعة بفروعها المختلفة والعلوم الرياضية بفروعها والمنطق والفلسفة.
- أما الأسس التي بنيت عليها المناهج الإسلامية فقد اعتمدت على إعطاء أهمية لقيمة المادة من الوجهة الدينية وقيمتها من حيث الأثر التدريبي والقيمة التنقيفية والنفعية والمهنية، وأخيرا قيمتها كأداة لدراسة علوم أعظم شأنًا.

خصائص التربية الإسلامية :

تستمد التربية الإسلامية روحها، وفلسفتها وطريقتها في تكوين الفرد المسلم من فلسفة الإسلام ونظرتة إلى الطبيعة والكون، اعتمادا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإسلام في جوهره وروحه يتميز بشكل خاص بالتربية تربية شاملة كاملة تتناغم أهدافها ووسائلها وطرائقها فهي تربية مميزة بحسن خصائصها عن أنواع التربية الأخرى قديمها وحديثها، وضمن هذه الفلسفة التربوية الإسلامية نجد المسلم الصالح تتوازن في تكوينه النفسي الروحي والأخلاقي، فالجوانب المادية من صحة بدنية وقدرة على العمل، وسعي في كسب للرزق الحلال، تتوازن وتتوافق مع الجوانب الروحية من عبادة، وخلق حسن دون أن يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي التعبدية .

وقد جمعت التربية الإسلامية منذ الوهلة الأولى وبكل تناسق وانسجام من :

تأديب النفس وتصفية الروح، وتثقيف العقل وتقوية الجسم والعناية بكل ما يجعل حياة الإنسان على وجه الأرض سعيدة طيبة .

المبحث الثالث : الفكر التربوي الحديث

تعتبر الحضارة الإسلامية في أوج تطورها حلقة وصل بين التراث الثقافي القديم كله والحضارة الحديثة فلقد حافظ المسلمون على التراث الفكري الذي تركه الإغريق والرومان كما استوعبوا مغزى الحضارات السابقة كلها، بعدما ناقشوها وحللوها واستفاضوا فيها أيام صحوة العقل الإسلامي فبرز علماءهم الذين أعطوا الكثير لهذه

النهضة والحضارة أمثال الحسن ابن الهيثم وأبن سينا وابن رشد والفارابي، وابن خلدون والغزالي وغيرهم.

أولاً: عصر النهضة الأوروبية

امتد بين القرنين 14 و16 (الرابع عشر والسادس عشر ميلادي) حيث اهتمت أوروبا بأرسال بعثات لبلاد الشرق الإسلامي لوقوف على أسرار تطوره فمكثوا بالمكتبات الإسلامية والجامعات ينهلون ويترجمون إلى لغاتهم ثم يوظفونها في جامعتهم إبان القرن الحادي عشر الميلادي، هذا بعد أن توفرت لهم الكوادر البشرية التي تمت بفعل مؤثرات الحضارة الإسلامية ، وفي تلك الأثناء أفل نجم حضارة الشرق الإسلامي حتى استيقظ على طلقات مدافع أوروبا توقظه في بداية القرن التاسع عشر تحملها الحملة الفرنسية على مصر .

إن سردنا للإحداث التاريخية وتأثر الحضارات بها جاء عن قصد منا للإحاطة بصيرورة التربية وتطور الفكر الإصلاحي بها لأنه جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في كل عصر وطور.

1- ملامح الفكر التربوي في عصر النهضة الأوروبية :

أ- الملامح الفكرية الاجتماعية : لقد ظهرت القوميات الحديثة وتمثلت في شكل وبنى الدولة الحديثة، ووضعت ملامح هذه الدولة الحديثة في كل من إنجلترا وفرنسا في بداية الأمر كما نمت التجارة والاتصالات والتبادلات الخارجية عبر المحيطات وازدهرت صناعة السفن والحرف المتصلة بالملاحة والتجارة، وازدهرت الطبقة المتوسطة " البرجوازية " وظهرت المدن الكبيرة وأزداد نموها، وبدأت هذه الطبقة تؤثر في الحياة السياسية، كما برز الاتجاه العلماني وتغلب على الاتجاه الديني ونمى الاتجاه نحو فهم الطبيعية و دراستها، واتجهت أوروبا إلى الاهتمام بالفنون والآداب الكلاسيكية القديمة وتقدير العواطف الإنسانية والاهتمام بالحياة الدنيا واحترام الجمال في جميع مظاهره.

ب- بعض الملامح التربوية في عصر النهضة :

لقد عكست الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والإنسانية مفاهيمها في التربية فكراً وواقعاً وبذلك أصبحت التربية في عصر النهضة تختلف اختلافاً كبيراً عن التربية في العصور الوسطى (...). ولذلك رأى مفكر عصر النهضة التربوية أن التربية تستهدف

بناء المواطن الحر الصالح لبناء مجتمعه الحر الجديد، وإحياء الفلسفة اليونانية واحتلال أفلاطون مركزا مرموقا بينهم وقد أدت هذه الاتجاهات إلى تربية تهتم بعدة أمور رئيسة هي:

- س. الاهتمام بالإنسان، فأصبح محور التربية هي الذات البشرية ونموها .
 - ش. كما أصبحت التربية تهتم بأمور الحياة التي يحيا بها الناس بدل الاهتمام بالحياة بعد الموت .
 - ص. استهدفت التربية الأخلاق لدى الناس انطلاقا من اهتمامهم بالحياة الدنيا .
 - ض. اهتمت التربية بمختلف عناصر الثقافة كالأدب والشعر والموسيقى.
- وقد شكلت هذه الاتجاهات ما يسمى " بالنزعة الإنسانية "
- ج- من أهم رواد هذه النهضة :

✓ **مارتن لوثر:** حيث أعلن عام 1520 ثورة فكرية ضد الكنيسة والحكام الألمان يدعو من خلالها إلى إصلاح الكنيسة، كالسماح لرجال الدين بالزواج ، ونشر التعليم العام لكي يستطيع الناس فهم الكتاب المقدس بلغتهم الدارجة ، وقد لقيت هذه الدعوات تجاوبا كبيرا من الحكام والرهبان ورفض الأمراء تدخل الكنيسة في شؤون الحكم.

✓ من أهم رواد هذه الحقبة (أرازمس 1466 – 1536) حيث كانت التربية عنده ذات أهداف دينية، أخلاقية، عقلية وكذلك نجد (مشيل دي مونيي) (1533م-1592م) احد الفلاسفة المتحررين الشاكين إذ كانت التربية عنده هي فن بناء الإنسان وليست فن تكوين أخصائيين في بعض العلوم والمعارف .

كما كان يهاجم بشدة العقوبات الجسدية ويحتقر النظام القاسي الذي ساد المدارس الداخلية في أيامه . (محمود السيد سلطان، 136 ، 144)

ونسترسل متتبعين صيرورة التربية والفكر التربوي عبر التاريخ لكي يأتي بعد عصر النهضة، عصر الإصلاحات بين القرنين (17-18 م) السابع عشر والثامن عشر ميلادي حيث :

ركز جون لوك (1632-1704) على مفهوم أهمية التعليم للطفل وأن عقله كالصفحة البيضاء ينقش المعلم فيه ما يريد وأن الحواس أساس المعرفة .

أما جان جاك روسو (1712م-1778م) فامن أن الإنسان طيب بطبعه خير بفطرته وأن المجتمع يلوث تلك الطبيعة السليمة للفرد .

ثانياً: نماذج ومميزات للفكر التربوي ما بعد عصر النهضة

1. نماذج ومميزات للفكر التربوي بالعالم الغربي

أ - نماذج من الفكر التربوي في القرن السابع عشر في أوروبا

فرانسيس بيكون (1561-1626) :

هو فيلسوف انجليزي من أشهر من أثر في بناء العقلية التجريبية الجديدة الجادة عملياً في الثقافة الغربية (...). يعتبر من أهم مؤسسي المنهج التجريبي في الغرب حيث ركز على أسس الاستقراء العلمي ، ناقش فرانسيس بيكون مواطن الخلل في الفكر البشري ، وذكر أربعة أوهام وهي :

- أوهام الجنس المتأثرة بفطرة الإنسان وتكوينه القابل للزلل .
- أوهام الكهف الناشئة عن سوء التنشئة الاجتماعية.
- أوهام السوق وتنتج عن سوء استعمال اللغة في التفاهم والتعامل .
- أوهام المسرح الناتجة عن تمجيد فكر الأقدمين والتسليم المطلق لعلم السابقين .

(الموسوعة العربية الميسرة ، 2001، ج1، 644)

ويعتبر أول من دعا إلى استخدام التجربة والاستقراء العلمي بدلا من منهج الاستبطان والمنطق الصوري طريقا للوصول إلى الحقيقة ويذكر الدارسون والمتتبعون لنمو العقل الحديث أن روجر بيكون جد فرانسيس بيكون، كان قد درس هذا المنهج وفهمه من التراث العربي الإسلامي على يد احد المستشرقين وبالتالي تعرف عليه فرانسيس بدوره عن طريق جده ومكتبته التي احتوت على كتب الشرق الإسلامي . ويعتبر فرانسيس بيكون بهذا المنهج العلمي صاحب اتجاه جديد تماما، نصبه على قمة التفكير العلمي وأيضا على قمة الفكر التربوي الحديث، ولذلك يعتبر من وجهة نظر التربويين المعاصرين عالما له أهميته في التربية الحديثة .

ب- نماذج من الفكر التربوي في القرن الثامن عشر في أوروبا :

تغلّبت الاتجاهات العلمانية على اتجاهات الكنسية كما فقدت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية سلطتها على التعليم، وحل فلاسفة تربويون محل رجال الدين التربوي والإصلاح

التربوي، والإشراف التعليمي، والممارسة التدريسية، وجلت الدولة محل رجال الدين في السيطرة على شؤون التعليم .

واتسم الفكر التربوي في هذا القرن بالنظرة الناقدة للمجتمع والناس وللتربية بشكل بلغ ذروة النقد، لعلنا نجد في فلتير وروسو مثلين بارزين على هذا النقد القوي .

جان جاك روسو (1712-1778 م) ونشوء التربية الحديثة :

ننتقل إلى عهد من عهود التاريخ الأوربي مشحون بإمكانيات التطور في الأفكار والنظم السياسية والاجتماعية، إلا وهو العهد السابق للثورة الفرنسية مباشرة، لاشك أن جان جاك روسو هو أبرز من أثر في التفكير التربوي الحديث في هذه الحقبة، فهو يعتبر بحق خير ممثل لرجال الفكر الذين غدوا الثورة الفرنسية بأرائهم ونظرياتهم الاجتماعية ، كما أنه كان أول ثائر حديث على الأنماط التربوية القديمة .

وأول مؤسس لنظريات التربية الحديثة فكتابه "إميل" من الكتب الخالدة في حقل التربية الحديثة .
(محمد فاضل الجمالي ، 149)

لقد كان الظلم في فرنسا مسيطرا في السياسة والفكر والدين والعمل وضاق الناس ذرعا بواقعهم الاجتماعي المعاش وتاقوا إلى التغيير وتهيؤا له بعد ما شحنت النفوس والهمم فنجم عن ذلك انفجار هذا الواقع عبر ثورتان :

ثورة فكرية عرفت " عصر التنوير" وثورة مثلت النزعة الطبيعية الإنسانية المطالبة بالحرية وإطلاق العنان لا بداع واختراعات البشر وحفظ حقوق الجماهير .

لقد كان عصر التنوير في أوربا عصر البحث عن النفس في خضم التغيرات المختلفة والجديدة، كما كان عصر تجديد الإطار الإيديولوجي الذي يجب أن تكون عليه الحياة في غرب أوربا فنتيجة للحركة الفكرية التي غمرت أوربا جعلت الدول تعنى بمصالح شعوبها بدلا من العناية بالتعليم، وتوحيدا للضرائب وتحقيق وطأة الحياة على الفقراء وتشجيع معاهد التعليم والبحث، لذلك نستطيع القول بأنه بعد أن كانت السياسة وحدها تستغرق كل الجهود أصبح المجتمع مركزا العمل ومحور التفكير .

إن مونتيني الذي كان ينادي بمشاهدة الطبيعة وتحليلها وتنمية الحواس، عن طريق ذلك يتأثر به روسو في دعوته إلى استلهاط الطبيعة في التعلم وترك الطفل لكي يتعلم منها وفي كتاباته تأثر واضح بروبنسون كروزو المستوحاة من حي بن يقضان لابن طفيل التي قرأها هي الأخرى باللاتينية وليس هناك مجال لشرح جميع المؤثرات التي تأثر بها

ومع ذلك فقد كان روسو ذا شخصية جريئة عبقرية لها استقلالها ولها أصالتها فلم تقم للأفكار السائدة أي وزن يذكر، بل أنه بقدر تأثره بالأوضاع السائدة بقدر ثورته عليها ونقدها . (محمود السيد سلطان ، 1979 ، 149)

لقد كانت لحياته الخاصة كذلك أثرها العميق في تكوينه ، لقد ولد روسو في جنيف سنة 1912 من أب فرنسي ورث عنه خفة الروح، والكسل والاندفاع نحو الشهوة وشروذ الخيال، وورث من أمه قوة العاطفة حيث كانت أديبة فنانة شغوفة بالموسيقى، عاطفية إلى حد كبير .

مؤلفات روسو وكتاباتة :

أ- العقد الاجتماعي:

ب- وكان يستهدف منه تحقيق مجموعة من المبادئ التي اعتنقها روسو، منها الحرية والعدالة الاجتماعية، والمساواة، وكان يدعو فيه إلى العودة، إلى الطبيعة لتحقيق هذه العدالة، أصبح هذا الكتاب إنجيل الثورة الفرنسية فقرأ في كل مكان من فرنسا، حتى النبلاء، والأمراء أعجبوا به لعذوبته وقوة حجته كما أثر في أمريكا تأثيراً قويا خلايا .

ت- الاعترافات:

ث- وكان شجاعا مع نفسه، أمينا في ذكر الخطايا التي ارتكبها في حياته .

ج- أميل : (1762م) وكان محاولة للإجابة عن طلب سيدة ، أرسلت إليه ليرشدها إلى الطريقة التي تربي فيها أبناءها .

- مميزات التربية في القرن الثامن عشر :

- 1- تغلب الروح العلمانية على روح الكنيسة ، وتمثل ذلك بطرد اليسوعيين عن ميدان التربية والتعليم في فرنسا وقيام الثورة الفرنسية .
- 2- تميزت بالنزعة النقدية الإصلاحية : فقد كان لويس الرابع عشر عصر الراضين ، أما عصر فولتير وروسو فكان عصر الناقلين.
- 3- ظهور الروح الفلسفية التي تربط النظريات بالفكر الإنساني .

4- النزوع نحو الناحية القومية بالإضافة إلى الجانب الإنساني وحلول الاستعداد أو للحياة محل الاستعداد للموت، وبذلك نضجت فكرة التربية الشعبية العامة القومية.

5- صارت التربية إنسانية باهتمامها بحاجات الإنسان المتعلم أكثر من اهتمامها بالمادة العلمية. (عبد الله الراشدان ، نعيم الجعيني ، 1999 ، 159)

ج - نماذج من الفكر التربوي في القرن التاسع عشر :

هاينريخ بستالتسي (1746-1837 م) :

لقد كان عصر التنوير عصر الثورات بحثا عن النفس، بينما كان القرن التاسع عشر عصره بلورة الآراء والأفكار والنظريات والمبادئ و تحولها إلى واقع، انه عصر التقدم التكنولوجي ولقد بدأ باستقلال أمريكا على أوروبا سياسيا، وإن بقيت تابعة لها من الناحية الفكرية، وكان مقدمة للاستقلال الفكري التدريجي لأوروبا مما مهد الطريق لها لتصبح قائد العالم العربي الرأسمالي في القرن العشرين وفي بداية هذا القرن تولى نابليون بونابرت (1769م-1861م) السلطة في فرنسا وكان له تأثيرا كبيرا على فرنسا خاصة و أوروبا عامة . (عبود عبد الغني، 269)

إن إرهاصات القرن الثامن عشر وبداية نضج الفكر البشري حول مختلف القضايا السائدة بالمجتمع وتلاقح مختلف عوامل الفكر تمخض عنه وتولدت أفكار جديدة ونضجت أفكار أخرى كان لها سبق التواجد التاريخي في القرن الأقل .

وممن برز نجمهم في عالم التربية ظهر بستالوتزي الذي ولد بمدينة زيورخ بسويسرا سنة 1746 من أب جراح وقد توفي والده وهو في الخامسة من عمره فعنيت بتربيته أمه الفاضلة عناية حميدة (...). درس في جامعة زيورخ حيث تسرب بآراء جون جاك روسو في كتابه "إميل" وقد كان لأمه وجده الذي كان راعيا للكنيسة في إحدى القرى تأثيرا بالغا على تكوين عواطفه وأفكاره . (محمد فاضل الجمالي ، 160)

ويمكن تلخيص آراء بستالوتزي التربوية في :

- 1- يوجب البحث عن مبادئ التربية داخل الطفل وأن تبدأ منه لا أن تفرض عليه .
- 2- للتربية ناحيتان، ناحية إيجابية وأخرى سلبية، وتتمثل الوظيفة السلبية للمربي في إزالة العقبات التي تعترض نمو الطفل، أما الإيجابية فتتمثل في توصية المتعلم لتدريب قواه ، فالمعلم يمهده بوسائل، والفرص المناسبة ويرشده إلى الصواب .

- 3- يبدأ النمو الذاتي عندما يتأثر العقل بالموضوعات الخارجية، ويقصد بها الإحساسات وعندما يعيها العقل تتحول إلى مدركات حسية وتسجل في العقل على أنها إدراك للأفكار وهذه تكون المعرفة الأولية التي تصبح أساسا لكل معرفة .
- 4- تعتمد القدرات العلمية على العادات التي تكونت من تكرار وتدريب قوى المتعلم التي تعتبر الغرض الرئيسي المتعلم.
- 5- يجب أن تؤسس تربية الطفل على التأمل وخبرته الشخصية .
- 6- تؤدي الخبرة الشخصية إلى تقدم عقل المتعلم من القريب الملموس إلى البعيد المعنوي ومن الخاص إلى العام، ومن المعلوم إلى المجهول.
- 7- لا يثمر العلاقة بين المعلم وتلاميذه ما لم تبنى على أساس المحبة التي يبني عليها نظام المدارس .

أهمية بستالستي :

من النادر أن نجد في تاريخ التربية شخصية تجسمت فيها الروح الإنسانية بما في ذلك من حب وعطف على البشرية البائسة، وعلى المجتمع الذي يكثر فيه الظلم والفساد مثل شخصية المربي السويسري هاينزيخ بستالستي، إن بستالستي لم يكتف بالشعور والعواطف بل كرس حياته للعمل على الإصلاح الاجتماعي، وعلى مكافحة البؤس والفقر بين الناس عن طريق التربية والتعليم، وعن طريق الكتابة الأدبية ، أكد أن التربية هي الوسيلة الفعالة لإصلاح المجتمع ومكافحة الشرور، والآثام فيه والقضاء على الفقر والبؤس بين الناس .

د - بعض ملامح الفكر التربوي في القرن العشرين :

حدثت عدة تغيرات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أهمها الزيادة الضخمة في السكان وتراكم المعرفة والعلوم، ومواكبة النهضة الصناعية والتقدم العلمي، وزيادة الوعي الشعبي، والتطبيق الديمقراطي، وكان على التربية المدرسية أن تتغير لتواكب هذه المستجدات، ولذلك أتجه المربون إلى إعادة النظر في محتوى التعليم وطرائقه لكي تفي بمطالب التغيرات العلمية والتكنولوجية بل تتقدم لتقود حركتها .

فلقد هيأت الدراسات العلمية للمجتمع طريقا واضحا لفهم طبيعة المجتمع ، وطبيعة الثقافة فيه ، فهم علميا مبنيان على التكامل والشمول التفاعل والوظيفية ، والاتساق، وبذلك ففي القرن العشرين أصبحت التربية مفهوما شاملا ، يتضمن أبعادا كثيرة أهمها .

أولا : من ناحية الأهداف التربوية :

-أصبحت للتربية أهدافها الاقتصادية، ووظيفتها وأهدافها الاجتماعية في إعداد الفرد للحياة في المجتمع .

-أصبحت التربية عملية ديناميكية تقوم على البحث والاستطلاع ، بعد أن كانت ميكانيكية تعتمد على نقل المعرفة.

-أصبحت للتربية وظيفة خلقية تقوم على الموضوعية في محاكات الحقائق العلمية .

ثانيا : من ناحية المحتوى والطريقة:

أصبح التلاميذ يعيشون ثقافة الحياة العصرية كلها بكل ما فيها من متغيرات لكي يسبروا أغوارها ويقفوا على مغزاها وجوهرها الحقيقي .

-أصبحت التربية بمفهومها الشامل من إشراف الدولة واستهدفت بناء الأخلاق على أساس فكري وعملي وفقا لقيم موضوعية انعكست فلسفتها العملية على العصر.

لم تعد التربية تعد الفرد للحياة فقط وإنما تعد لحياة متغيرة .

(محمود السيد سلطان ، 168، 173)

ت - نماذج من الفكر التربوي في القرن العشرين :

جون ديوي (1859-1956م) :

يعتبر جون ديوي أحد القمم الفلسفية والتربوية في القرن العشرين، بل أعتبر في رأي كثير من مفكري التربية والفلسفة قمة الفكر الفلسفي والاجتماعي والتربوي، في هذا العصر خاصة الفكر الفلسفي الغربي ومما يؤكد تربيته على قمة الفكر التربوي العالمي أن الاتحاد السوفيتي قد دعاه بعد ثورة أكتوبر 1917 للاستعانة بوجهات نظره في التربية السوفيتية كما دعتة كل من الصين وتركيا لمثل هذه المهمة . (نفس المرجع ، 175)

وقد ولد جون ديوي في مدينة برلنكتن في ولاية فرمونت (...) كان ابن بقال ومن عائلة مزارعة وأمه مثقفة تحب المطالعة فهي التي دفعته إلى الدراسة والتثقيف (...) كان في أوقات فراغه يبيع الجرائد ويرقم الأخشاب، وهكذا نشأت عنده كما عند الأمريكان عامة صفة حب العمل الحر والكسب الحر، درس ديوي الفلسفة في جامعة فرمونت، تأثر

بفلسفة هيغل، لا سيما في ناحية التوحيد والتأليف ورفض الازدواجية في تقدير أهمية المنظمات الاجتماعية وترابطها وتفاعلها ونشوتها وتطورها.
ومن الحقائق التي توصل إليها ديوي :

- 1- أما نظريات التربية وممارستها يجب أن تكون أهم ما يشغل بال الفيلسوف .
 - 2- شجب الازدواجية التقليدية لا سيما بين العلم والأخلاق .
 - 3- تأثر بكتاب (وليام جيمس) في علم النفس وكانت نظرتة لعلم النفس نظرة حياته فعالة ، غنية شاملة لتواصي الحياة الأخلاقية والإبداعية .
 - 4- اعتبر القضايا الاجتماعية والاتصال والترابط بين بني الإنسان من أهم المواضيع التي يجب أن تعني بها الفلسفة . (محمد فاضل الجمالي ، 195،200)
- أهم أفكار جون ديوي التربوية تتمثل في إيمانه بأن التربية هي الحياة وليست مجرد إعداد للحياة وبأنها عملية نمو وتعلم وبناء وتجديد .
كما يرى جون ديوي :

أن المدرسة هي أولا مؤسسة اجتماعية والتربية في أساسها عملية اجتماعية (...)، وفي المدرسة المثالية يتم التوفيق بين المثل الفردية والاجتماعية، وبالتربية يستطيع المجتمع أن يصوغ أغراضه الخاصة به، وأن ينظم وسائله ومواده ، فيشكل بذلك نفسه في غير إشراف ليسير في الاتجاه المرغوب.
من أشهر مؤلفاته :

ط. الديمقراطية والتربية

ظ. المدرسة والمجتمع

ع. الاختبار والتربية

2. نماذج ومميزات الفكر التربوي العربي في العصر الحديث

لقد عانت المجتمعات العربية في العصور الأخيرة كثيرا من مختلف أساليب القهر والجهل للاستعمار، وان تعددت أشكاله وألوانه مما انعكس سلبا على حياة الفرد العربي وشتت كيان ولحمة الوطن العربي الإسلامي، فما إن استفاق من نكبة حتى وقع في أخرى، وباتت الحقيقة واضحة في أن الغريب عن الوطن، واللغة، والعرق، ضرره أكثر من نفعه وان أبدى النوايا الحسنة حيث يعد عصر المماليك الأتراك خير دليل على

ما قلنا، فما إن جثم الجيش الانكشاري على سدة وعرش الدولة الإسلامية، حتى احكم قبضته على مقاليد الدولة وعمل على إضعاف كل مقومات القوة لدى العرب، حتى لا يستفيقوا من غفلتهم ويبقوا تحت إمرتهم ولا يتطلعوا إلى الانفصال أو التحرر عن الدولة العثمانية، والتي مع الأسف عمل العرب هم أنفسهم على غرسها في جسدكم وكيانهم حينما استثمروا في أبناء السبايا، وشعوب الأراضي التي فتحوها غير العربية، لبناء جيوشهم أثناء توسعاتهم وفتوحاتهم الأخيرة، فكان من الطبيعي أن يكون ولاء هؤلاء لأوطانهم عندما تشتد سيقانهم وسواعدهم وقوتهم، كما كان من بله العرب أن يضمنوا غير ذلك، ولم يشفع لهم زهدهم وتخليهم عن مقاليد حكم الدولة الإسلامية تحت أي طائلة من الأسباب في بقائهم متمتعين بحقوقهم الإسلامية، والإنسانية، لان هذا الأمر لا يساعد على استمرارية الدولة العثمانية، كانت هذه الحقبة من الحقب السوداء في تاريخ الفكر العربي وتجهيله، ثم توالى الأيام والسنوات ليتيهأ العقل العربي ويغلب عن أمره فيحيد عن جادة الصواب، ويتلاءم مع سياسة الجهل والاتكال والاستسلام للغير، لتجده الدول الاستعمارية الغربية على أتم أهبتة واستعداده لسياسة الانبطاح، وما يزيد الأمر غرابة هو امتداد هذا الانبطاح الفكري وبقاؤه جاثما على وفي ثقافة النخبة المزعومة للشعب العربي، مما حافظ على استمرارية هذا الاستعمار رغم رحيله البيولوجي .

ان انبهار العرب بما جلبه الاستعمار من تكنولوجيا، مثل مثيرا لإعمال عقل بعض المفكرين، ولكنه محدود الفاعلية لم يرق لبعث نهضة الحضارة التي تعيد مجد العرب الماضي التليد، ولم يحرك عجلتها التي صدئت دواليب محرقاتها بعد ما توقفت منذ عصر الموحدين.

ونجد محمود السيد سلطان يعالج هذا الامر حيث يقول:

إذا كان العصر المملوكي التركي قد سلب الوطن العربي الإسلامي - وفي قلبه مصر- كل مقومات العلم الطبيعي، وتطبيقاته، في مجالات الحياة المختلفة، كما سلبه طرائق التفكير الحر، والخلق والإبداع والابتكار، في جميع مجالات هذه الحياة أيضا، كما سلبه وسائل الإسهام في حكم نفسه أو ممارسة أي نوع من الديمقراطية (...). ولقد كان هذا

الغزو الفرنسي بداية القرن التاسع عشر، غزوا ثقافيا وحضاريا للبلدان العربية، فثقافة العصر الحديث تغزو ثقافة تخلفت، وحضارة العصر الحديث تغزو حضارة متعفنة.

أ - نماذج من الفكر التربوي العربي في القرن التاسع عشر

1. رفاة الطهطاوي:

لقد وفق رفاة الطهطاوي إلى وضع أسس تربوية تبرز تأثيره بفكر التربويين الغربيين في عصره وبالتراث الإسلامي الذي فهمه فهما جديدا يتفق إلى حد كبير مع مغزاه الحقيقي.

فهدف التربية ووسيلتها عنده تتلخص في:

تنمية المولود ابتداء من ولادته إلى بلوغه حد الكبر، وتنمية روحه بالمعاني الدينية والمعاشة.

وتتلخص التربية عنده في:

أ- التربية هي تنمية حسية، وعقلية تقوم على أصول معلومة، لتحقيق نمو أفضل
ب- هي للجنسين لا فرق عنده بين البنين والبنات في حقهم التربوي، وأوضح أهمية تعليم البنات في تنشئة الأجيال الجديدة، مستشهدا في ذلك بزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ت- التربية عنده عملية مستمرة من المهد إلى اللحد، تأثرا بالفكر الإسلامي.

ث- تتم التربية بواسطة المعارف الدينية والحياتية.

ج- للتربية أهداف خلقية، وأهداف وطنية.

ح- صلة المعلم بتلاميذه ينبغي أن تكون متينة، قائمة على الاحترام بين الطرفين.

خ- التربية عملية اجتماعية، تستهدف تحقيق رفاة الأمة وتقديمها.

2. علي مبارك

✓ دعا إلى تعميم التعليم بحيث يعم المجتمع كله، على اعتبار انه حق للجميع، وكان يرى في ذلك قضاء على الارستقراطية في التعليم، ونشر الوعي العام المستنير والوعي القومي.

✓ كان هدفه من التعليم تحقيق التقدم الاجتماعي، والخلقى لأبناء المجتمع جميعا.

- ✓ كانت مناهجه في تحقيق هذه الأهداف، هي تعليم الصبية علوم الطبيعة التي تنفعهم في أمور حياتهم، والعلوم الدينية التي تنفعهم في آخرتهم.
- ✓ عني بإعداد المعلم عبر معاهد متخصصة.
- ✓ أما الكتابات فقد عني باختيار فقائها وعرفائها واشترط أن يكونوا مجيدين لحفظ القرآن، والخط وقواعد اللغة والحساب، وحدد لهم شهادة يحصلون عليها من الأعيان أو ندوب من ديوان المدارس. (محمود السيد سلطان، 206، 207)

3. محمد عبده

نادى الشيخ محمد عبده إلى بتجديد طرائق التعليم في الأزهر، والتخلص من الأفكار العفنة ويقصد بالأفكار العفنة تلك التفسيرات الخرافية للظواهر الطبيعية. وباننتشار فكر محمد عبده التجديدي دخلت فكرة الإصلاح طورا جديدا، جعل من الأزهر ينبوعا لتهديب النفس والفكر، والخلق، والدين وسيلته في ذلك تغيير نظام المدارس تدريجيا حتى يتحقق الاهتمام بالفهم بدلا من العناية بالكتب، داعيا إلى تغيير المناهج (...). يتبعها تعديل سلوك التلاميذ الخلفي بإشراف مدرسمهم كقدوة وموجه لهم .

ب - مميزات الفكر التربوي العربي في القرن العشرين

بعد استقلال بعض الدول العربية في الربع الأول من هذا القرن العشرين، وبعد حصولها على تحررها الاقتصادي، والاجتماعي، والفكري، قامت بإرسال بعثات إلى الدول الغربية من اجل جلب الخبرة لمواكبة هذا التغير والواقع الجديد، لكن الكثير من هذه البعثات تأثرت سلبا بالحضارة الغربية، حيث تماهوا مع الثقافة الغربية، وفقدوا الكثير من القيم الإسلامية التي كانوا عليها.

ولقد تميز الفكر التربوي في هذه الحقبة بما يلي:

- المنطقة العربية أصابها الكثير من الاضطراب والخلل التربوي سواء في الأهداف أو المناهج أو الكتب أو الطرق نتيجة لعدة أمور منها:
- إن هذه الفلسفة بكل عناصرها التطبيقية قد انحرفت عن طريقها الصحيح.

- إن هذه الفلسفة لم تكن وحدها على الساحة العربية، وإنما دخلت إلى جانبها فلسفات تربوية أخرى غريبة عن أرض هذا الوطن العربي، حاولت في كثير من الأحيان صرع القيم التربوية الإسلامية ، وفي حيان أخرى التأقلم معها .

خلاصة :

إن تعرضنا للصيرورة التاريخية للتربية والفكر التربوي، كان من باب الإنصاف لمن برعت فلسفتهم في إرساء جذورها الضاربة في أعماق تاريخ البشرية، بدءا من مربى البشرية الأول آدم عليه السلام مرورا بمختلف الحضارات، والملل لأنها عملية ليست

وليده حقبة بذاتها ، ولا يمكن أن ننسبها لفرد فقط، أو جماعة وإنما هي عملية مستمرة استمرار البشرية جمعاء، ثم وإن كان موضوعنا هو الفكر التربوي الإسلامي المعاصر فإنه لا يمكن فصل هذا الفكر عن الفكر العام للتربية لأنه جزء منها لأنه فكر إنساني بامتياز، ولا تزال الحضارات تتأثر وتؤثر في بعضها البعض، فيبقى ما صلح من الفكر ويتلاشى ما فسد وضر ، والحكمة ضالة المؤمن كما يقال، بل انه من الإجحاف عدم الإشارة إلى عباقرة الفكر التربوي الغربيين من أمثال فولتير، وبيكون و كومينوس وديديرون، ولوسيه وديفو وهوبز ومونتسكيو، ولوك ومونتي، وكذا على المستوى الفكر العربي العام أمثال: جمال الدين الأفغاني ورفاعة الطهطاوي وعلي مبارك ومحمد عبده وان تعرضنا لذكر بعضهم فقط، فما كان من خير وامن واستقرار للبشرية يعيشونه في الوقت الحاضر يعود دون إنكار لمجهودات وإبداعات هؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر، وإن أخذوا الكثير منها من المفكرين الإسلاميين الذين أخذوا بدورهم عن فلاسفة الإغريق واليونان...فما أخذه مفكروا العصر الحديث أعادوا الإمعان فيه وأخرجوه إلى البشرية في أفضل وأدق معالم وأسس، يرجع إليها الفضل في تسارع وتطور البشرية وليس أصدق دليل على ما نقول فيما تعيشه المدرسة العربية والإسلامية في كنف وأفكار وأهداف ومقاربات هؤلاء، وإن كنا نملك أقوى منهج الهي تربوي هو القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

مصادر ومراجع الفصل باللغة العربية:

القرآن الكريم .

1- احمد سعد مرسي ، تطور الفكر التربوي ، ط 10 ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .1986.

- 2- الرشيدان عبد الله ، جعيني نعيم ، المدخل إلى التربية والتعليم ، دار الشروق عمان ، الأردن ، 1999 .
- 3- العميرة محمد حسن ، الفكر التربوي الإسلامي ، دار المسيرة للتوزيع والطباعة ، عمان الأردن ، 2000 .
- 4- الكندري لطيفة حسين ، ملك بدر محمد ، تعليقة أصول التربية ، ط3 ، الكويت مكتبة الفلاح ، 2008 .
- 5- الموسوعة العربية الميسرة ، ط2 ، دار الجيل بترخيص من الجمعية المصرية لنشر المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2001 .
- 6- تركي راجح ، النظريات التربوية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 .
- 7- سعد مرسي أحمد ، سعيد إسماعيل علي ، تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب القاهرة 1971 .
- 8- شربل موريس ، موسوعة علماء التربية وعلماء النفس ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، 1991 م .
- 9- عبد الحميد أبو الفتوح التوانسي ، دراسات مقارنة في التربية الإسلامية ، مطبعة دار القلم العربي ، القاهرة ، 1973 .
- 10- عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1973 .
- 11- عبود عبد الغني ، دراسات مقارنة لتاريخ التربية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة مصر .
- 12- عبود منير ، ب ، موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2001 .
- 13- عمارة محمد ، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية والإسلام ، ط 2 ، دار الشروق مصر ، القاهرة ، 1988 .
- 14- محمود السيد سلطان ، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ ، دار المعارف القاهرة مصر 1979 .
- 15- محمود فاضل الجمالي ، تربية الإنسان الجديد ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل تونس 1967 .

مراجع الفصل باللغة الأجنبية :

1. Armstrong .d .henson K .and Savage ,éducation introduction 4tr ed .new yourkny :macmillanpublishingcompany

الفصل الرابع: الفكر التربوي الإسلامي

مدخل:

المبحث الأول: أصول الفكر التربوي الإسلامي

أولاً: التربية في القرآن الكريم .

ثانياً : التربية من خلال السنة النبوية الشريفة .

المبحث الثاني: خصائص الفكر التربوي الإسلامي ورواده المعاصرين.

أولاً : خصائص الفكر التربوي الإسلامي المعاصر .

ثانياً : من رواد الفكر التربوي الإسلامي المعاصر.

مدخل:

إذا كان من الصحيح أن تاريخنا التربوي قد شهد فكرا تربويا محددًا كما جاء في كتابات ابن سحنون و القابسي ، وابن جماعة إلا أنه لم يعيش كنسق فكري مستقل قائم بذاته وإنما اتصلت الأسباب وأقيمت الجسور بينه وبين غيره من الأنساق المعرفية الأخرى ولعل التراث التربوي لم يكن بدعا في ذلك ، فالمعرفة البشرية على وجه العموم لم تكن قد وصلت إلى ذلك الحد الملموس حاليا من الثراء الرهيب والتغير الذي نلهث وراءه.(...)

وإن الفكر التربوي كان جزءا غير مستقل من النسق الفكري العام، (...) فابن حزم - مثلا - كان غزير الإنتاج بحيث يمكن تصنيف كتاباته إلى أربعة أنواع:

أولاً: دراسة فلسفية وكلامية

ثانياً: دراسات فقهية وشرعية

ثالثاً: دراسات تاريخية وسياسية

رابعاً: دراسات خلقية ونفسية.

ومن أبرز الاتجاهات الاجتماعية في الفكر التربوي العربي الإسلامي، تلك الفكرة التقدمية التي نادى بها (القابسي) عن ضرورة الإلزام في التعليم . فالذين قصروا التعليم على طبقة معينة ، وحرموا أغلب الشعب من نعمة المعرفة إنما كانوا ينظرون إلى مصلحة طبقتهم لينعموا بالثروة والسلطان والجاه لأن العلم يفتق الأذهان، ويبصر الإنسان بحقوقه وواجباته ويدفعه إلى المطالبة بهما ، وحرمان فريق من الناس من التعليم ، هو القتل الأدبي ، لأنك تغير العقول ، وتطمس الأذهان ولعل هذه العقول إذا زالت عنها غشاوة الجهل أن تتفتق عن الخير والحق ، والعمل الصالح للإنسانية بما لا يستطيع أن يفعله الأغنياء .

ونجد من خلال تحليل ما ورد في كلام القابسي إحياءات فكرية وتربوية تدل على النظرة التقدمية لهؤلاء الطفرة من العلماء في زمانهم، وهو دلالة على رجاحة العقل وقوة التأمل والتدبر، في حال وأمر الرعية من عامة الناس وذكاء وحقق واستشراف، لحقائق وتوقعات يعجز العقل والفكر العادي بلوغها .

ومن المعروف أن الإنتاج الفكري الذي شهدته الحضارة الإسلامية لم يكن جهد قام به العرب وحدهم فقط، وإنما شاركهم فيه علماء ومفكرون من مختلف أصقاع الأرض التي وطأها الإسلام، وبسط نفوذه عليها أو احتك بها المسلمون عن طريق تجارة

أو غيرها من مختلف الملل والنحل، كالهنود والفرس والأتراك و الأسبان، فنمت وأينعت بذور هذا الفكر التربوي و تلاقحت على قواعد توافق ما ورد في القرآن والسنة .

الواقع التربوي للمجتمع العربي الإسلامي :

بات من الواضح للعيان وبعد إحاطة للمتأمل في الواقع ووقائع وحال المجتمع الإسلامي أنه يخضع تحت وطأة حصار، وأزمة حقيقية في جميع أقطاره وفي جميع مجالاته توشك أن تتكالب عليه أنياب وأيدي اليهود والنصارى، ومختلف الملل من الشيعيين والمجوس وغيرهم صار حال المسلمين كصيد وقع في قيد، شنت أشلاؤه و أوشك مفترسوه على تأريبه، فظواهر هذه الأزمة تشير إلى أن أساسها هو حاجة الأمة الإسلامية إلى نظام تربوي يتناسب مع واقعها، ومثلها العليا وعقيدتها وصراعها من أجل إثبات وجودها وكيانها واسترداد مجدها ، نظام تقوم عليه حياة المسلم من أولها وآخرها ويشمل المجتمع بكل طبقاته وينهض به في كل ظروفه وأحواله .

إن هذا الأمر الجلل يستلزم حلا على عجل ، يمكن للتربية الإسلامية أن تكون فيه مخرجا لمواجهة حاجات حاضر، واحتياجات المستقبل بحيث :

أولا : يتم تقديم التربية الإسلامية كرسالة لمواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر، وتلبية حاجاته وتطلعاته المستقبلية.

ثانيا : إبراز التفاصيل والتطبيقات التربوية المتخصصة لهذه التربية مثل: فلسفة التربية والمناهج، وميادين التربية، وطرقها وأهدافها وغير ذلك من الأصول والجوانب التطبيقية العملية التي تحتاج إليها نظم التربية المعاصرة، والتي تعيش في هذا الجانب عالة على النظم التربوية الأجنبية والمستوردات التي تحملها معها أفواج البعوث والخبراء الوافدة من الخارج.

مفهوم الفكر التربوي الإسلامي: ونقصد به إسهامات المفكرين الإسلاميين و آراءهم في مختلف القضايا التربوية للأمة الإسلامية في العصر الحديث والتي أحدثت تأثيراً كبيراً في المواجهة والتحدي للثقافات الغربية في مختلف العلوم الإنسانية خاصة الاجتماعية منها وهذا التصدي الفكري تولد عنه فكر تجديدي في ميدان التربية، في المجتمعات الإسلامية، وتوجيه هذه العملية لتكون مؤدية لدورها في المجتمع قادرة على إحياء القيم الإسلامية فيه، بعيدة عن تأثير القيم المتعارضة مع الإسلام، وهذا ليكون الإسلام دينا ومنهجاً للحياة وقاعدة تقوم عليها المجتمعات الإسلامية في حركاتها وسكناتها وتضمن

بها انتماءها عن باقي الأمم مستمدة قدرتها في ذلك على النصوص القرآنية والسنة المحمدية التي تعد أصولاً ثابتة في العمل الفكري لهم، وهذه الأصول التربوية وما ينبثق عنها من قواعد وفوائد هي منارات عامة من المفترض أن لا يحيد عنها الإنسان المسلم في تطبيقاته وهذه الأصول نحن بحاجة دائمة إليها والرجوع إلى قواعد لتجديد المسار مهما تُلقت حياتنا العقبات، فنحن بشر نخطئ ونصيب، نخاف ونضعف، نتأثر بكل جديد نذنب ونتوب، وفي مرجعينا الحل المرغوب.

إن الفكر التربوي الإسلامي الذي نناشده يستمد روحه ونظمه من القرآن وسنة نبيه (صلى الله عليه و سلم) ، وهما المصدران الرئيسيان للفكر التربوي الإسلامي.

المبحث الأول: أصول الفكر التربوي الإسلامي

أولاً: التربية في القرآن الكريم

قال تعالى: ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .

لقد صبغ القرآن الكريم موضوعاته بصيغة الموعدة والإرشاد في سياق موحد لتؤدي عملها التربوي الهادف إلى تطهير النفس البشرية من الدرن ، ولعل هذا ما نلاحظه حين يخاطب القرآن الإنسان ، فهو كل متكامل رغم إقراره للقوة الداخلية فيه ، لقد استظهر القرآن في تصويره فعاليات متعددة من حيث التوجيه التربوي ليهتدي الإنسان في ضوئها ، وهي فعاليات الترغيب والترهيب والقوة الحسنة ، أو ما يسمى بالموعدة والاعتبار بالقصص فقد سلك القرآن في أسلوبه سياقات مثالية ليضرب بذلك طرقات شتى في التربية والأخلاق والسلوك الفطري السليم .

قال تعالى : ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .
 ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)) (الأنعام، ٥٢) .

وعلى ضوء هذه الآية فإن القرآن يركز على ضرورة الاقتداء والتأسي بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام في أقواله ، وسلوكياته وأفعاله وهو وإن نال الفضل في كونه خاتم الأنبياء والمرسلين، فإن القرآن يدعونا إلى عدم التفريق بين الأنبياء والمرسلين، فهم مختارون من قبل الله تعالى من بين البشر، قد حضوا بالرعاية والحماية الربانية من الخالق، لذا فهم عليهم السلام نماذج للإنسان المتكامل، فاستحقوا الوصف بالقوة الحسنة التي تستوجب الإتيان من باقي البشر، لأن القوة الحسنة من أنبل وسائل التربية وأكثرها تأثيراً وفعالية وهو ما اعتمدت عليه التربية القرآنية، لتحقيق أهدافها لذا فالمسلمون

وبه في الحياة ليسير على هدى وبصيرة، ويسلك سبيل الحق والرشاد، في معالم واضحة وخطى ثابتة وهدف مرسوم .

قال تعالى ((ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره)) . (الطلاق ، 2. 3) .
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة الإيمان فقال:
((إذا ساءت سيئتكم ، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن)) . وقال أيضا ((إذا أراد الله بالعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه)) .

إن العقيدة هي مصدر إلهام العواطف الصالحة يطرد بها المؤمن قوة الشر قال تعالى :

((﴿لَا يَأْتِيهِمْ لُجُجٌ وَلَا عِذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا الْهَمُّ وَلَا الْحُزْنُ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا الْمَوْتُ الَّذِي أَخْبِئُوا﴾ ﴿إِنَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ آلِهَةٍ مُّؤْتَوَاتِينَ يَخْبِتُونَ مِنِّي حَيْثُ مَا كَانُوا﴾ ﴿إِنَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ آلِهَةٍ مُّؤْتَوَاتِينَ يَخْبِتُونَ مِنِّي حَيْثُ مَا كَانُوا﴾ ﴿إِنَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ آلِهَةٍ مُّؤْتَوَاتِينَ يَخْبِتُونَ مِنِّي حَيْثُ مَا كَانُوا﴾)) (الأعراف ، 201)

وهو أمر يبرهن على سلطان الإيمان لما يمتلك قلب الإنسان فتضمحل أمامه النزعات الفاسدة.

1- منهج التربية في القرآن الكريم:

إن منهج التربية في القرآن مر بطورين متباينين:

الطور الأول: وقد ورد مصورا في نماذج مختلفة من قصص الأنبياء ذكرا ما أحاط بهم من عناية إلهية أثناء تعدادهم لعمل الرسالة السماوية ، بما أنعم عليهم من نعم الخلق والتربية والهداية والاصطفاء وقد حكى القرآن عنهم قولا واحدا صدر عن كل منهم في كل زمان ومكان :

((﴿لَا يَأْتِيهِمْ لُجُجٌ وَلَا عِذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا الْهَمُّ وَلَا الْحُزْنُ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا الْمَوْتُ الَّذِي أَخْبِئُوا﴾ ﴿إِنَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ آلِهَةٍ مُّؤْتَوَاتِينَ يَخْبِتُونَ مِنِّي حَيْثُ مَا كَانُوا﴾)) (الشعراء ، 107، 109)

كما أنه لدلالة واضحة على وحدانية المصدر الإلهي رب العالمين خالق البشر أجمعين وكذا وحدانية الرسالة والهدف والأمر والقصد.

الطور الثاني: ويحرص الخطاب القرآني على وصف أنبياء الله بصفات ملؤها الثناء الحسن كقوله تعالى: ((...))

وقوله تعالى: ((...))

وكذلك قوله: ((...))

وهنا يسوق القرآن مثالا فريدا ليضرب بذلك مثل الصبر في مواجهة الاستبداد والانحراف عن العقيدة (...). فالأنبياء رسل أديان، وهم أيضا مؤسسوا حضارة واجتماع وأسلوب حياتي جديد عرف في العقيدة بالتوحيد وفي الاجتماع بالمساواة وبين الأفراد وفي الأخلاق بمراقبة الضمير والأمانة .

ونجد من الصور البيانية والعبير التوازنية في صنوف أخلاق الأنبياء رسل أديان ، كالعفة في قصة النبي يوسف ، قال تعالى: ((...))

وفي قوله تعالى: ((...))

((يوسف: 56))

ومن الحكمة القرآنية أنه يستعمل قبل إنزال العقاب أسلوب الترغيب والترهيب، إذ يعد في هذا المجال مسألة لا بديل عنها في توجيه الفرد (...). والقرآن حين يخاطب الإنسان لا يفوت عليه فرصة في الدعوة الحسنة بالتحذير من سوء العاقبة قال تعالى: ((﴿١١٠﴾))

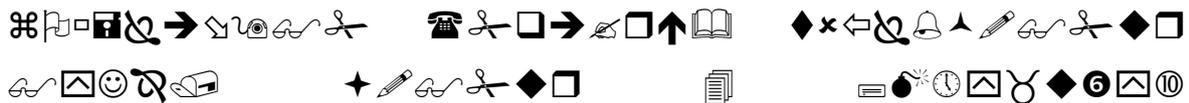
وقوله تعالى: ((﴿١١١﴾)) إن الإنسان بطبعه يخاف أن يصاب بمكروه يتوقعه، وهو (الحجر، 49)

في الوقت نفسه يسعى للبحث عن سعادته فالخوف والرجاء يدعمان اتجاهه في الحياة ويوجهان شعوره وتفكيره ، فكل مشهد له خصوصياته التي تجعل الفرد يتجنب الأفعال المفضية إلى هلاكه طمعا في رحمة الله وعفوه، وهكذا يتخذ أسلوب المرحلة في التربية. يبدو أن القرآن يشير بأسلوب مميز إلى أهم العناصر المكونة للإنسانية وتوجهاتها القيمة وللعلاقات الإنسانية الأساسية وفق منظور قيمي ديني أخلاقي لطبيعة ونموذج مجتمع يسعى إلى تحقيقه وفي هذا السياق فإن التوجيهات والأحكام القرآنية الموجودة في كل المجالات (عقائدية، أخلاقية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية...). تتضافر وتتساند في عملية منسقة لتحقيق الأهداف المطلوبة .

إن اللبس ليزول حينما نضع في الحسبان أن الله لم ينزل الكتاب منفردا وإنما بعث معه رسول ليبلغ بلسان ما جاء فيه ويجسد تعاليم ذلك الكتاب، والمسلم كيس فطن كلفه الله من خلال القرآن بالتدبر والتفكير ويجتهد في أعمال عقله بعدما أعطاه وبين له الخطوط العريضة للخوض في الحياة بأمان .

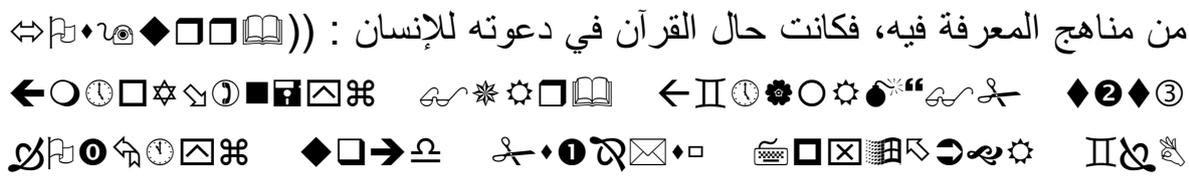
ونضيف أنه تتمثل المهمة الأساسية للقرآن في إرساء الأسس الفكرية والعقدية للنهج الإسلامي وتدعيمه بأدلة عقلية ونداءات موجهة للقلب أما فيما يخص الجانب العملي لبناء صرح الإسلام ، يكتفي القرآن بذكر حدود الحياة دون الإطالة في التفاصيل والإجراءات في حين تم تكليف الرسول (صلى الله عليه و سلم) بتجسيد نهج الحياة الإسلامية على

مستوى الفرد والمجتمع والدولة . (maudoudi abualala , p 19, sans date)



 ومن الملاحظ أيضا أن الخطاب القرآني في مستواه النصي يتحدث عنه الجانب المعرفي عند الإنسان يمزج بين العقل والحواس وبين رسائل المعرفة ومصادرها.

قال تعالى : (()) (النحل، 78)

لقد وضعت الحكمة السماوية في القرآن وقصصه هذه المرحلة في المعرفة، وهي مرحلة لا غنى عنها لطائفة من الناس، انتصرت معرفتهم على مدركات الحواس وحدها ، ولم تقوى على الخروج من دائرة المرئيات، أو لطائفة أخرى أتسع إدراكها وتصورها تهيأت لها هذه المرحلة مرحلة ثانية وهي النظر إلى الموجودات بعين الذهن، وذلك باجتياز طور الحس والمحسوس إلى دور العقل والمعقول لبلوغ مرتبة أسمى وهي التأمل في المعنويات الخالصة من شوائب الحس وعلائق المادة، وهو ما نجده في القرآن كمنهج من مناهج المعرفة فيه، فكانت حال القرآن في دعوته للإنسان : (())

وهو صفة لبيان أصل الإنسان وحقيقته .

 وجه القرآن دعوة للإنسان ليتأمل في نفسه (())

(الذاريات، 21)

ولا ريب أن كلمة ((تبصرون)) تتضمن معنى الإبصار لا بالبصر، ولكن بالعقل الذي استقر في النفس وهي البصيرة النورانية التي يرقى بها الإنسان إلى مستوى الصفاء إذ

أن تعبير الآية بصيغة الاستفهام الإنكاري ((أفلا تبصرون)) تأنيب على تقصير في التأمل الذي يحدث الإنسان.

(زعراط، نفس المرجع ، 51)

إن التصور العقائدي هو منطلق التربية في القرآن الكريم وهو ما يوضحه الكثير من المفكرين الإسلاميين حيث أن :

- المنهج الإسلامي في التربية ، يقوم على أساس إرساء التصور الاعتقادي وجعله

المحرك الأول والأكبر في النشاط الإنساني، و هو ما ذهب إليه سيد قطب .

وتمثل العقيدة الإسلامية أصل الحياة الكبير، الذي ينبثق منه كل فرع من فروع

الخير وتنطلق منه كل ثمرة من ثماره.

وقد جاءت السنة النبوية ، لتؤكد على أهمية العقيدة في التربية ، حيث كانت تربيته

صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، مبنية على أسس عظيمة وأصول كبيرة أولها العقيدة

الصحيحة التي حواها القرآن الكريم ، بما فيه من الآيات التي تدعو إلى التوحيد .

ولكي تؤتي التربية ثمارها فإن: المنهج الإسلامي في التربية ، يربط بين العبادة وحقائق

العقيدة في الضمير ويجعل العبادة ، وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وإيضاحها وتثبيتها في

صورة حية ، تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير، وقد ثبت أن هذا المنهج وحده

هو أصلح المناهج لإحياء هذه الحقائق ،منحها الحركة في عالم الضمير وعالم السلوك

وأن الإدراك النظري وحده لهذه الحقائق لا يحركها حركة دافعة في حياة الفرد ولا في

حياة الجماعة . (سيد قطب ، 1980 ، ج 6 ، 3946)

كما يشير سيد قطب إلى تميز المنهج الإسلامي في التربية ،من حيث كونه يخاطب

الطرة البشرية بآيات الله الكونية المبنوثة حول الإنسان في هذا الكون والتي يعلم سبحانه

أن فيها لغة مفهومة ، وإيحاءات مسموعة، ولذا لم يلجأ المنهج القرآني إلى الأسلوب

الجدلي العقيم ، الذي جاء فيما بعد عند المتكلمين والفلاسفة ، لأن الله يعلم أن هذا

الأسلوب ، لا يصل إلى القلوب ولا يدفع إلى حركة، ولا يؤدي إلى بناء حياة .

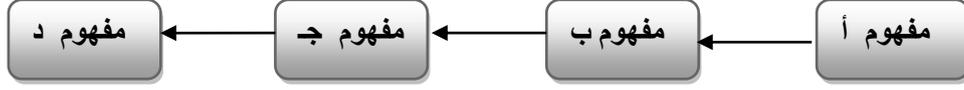
لقد تعامل المنهج في القرآن الكريم أثناء تعرضه لمختلف المفاهيم والقضايا وفق مدخل

منظومي، تعددت فيه العلاقة بين المفاهيم وهو منهج غاية في التأثير والفاعلية وكذا

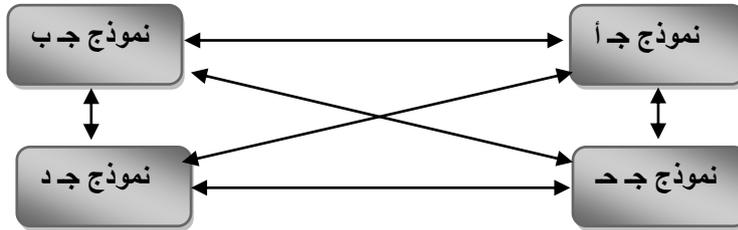
الشمولية والمعالجة التربوية، عكس المدخل الخطي الذي يعتمد تعاملًا محدودًا مع

مختلف العناصر ،وفق اتجاه واحد بل نجد القرآن ضمناً يرفض المدخل الآخر، كسلبية

التعصب التي تعتمد اتجاه واحدا وكذا التقليد الأعمى وأتباع الهوى وغيره ولنافي المخططين التاليين توضيحا لما ذكرنا :



شكل 02 نموذج يبين المقصود من المدخل الخطي



شكل 03 نموذج يبين المقصود من المدخل المنظومي

2- أهداف التربية في القرآن الكريم:

أولا : يمكن تلخيص أهداف التربية التي جاء بها لقرآن الكريم بما يلي :

- ✓ تعريف الإنسان (الفرد) بمكانته بين الخليقة وبمسؤولياته الفردية في هذه الحياة
- ✓ تعريف الإنسان بعلاقاته الاجتماعية ومسؤولياته ضمن نظام اجتماعي إنساني
- ✓ تعريف الإنسان بالخليقة (الطبيعة) وحمله على إدراك حكمة الخالق في إبداعها وتمكينه الإنسان من استثمارها
- ✓ تعريف الإنسان بخالق الطبيعة وحثه على عبادته هذا وإن القرآن الكريم ينظر للإنسان كوحدة غير مجزأة وهو يرفض رفضا باتا، الفلسفات التي تعني بالمادة وتهمل الروح أو التي تدعو إلى الحياة الروحية وتهمل الدنيا تماما فتتكر التمتع

المتزن المعقول بالطيبات (...). فلسفة القرآن موحدة لذات الإنسان، فالعقل والعاطفة والفعل لا ينفصل أحدهم عن الآخر، وفلسفة القرآن موحدة تربط بين الفرد والوجود وخالق الوجود وهذا ما يجسم لنا معنى الشمول والتوحيد في القرآن (...). إن التطور الذي يرجع بالإنسانية إلى الوراء ويقرب الإنسان من الوحشية والهمجية ليس من الإسلام في شيء، إذا فالعمل من أجل السمو الروحي والأخلاقي والاجتماعي والفكري هو جوهر التربية والإسلامية.

ويمكن أن نوجز أهداف التربية في القرآن الكريم إلى :

- **أهداف فكرية ومعرفية :** تستهدف تنمية ذكاء الإنسان، وتنمية قدرته على التصور والتخيل بما أبدعه القرآن الكريم من مشاهدة، وصور فنية عن الغيب والقيامة كما تستهدف تقوية الذاكرة والتذكر بحفظ القرآن نفسه واستيعاب معانيه (...). كما تستهدف التربية بناء الإنسان على خلق عظيم، وبناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم والمثل العليا (...). ترتبط بجميع السلوك البشري في جميع النظم الاجتماعية (...). وهي خصائص لا تتوفر للأخلاق الوضعية، ولا حتى الأخلاق المنزلية في الديانات الأخرى .
- **أهداف روحية :** إن تنمية الروح في الإنسان وفي المجتمع ركيزة يتطلب بناؤها لقاء جزاء الله، وثوابه وحبا في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، إن تنمية هذه الروح التي وضعها الله سبحانه في عباده وأودع سره هي المحصلة الثانية لهذا الدين .

هذا الروح هو الذي يرسم الأفق الأعلى الذي يتطلب الإسلام من معتنقيه أن يتطلعوا إليه وأن يحاولوا بلوغه، لا بتنفيذ الفرائض والشعائر فحسب ، ولكن بالتطوع الذاتي بما هو فوق الفرائض والشعائر، وهذا الأفق عسير المرتقي، وأعسر من ارتقائه الثبات عليه لأن نوازع الحياة البشرية أو ضغط الضرورات الإنسانية، لا يطوعان للأكثرين من الناس أن يرقوا إلى هذا الأفق العالي، ولا أن يصبروا عليه طويلا إن ارتقوا إليه في فورة من فورات الشوق والتطلع، فلهذا الأفق تكاليفه العسيرة ، وهي تكاليف في النفس والمال، وفي الشعور والسلوك، ولعل أشد هذه التكاليف مؤنه هو تلك اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على ضمير الفرد والحساسية المرهفة التي يثيرها في شعوره، تجاه

الحقوق والواجبات، لذاته وللجماعة التي يعيش فيها، وللإنسانية التي ينتسب إليها، وللخالق الذي يراقبه في الصغيرة والكبيرة ويعلم سره، ونجواه .

• **أهداف اجتماعية:** تشمل الحكم والسياسة والاقتصاد والأسرة والنظام الاجتماعي العام .

خصائص أهداف التربية القرآنية المذكورة سابقا :

1- **الوضوح والعمومية:** فوضوحها يظهر من أنها مباشرة بسيطة يستطيع أن يفهمها الناس كل الناس .

2- **الشمول والتكامل:** فهي شاملة تشمل الإنسان بكل جوانبه، وتشمل المجتمع بكل نظمه وأوضاعه .

3- **العقلانية والمنطقية الواقعية:** من حيث هي أهداف تتفق ومنطق العقل الإنساني ، كما تتفق مع اجتماعية الإنسان، ومع نظم المجتمع المختلفة

4- **احتوائها لأبعاد الزمن:** فهذه الأهداف قد بنيت على أساس مراعاتها لأبعاد الزمن الثلاث فهي تستفيد من الماضي وتمثله كما أنها تستوعب الحاضر وتواجهه، وهي في نفس الوقت تتهيأ للمستقبل ، وتستقبله .

(محمود السيد سلطان ، 114 ، 116)

وقد لخص (النحلاوي) أهم أهداف التربية بالآيات في الآتي :

- بيان الحق للإنسان وإظهاره له جليا .
- تقديم البرهان على توحيد الله بالألوهية والربوبية
- ترسيخ الإيمان باليوم الآخر
- تربية الإنسان على الخوف من الله والابتعاد عن المحرمات

3- محتويات التربية القرآنية:

تشمل التربية القرآنية تربية الإنسان في كل نواحي حياته معتبرة أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا مرحلة استعداد لحياة أفضل هي الحياة الآخرة وهي نظرة متكاملة وشاملة لجميع مراحل الزمن فهي تربط بين ماضي الإنسان وتسرد في إعجاز عجيب حياته كما تشمل الحاضر وتتنبأ بمجريات وأحداث المستقبل.

والتربية القرآنية التي تعني بحياة الإنسان كلها حاضرها ومستقبلها يمكن تقسيمها إلى أربعة عناصر هي : الإيمان، الخلق والعلم والعمل .

(آل عمران ، 61)

وفي التبذير قال تعالى: ((...))
 ...
 ...
 ... (الإسراء، 27)

وفي الزنا قال تعالى: ((...))
 ...
 ... (الإسراء، 32)

وفي الكبرياء قال تعالى: ((...))
 ...
 ... (الإسراء، 37)

إن المتفحص والمنتبغ للقرآن الكريم والدارس لألفاظه ومعانيه يكشف أن كل محمود من الصفات والأخلاق يستمد نوره من أسماء الله تعالى، قال تعالى : ((للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم)) . (النحل ، 60)

إن التربية الإسلامية في طبيعتها تربية علمية، تتحول بها الكلمة إلى عمل إيجابي وسلوك فاضل وقد حث الإسلام على الإيمان المقترن بالعمل الصالح ورغب فيه قال تعالى:

...
 ...
 ... (الكهف، 107)

ج/ الإنسان في القرآن الكريم :

فيما يتأمل الإنسان الآيات القرآنية التي تشير إلى أمور التربية يستخلص أن التربية التي يدعو إليها القرآن أو التي تنسجم مع توجهاته هي التربية التي تعامل الإنسان معاملة شمولية انطلاقاً من نظرة القرآن إلى الإنسان عقل وروح وجسد، وغرائز ودوافع وإرادة وخلق وعمل لذلك فقد سمي هذا الكتاب وعلا بفضل تنزيهه عن اجتهاد أي مخلوق فالإرادة والعناية لا يمكن لها إلا أن تكون إلهية المصدر كي تضبط وتنبتق كل مكونات الإنسان التي ذكرناها .

إن تضافر الجهد وعمل هذه المكونات هدفة تحفيز الإنسان ،ودفعه للتدبر والتفكير في آيات الله الكونية وإعمال عقله لاكتشاف فحوى ومعزى وجوده ، الذي ينتهي بالفناء والرحيل عن كل ما هو مشاهد، أو محسوس وملمس في هذه الحياة ، ثم استخلاص العبرة بفضل الفطنة المودعة فيه من الخالق ، ليتدارك الإنسان حقيقة رسالته، ومن ثمة أتباع نهج الهداية الدائم والابتعاد عن طريق الضلال، وليرشد تعالى عباده عبر الآيات القرآنية ،ويربط واقعهم الحياتي المعاش مع ماضي البشر ،من بني جنسهم وقد سبقوهم في التحول إلى حياة وعالم آخر .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالْعَدَّةَ يَوْمَ تَأْتُونَ سَاءَ يَوْمًا حَسْبُ الْمُذْنبِينَ﴾ (يوسف، 111)

وقال أيضا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا اللَّهَ فاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (النازعات، 26)

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالْعَدَّةَ يَوْمَ تَأْتُونَ سَاءَ يَوْمًا حَسْبُ الْمُذْنبِينَ﴾ ((القصص، 77)) .

فالتربية الحقّة هو التي تعني بالعلم والمعرفة والقيم وكل ما له صلة بحياة الإنسان في واقعه المتغير وحاجاته المتجددة وتطلعاته المستقبلية .

قال تعالى لملائكته: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ إِن سَأَلْتُمُوهُنَّ لَبَّاسَهُنَّ لَيَسْئَلُهُنَّ أَن يَخْرُجْنَ لَهُنَّ فُرُشٌّ مِّنَ السَّمَاءِ وَجَنَّتِ هنَّ عَلَيْهِنَّ سِدْرٌ مِّن لَّدُننَّاهُنَّ عَلَىٰ أَهْنٍ مِّنَ السَّفَرِ كَالْعُرْشِ كَامِلَةٍ ذُو صُنُوفٍ مَّخْتَلِفٍ أُولَئِكَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ أَتَوْا اللَّهَ بِحَقِّ وَجْهِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ فَرْشٌ وَلَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِنَّ غَيْرُهُنَّ﴾ (التين، 1-11)

يترتب منطقياً عن هذا التصريح ضرورة إيجاد منهج مناسب ويجب أن يسمح المنهج المختار باستخراج من القرآن، ما يمكن اعتباره بمثابة جوهر الإنسان من طبيعة فيزيولوجية وكيهوننة روحية وخصائص نفسية و اجتماعية ، وما يرافقها من قيم ودوافع وغرائز ومشاعر تتفاعل عندئذ مع الملابس الاجتماعية، والثقافية المحلية الظرفية (...)، إذا كان القرآن يحتوي على حقائق ثابتة حول الإنسان، ويقدم قيماً وأحكاماً ذات بعد عالمي، فإنه يقتضي ذلك أن يترسخ في ذهن الإنسان ويتجسد في واقعه بكيفية تجعل تلك الحقائق والأحكام تتمثل أمامه على شكل " عرض مستمر " قابل للإسترجاع في أي لحظة تاريخية، وتتمتع أحكامه المختلفة بقابلية أزلية على التطبيق مهما ابتعد المجتمع المستقبل، عن المجتمع الأصلي الذي نزل فيه القرآن . (رشيد ميموني، 92)

إن حاجة الإنسان الملحة في هذا العصر وفي كل عصر تكمن في توفر تربية شمولية منظومية تربط بين الأيمان والأخلاق، والعلم الصحيح والعمل الصالح، وإن هذه العناصر الأربعة للتربية ينبغي أن تصبح متلازمة متماسكة إذا شئنا سعادة البشر فأفراد وجماعات واتجاه الإنسانية مما يحيط بها من شرور وأخطار، إن معظم النظم السائدة في العالم اليوم ومنها نظم التعليم في العالم العربي والإسلامي تتراخى في العناية بالإيمان وبالأخلاق ، إن لم تهملها أحياناً فاختلت التربية واعتلت وأصبحت تشكل خطراً على أهمية الدين والأخلاق الفاضلة في حياة الإنسان المعاصر .

إن الإيمان المقصود هو بالطبع هو الإيمان المتعارف عليه في الدين الإسلامي لشموليته وضبطيته لأنه أمر مسطر من عند خالق البشرية، مسطر ومحدد لا يمكن التلاعب فيه وهو أمر يعني بقدسية الروح وسلوكيات وأفعال الإنسان، وانحرافات الأخلاق وابتعادها عن مسaire الدين والسليقة (الفطرة السلبية) هو معول هدام للعلاقات الإنسانية، بل يهدد مباشرة تواجد الكيان البشري في حالة الجنوح والطغيان، وخاصة في هذا العصر الذي أرتبط فيه الأفراد ارتباطاً تجاوز المعقول بالآلات فأصبح الأشخاص يتقنون ثقة متناهية بهذه الآلة، ويهملون علاقاتهم ببعضهم البعض مما أدى إلى انعكاس سيئ على المشاعر والعواطف وبرود، كل ما يختلج بالنفس ويضفي على الإنسان طابع التواصل المباشر والرحمة وصلة القرابة، والإيثار، وكل ما يحقق الألفة بين بني المجتمع الواحد أو يتعداه لباقي المجتمعات لأن الدين معاملة، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، ولو كان الإنسان قد خلق للخلود في هذه الحياة لما كانت تقع عليه اللائمة في اختياره للنماء، وإهماله لباقي

العلاقات ولكن هيهات هيهات فالحياة مهما طالت قصيرة في أيامها والساعات، ومآل الحياة الدنيا إلى الفناء وسيحاسب الإنسان عما عمل فيها، والموت هو الحقيقة الوحيدة التي توجه الإنسان إلى التدبر والتفكر في سبب خلقه وحقيقة رسالته والقرآن الم بهذه الرسالة ووجه الناس كافة إلى انتهاج منهج الإسلام لنيل الفوز، بالجنة والنجاة من النار قال تعالى: ((...))

قال تعالى ((...)) (البقرة، 197)

قال تعالى ((...)) (التغابن ، 16)

إذا فالتربية القرآنية تدعو إلى الإيمان والتقوى بمعنى مخافة الله، وإتباع أوامره، واجتناب نواهيه لأنها قائمة على علم والتقوى تزيد من العلم وكثير من العلوم لا يعلمها سواه جل في علاه.

إن القرآن الكريم هو الذي قام فعلا بدور التربية، وله في ذلك منهج فريد يربي في الإنسان الفطرة السليمة، والقلب الذكي والعقل الواعي، والقوة الحسنة.

(الجمالي ، 9)

إن الملاحظ والمتتبع للنظريات الاجتماعية والمهتمة بسلوك وأفعال الإنسان، وكذلك أفكاره فهي لم تراعي إلا ما يمكن اختباره ومشاهدته، فالعلوم الاجتماعية التي ظهرت حديثا إنما تقف على ساق واحدة أجهدت نفسها إجهادا شديدا في دراسة ما هو مادي بدني في الإنسان، وغفلت أو تجاهلت الجانب الروحي غير المادي، الذي ينتمي إلى عالم الغيب فلما أهملت مصدر المعرفة بالغيب إلا وهو الوحي فإنها قد ضلت فأضلت أجيالا متعاقبة من البشر ممن أحسنوا الظن بتلك العلوم . (رجب إبراهيم ، 1996 ، 40)

إن القرآن في صياغته للنظرية التربوية للإنسان يعمل على جعله مرهف الحس موصلا بربه، كأنما يرى يده تسقط الغيث، وتنبت الزرع وتبعث الحياة في موات الأرض، وينبض قلبه مع كل ظاهرة من ظواهر الكون، ويتجاوب حسه مع تسبيح الوجود وبحمد الله وقدرته .

وفي توجيهه سبحانه للعباد وإعمال العقل والفكر منهم، وليقيم الحجة على من لا يؤمن إلا بعالم المشاهدة، ويدفعه دفعا لإتباع الصراط المستقيم، فينعم بالهداية وجنة النعيم .

قال تعالى: ((...))

﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾ (الواقعة ، 57 ، 80)
 ((﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾))
 إن القوة الخفية التي تتحدى مجادلة الإنسان، وتقف وراء الأسباب والمسببات في الطبيعة
 والمخلوقات، وتمن عليه بتوفير أسباب الهداية والتدبير، بتكلفة لا تتعدى التدبير ذاته
 وإعمال العقل والتفكير في أسباب وجود الوجود، لا يمكن لها إلا أن تكون الله سبحانه
 خالق ومدبر كل شيء .
 فالقرآن منهج حياة متكامل تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته، فهي الأصل وما
 عداها فروع، ومن ثم جعلها ميزانا لأفكار الناس وقيم الحياة.
 إن القرآن الكريم وهو يعرض الأفكار والمفاهيم، والأوامر والنواهي، والترغيب
 والترهيب وأخبار الغيب وأخبار الواقع، لم يعرضها مشتتة متفرقة لا تربطها رابطة بل
 جاء مضمونه التربوي وحدة واحدة ومنهجاً مترابطاً شاملاً، واضح المعالم، يمكن
 استقراؤه من خلال آياته لقد ضمن القرآن بكماله وشموليته كل الحقوق والواجبات، لهذا
 المخلوق الذي استخلفه في الأرض وهياً له كل الأسباب التي تعينه على حسن
 الاستخلاف، والتمتع في كنف الحياة بما في ذلك من رزاعة في الطفولة، وكفالة ورعاية
 وحماية إلى أن يبلغ سن الرشد والتكليف.

ففي حماية الطفل: قال تعالى ((﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾))
 ﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾
 ﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾

﴿...﴾ ((...))

(الإسراء، 11)

و قال تعالى: ﴿...﴾ ((...))

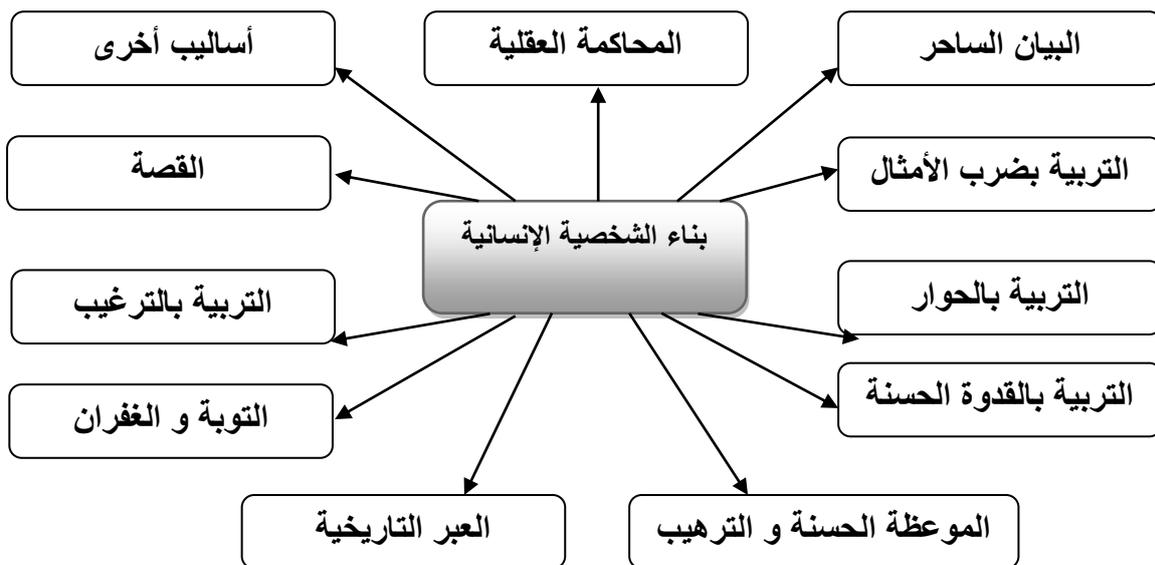
وقال تعالى: ﴿...﴾ ((...))

﴿...﴾ ((...)) ((النحل، 4))

إن هذه النصوص القرآنية لا تقر بشرور الإنسان، بل الطفل يولد بريئاً نظيفاً في السريرة ولكن التربية والمحيط هي التي تقف وراء توجيهه وإرشاده، والتهاون فيهما ينعكس سلماً على تصرفات وسلوك هذا الإنسان .

4- الأساليب التربوية في القرآن الكريم :

إن للقرآن طريقته الخاصة في لمس القلوب، واستجابة وجدانها إلى حقيقة الألوهية والشكل التالي يبرز أساليب الخطاب القرآني في تربية الإنسان، والذي يعتبر من أهم الأساليب التربوية في المدرسة القرآنية، وهو ما سنقف عليه بالتفصيل فيما يلي:



شكل (4) مخطط يوضح مختلف الأساليب التربوية المعتمدة في القرآن الكريم

شجعت التربية الإسلامية العديد من الوسائل التربوية لتتهذيب الفرد والمجتمع على رأسها التربية بالقوة، فقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن.

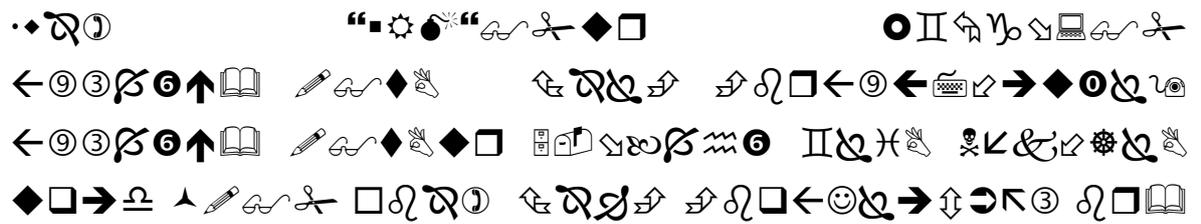
إن التربية في القرآن الكريم تركز على الوعظ، والنصيحة والترغيب، والترهيب والثواب والعقاب، والمجادلة، والتي هي أحسن والقصة الهادفة، والتربية بالأحداث والاستفادة من المواقف اليومية، والتجارب النافعة والتدبر في البيئة المحيط والتأمل في التاريخ والتقوى تقوى الله ومخافته في السر والعلن، والرجوع إليه في الشدة والتوبة عند الخطأ، وشكره وحمده عند النجاح والنصر والفرح .

إن قوة المسلمين في التمسك بدينهم والتزامهم بالعبادة الحقة، فالعبادة الحقة من أقوم مقومات التربية للنفس البشرية، وانجح وسائل التزكية والإصلاح لبني الإنسان، ذلك أن المداومة على أداء العبادات المفروضة تربي الإنسان على جملة من الأخلاق القيومة والسلوك الفاضل، وتعدّه إعدادا كريما متواصلا يحفره إلى عمل الخير، ويحميه من الوقوع في الشر ويوجهه إلى قيمة وجوده، ومسؤوليته عن حياته ويدفع طاقاته وقدراته إلى الإبداع والإنتاج، واعداد الكون والحياة . (ملك، أبو طالب، 1989، 339)

فالترغيب والترهيب كلاهما وسيلة من وسائل التربية، وعامل من عوامل التعليم عليهما قامت الرسالات السماوية، وبهما نهضت دعوات الإصلاح الاجتماعية، إن هذه الوسيلة أساس بناء الأمم السابقة واللاحقة، ولا تخلو امة من معلم يقود الجيل فيذكر بالله ويرغب في الخير ويهرب من الشر، وهذا الأسلوب يتماشى مع طبيعة الإنسان فالإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه، بمقدار معرفته بنتائج سلوكه، وما يترتب على هذا للسلوك من منفعة أو ضرر .

إن الحقيقة التي خلق من اجلها الإنسان، والهدف الأسمى الذي بعث لأجله في هذه الحياة

هو عبادة الله عز وجل، قال تعالى : (())



﴿...﴾

(الذاريات، 58-56)

فالإنسان يولد على الفطرة، فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه كل على شاكلته وأسلوب ما اتبع من تربية يؤمن بها .

إن القرآن دستور متكامل النظريات التي لا يشوبها الشك لأنه من لدن حكيم عليم منزه على الخطأ والريبة ، وهذا التكامل يهدف إلى بناء الشخصية الإنسانية بناءا سويا وسليما ومن الأساليب التربوية المعروفة في القرآن :

1- أسلوب التربية بالقدوة الحسنة:

وخير قدوة للأمة الإسلامية رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام قال تعالى :

﴿...﴾

وهو توجيه وتنبيه للمسلمين على وجوب وأتباع والتأسي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ،في نطاق لا يحده الزمان ولا المكان، ولا الصغر ولا الكبر ، هو قدوة حسنة دائمة دوام الحياة ،توافق كل جيل وعصر ، قال الإمام مالك رحمه الله (لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) .

وقال تعالى : ﴿...﴾

(الجمعة ، 2)

قال أحد الشعراء :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان علمه أبوه

2- أسلوب التربية بالموعة الحسنة :

ومما استخدمه القرآن في تربية الإنسان أسلوب الموعة فالنفس الإنسانية لديها الاستعداد للتأثر بما يلقي إليها من كلام ، وهو استعداد مؤقت في الغالب ولذلك يلزمه التكرار ، والموعة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هذا وتثير كوامنه . (محمد قطب، 1981 ، 178)

والنصوص القرآنية التي تحوي هاته المواعظ والتوجيهات كثيرة ، قال تعالى : ((
﴿مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا نَبِيًّا وَلَقَدْ كُنَّا نُؤْتِي الْقَوْمَ النَّذَالَاتِ حِكْمًا لِيَتَذَكَّرُوا بِاللَّذَاتِ﴾

وقال تعالى : ((
﴿وَلَقَدْ كُنَّا نُؤْتِي الْقَوْمَ النَّذَالَاتِ حِكْمًا لِيَتَذَكَّرُوا بِاللَّذَاتِ﴾

وقال تعالى :
﴿مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا نَبِيًّا وَلَقَدْ كُنَّا نُؤْتِي الْقَوْمَ النَّذَالَاتِ حِكْمًا لِيَتَذَكَّرُوا بِاللَّذَاتِ﴾

3-أسلوب التربية بالترغيب والترهيب :

وهو أسلوب أستعمله القرآن الكريم ليذكر به المؤمنين بما يوفر لهم ربهم من نعيم في الجنة على ما اجتهدوا وصبروا عليه في الحياة الدنيا ، فينالوا أفضل الدرجات في الآخرة كما أنه تذكرة وتحذير للكافرين بالنار ، والعذاب الشديد جزاء صنيعهم وتعنتهم وجحودهم

قال تعالى: (()) 3336 (فاطر). (()) 3336 (فاطر).

3- أسلوب التربية بالحوار :

وهو أسلوب تربوي أستخدم في القرآن في مواقف ومواقع عدة ، كحوار إبراهيم مع أبيه أزr حيث قال تعالى : (()) 3336 (فاطر). (()) 3336 (فاطر).

واكتشفوا ما حل بأصنامهم، وذكر لهم بأن إبراهيم هو من فعل ذلك، فسألوه عن سبب فعلته التي اتهم أشار إلى الصنم الكبير ليشهد عنه إن كان إلها حقاً، فبهت من حضر مدركين عبر عقولهم الجادة أن الصنم حجر لا ينطق، فأراد أن يخرجهم إبراهيم من طغيانهم وضلالهم وهو يدعوهم إلى ترك عبادة ما لا يسمع، ولا يعقل إلى عبادة فاطر

السموات والأرض . قال تعالى : ((﴿ ﻟﻤﺎ ﺳﺌﻠﻮﻩ ﺑﻨﯩﺒﺮﺍﻫﻴﻢ ﻋﻦ ﺳﺒﺐ ﻓﻌﻠﺘﻪ ﺍﻟﺘﻲ ﺍﺗﻤﻪ ﺍﺷﺎﺭ ﺍﻟﻰ ﺍﻟﺼﻨﻢ ﺍﻟﻜﺒﻴﺮ ﺍﻟﻴﺸﻬﺪ ﻋﻨﻪ ﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﺇﻟﻬﺎ ﺣﻘﺎ ، ﻓﺒﻬﺖ ﻣﻦ ﺣﻀﺮ ﻣﺪﺭﻛﻴﻦ ﻋﺒﺮ ﻋﻘﻮﻟﻬﻢ ﺍﻟﺠﺎﺩﺓ ﺃﻥ ﺍﻟﺼﻨﻢ ﺣﺠﺮ ﻻ ﻳﻨﻄﻖ ، ﻓﺄﺭﺍﺩ ﺃﻥ ﻳﺨﺮﺟﻬﻢ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﻣﻦ ﻃﻐﻴﺎﻧﻬﻢ ﻭﺿﻼﻟﻬﻢ ﻭﻫﻮ ﻳﺪﻋﻮﻫﻢ ﺇﻟﻰ ﺗﺮﻙ ﻋﺒﺎﺩﺓ ﻣﺎ ﻻ ﻳﺴﻤﻊ ، ﻭﻻ ﻳﻌﻘﻞ ﺇﻟﻰ ﻋﺒﺎﺩﺓ ﻓﺎﻃﺮ ﺍﻟﺴﻤﻮﺍﺕ ﻭﺍﻻﺭﺿﻰ . ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : ((ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ، 51 ، 53)

أسلوب التربية بضرب الأمثال:

وهو أسلوب تربوي ينير العقل ويدعو إلى التدبر والتفكير والتأمل من أجل تثبيت اليقين والإيمان في القلوب ثم الالتزام بضوابط نهجه المستقيم.

قال تعالى : ((﴿ ﻟﻤﺎ ﺳﺌﻠﻮﻩ ﺑﻨﯩﺒﺮﺍﻫﻴﻢ ﻋﻦ ﺳﺒﺐ ﻓﻌﻠﺘﻪ ﺍﻟﺘﻲ ﺍﺗﻤﻪ ﺍﺷﺎﺭ ﺍﻟﻰ ﺍﻟﺼﻨﻢ ﺍﻟﻜﺒﻴﺮ ﺍﻟﻴﺸﻬﺪ ﻋﻨﻪ ﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﺇﻟﻬﺎ ﺣﻘﺎ ، ﻓﺒﻬﺖ ﻣﻦ ﺣﻀﺮ ﻣﺪﺭﻛﻴﻦ ﻋﺒﺮ ﻋﻘﻮﻟﻬﻢ ﺍﻟﺠﺎﺩﺓ ﺃﻥ ﺍﻟﺼﻨﻢ ﺣﺠﺮ ﻻ ﻳﻨﻄﻖ ، ﻓﺄﺭﺍﺩ ﺃﻥ ﻳﺨﺮﺟﻬﻢ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﻣﻦ ﻃﻐﻴﺎﻧﻬﻢ ﻭﺿﻼﻟﻬﻢ ﻭﻫﻮ ﻳﺪﻋﻮﻫﻢ ﺇﻟﻰ ﺗﺮﻙ ﻋﺒﺎﺩﺓ ﻣﺎ ﻻ ﻳﺴﻤﻊ ، ﻭﻻ ﻳﻌﻘﻞ ﺇﻟﻰ ﻋﺒﺎﺩﺓ ﻓﺎﻃﺮ ﺍﻟﺴﻤﻮﺍﺕ ﻭﺍﻻﺭﺿﻰ . ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : ((ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ، 51 ، 53)

أسلوب التربية بالبيان الساحر:

ومن الأساليب التي نجدها في التربية القرآنية أسلوب جمال التصوير، والبيان الساحر والموسيقى العذبة، فكل هذه تؤثر في النفس وتنفذ إلى الأعماق لتوجه الإنسان إلى الخير والحق . (فاضل الجمالي، 145)

ومن الآيات الدالة على جمالية هذا الأسلوب قوله تعالى: ((...))

النور، 35)

وقوله تعالى : ((...))

وعلى العموم فإن القرآن الكريم غني بأساليب التربية التي تستند على البحث، والتقصي ثم تكييف الصياغة لها، بحيث يمكن تطبيقها حسب الظروف المكانية، والزمانية وكذا أحوال وطبيعة الأفراد .

مضمون التربية القرآنية في ترقية مكانة المرأة داخل المجتمع المسلم :

لقد حقرت المجتمعات والأمم السابقة قبل مجئ الإسلام، من مكانة المرأة وما إن حل الإسلام الأرض وجاء القرآن حتى جاء معه رد الاعتبار لها، فقد بنى الإسلام نظريته للمرأة على أساس حقائق الفطرة البشرية، وأن الرجل والمرأة وإن كانا من جنسين مختلفين إلا أنهما متساويان إنسانيا من حيث الفطرة ، والعمل والعلاقة مع الله سبحانه بل هما زوجين لنفس النوع من الخلق ووجهان لنفس واحدة .

المساواة من حيث الفطرة:

قال تعالى : ((۞ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾)) . (النساء ، 01)

ومن حيث مساواة العمل :

قال تعالى : ((۞ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾))

ومن حيث تبادل المنفعة والرحمة والسكينة وهدوء البال بين الرجل والمرأة :
 قال تعالى : ((...)) . (آل عمران ، 195)

قال تعالى : ((...)) . (الروم ، 21).

وهنا يوضح سبحانه أن الأصل هو نفس النفس، فالنساء شقائق الرجال .

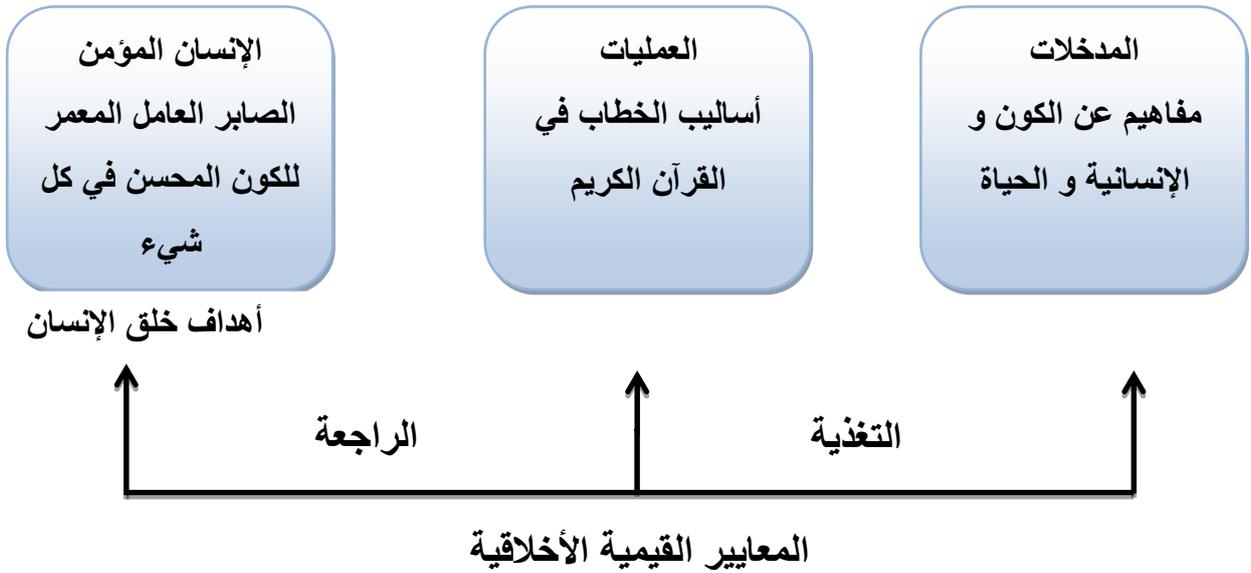
قال تعالى : ((...)) . (البقرة: 228)

ولا تعني الدرجة عبودية الرجل لها، وإنما تعني التنظيم لتستقيم الحياة بأمر أو ريان وإلا هلكت سفينة الحياة.

وهذا الاهتمام بتربية المرأة وتعليمها كان يرجي منه الرفع من مستواها ،وخبرتها ،فعلينا يقع مردود تربية الأبناء بل ومستقبل الجيل.

5- المرتكزات التربوية الأساسية في القرآن الكريم :

إن المرتكزات التي نتطرق إليها جاءت من مفاهيم مستوحاة من الآيات القرآنية التي لا يمكن حصرها وعدّها لتنزه مصدرها وعلوه عن مستوى فكر البشر، وقد أجتهد الباحثون في وضع مدخلات رئيسية لأبعاد العملية التربوية ثم الوقوف على أهم المؤشرات الدالة عليها ، ثم الأساليب المعتمدة في معالجة هذه الأبعاد والمؤشرات وصولاً إلى الأهداف التي تخلص إلى تكوين الإنسان المؤمن المثالي وفيما يلي شكل يوضح ما أشرنا إليه :



شكل (5): يوضح منظومة العملية التربوية في القرآن الكريم



شكل (6) منظومة مدخلات العملية التربوية في القرآن الكريم

ومن خلال الشكل (3) يمكن أن نستنتج أنه لتوثيق الصلة بالله سبحانه ،يجب توثيق مرجعية المعتقد، ولتوثيق الصلة بهذه المرجعية يجب على الإنسان القيام والامتثال لما كلف به شرعا، وهي أمر لا يتأتى للإنسان إلا بإعمال العقل، و التدبر لا من خلال البيئة التي يتواجد فيها كالتفكر في وحدة الوجود والخلق والخالق، وان هذا الإنسان لم يخلق سدا بل وجد من أجل الاستخلاف في الأرض، استخلافا ايجابيا تعبديا بالتجسيد عبر الإيمان بكل عناصره وعبادة الخالق عز وجل، والتخلي بروح المسؤولية في تحمل أمانة وأعمار الأرض، وإسباغ كل السلوكيات والأفعال بالإحسان إلى الغير.

6. مكانة القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو دستور إلهي المصدر، حوى كل التشريعات والتنظيمات والقوانين التي تحافظ على حياة الإنسان، وفق المعطيات المتواجدة بالطبيعة، وقد نزل على آخر رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي، قال تعالى في حق

هذا الكتاب: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُغَيِّرُ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَعْدِ ۗ﴾

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُغَيِّرُ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَعْدِ ۗ﴾

(77:78)

وقال أيضا: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُغَيِّرُ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَعْدِ ۗ﴾

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُغَيِّرُ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَعْدِ ۗ﴾

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُغَيِّرُ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَعْدِ ۗ﴾

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُغَيِّرُ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَعْدِ ۗ﴾

﴿...﴾ ((

(الزمر ، 27)

وقال فيه تعالى: ﴿...﴾ (((الإسراء، 9)

إن هذه النصوص القرآنية تؤكد على ألوهية المصدر للقران الكريم، وانه ليس من صنع مخلوق أو بشر، إن ما ورد فيه منزه فهو كتاب عظمته من عظمة الخالق سبحانه وتعالى قال تعالى:

﴿...﴾ (((القمر ، 17)

﴿...﴾ (((الإسراء ، 106)

﴿...﴾ (((محمد ، 24)

﴿...﴾ ((

(الشعراء ، 195-193)

إن هذا الكتاب المقدس بعدما يسر الله تنزيله، وحبى العرب من دون الأمم به، فبلغتهم نزل، يسره الله للذكر بلغة عربية فعلا بشأنه العرب، وبانوا وظهروا وشاعوا وازدهرت حضارتهم ، وتمدنوا بعدما كانوا بدوا ورحلا، فلم يكن علو مقدارهم إلا بعد ما رجعوا

ونقبوا والتزموا، بتعليمات هذا الكتاب ففيه القوة وفيه الثبات، صمم على أحسن مقياس وتنظيم.

إن منهج القرآن الكريم منهج عالمي يتصف بالثبات، يربي الإنسان أيا كان لونه ومكانه وزمنه، فهو وحي السماء وكلام خالق الإنسان وبارئه، وهو اعلم بما خلق، فهو يعلو ولا يعلى عليه، ترجع إليه العقول وتطمئن به النفوس، من تدبره اهتدى ومن عقله فاز بالدارين في الدنيا والآخرة، فقد ضمن لأخلاقه وآدابه الثبات والخلود، وربطها بالحق الأصيل الذي قامت عليه السموات والأرض ونسبها إلى الله تعالى. وله المثل الأعلى في كل ما خلق، ودبر وارتضى من خلق كريم.

(شديد، 1994، 179)

2- وحدة الوجود:

بين القرآن أن الإنسان منظومة لها صفاتها الخاصة، ولكنها محكومة بعلاقات وقواميس مع بقية المخلوقات التي تشكل معا منظومة كبرى، الإنسان والكون والحياة.

قال تعالى: ((...))

(الزمر، 6، 7)

((البقرة، 214)

وهنا يبدو جليا أن الابتلاء سنة الله في الخلق، فالمرض والشدة، والحسد ... امتحانات للإنسان ليرى الخالق أيصبر فيشكر، أم يضل فيكفر ، وهنا يخرج الإنسان من هذه الحالة على حسب عزمه وإرادته، و تصرفه فإن أحسن التصرف أكتسب خيره وجزاه الله على صبره، ونال تربية ارتقى إليها بفضل حسن السلوك وحكمة التعامل.

قال تعالى : ((

))

(يونس ، 12)

إن العبادة في مجملها تزيل الحواجز، و العقبات في طريق الإنسان إلى الله وصلتها المباشرة به، فليس بين الإنسان وبين الله حجاب .

قال تعالى((

))

(البقرة ، 186)

تصبح الحياة بهذا المفهوم عبادة متصلة، وحين يسموا الإنسان بهذا التصور فيجعل حياته كلها خالصة لله ،تصبح أعماله وأقواله صلاة تسبيحا ،وتتسع صورته حتى يتجاوز ذاته وحسه وأرضه، فيرى الوجود كله محرابا تدب فيه الحياة، مؤلفا من كائنات تتوجه كلها

إلى الله بالدعاء، والعبادة والتسبيح، وبهذه والصورة تتحقق رسالة الاستخلاف في الأرض وعمارتها.

لقد حاولنا في هذا المبحث التطرق إلى أصل من أصول الفكر التربوي الإسلامي وهو القرآن الكريم .

ثانياً: التربية من خلال السنة النبوية الشريفة

لقد جاءت التربية الإسلامية شاملة لكل مناحي الحياة وجوانبها، واهتمت بالرجل والمرأة على السواء، ووجهت كل واحد منهما بما يناسب فطرته، وميوله، وحاجاته ومهماته المكلف بها إنها تربية الإنسان على أن يحكم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته ثم لا يجد حرجاً فيما حكم الله ورسوله، بل ينقاد مطيعاً لأمر الله ورسوله (الانحلاوي، 1979، 18)

قال تعالى: ((...))

قال تعالى: ((...))

إن السنة في المجال التربوي تعني الطريقة، أو الأسلوب، أو المنهاج التفصيلي أو الكيفية التي تبني وتحصل كل جزئية في حياة الإنسان والمجتمع المسلم، حيث أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم تمثل وتجسد تعاليم وتربية الإسلام قولاً وأداءً وتعاملاً في مختلف شؤون حياته من عبادات ومعاملات، سواء كان ذلك الأداء قولياً، أو موافقة منه صلى الله عليه وسلم لما صدر عن بعض أصحابه رضوان الله عليهم من الأقوال والأفعال، فإن هذا يعني أنه صلى الله عليه وسلم بمثابة المثال الإنساني المتفرد، الذي يعتبر إتباعه و التأسّي به جزءاً أساسياً من التكليف الإلهي المتكامل الوارد في الكتاب والسنة، سواء أثناء بعثته أو بعد موته وإلى يوم القيامة، وهو المثال الذي ينبغي أن يتحدى في كل ما

إن فضائل السيرة النبوية كثيرة فهي السبيل إلى فهم شخصية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فالمتتبع لمراحل حياته والظروف التي أحاطت بمعيشته، وكذا الأحداث المرافقة لها يستنتج أن الرجل لم يكن حكيمًا رفعت حكمته ولا عبقرًا نبغ بين أقرانه، وأبناء قبيلته بل كانت حياته كلها موجهة توجيهًا إليها ليتهايئ إلى تحمل أمانة الرسالة والنبوة مما جعله قدوة لكل الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء قال تعالى: ((﴿ ٣٠ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ ﴿ ٣٩ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ ﴿ ٤٥ ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ ﴿ ٤٧ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ ٥٠ ﴾ ﴿ ٥١ ﴾ ﴿ ٥٢ ﴾ ﴿ ٥٣ ﴾ ﴿ ٥٤ ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ ﴿ ٥٦ ﴾ ﴿ ٥٧ ﴾ ﴿ ٥٨ ﴾ ﴿ ٥٩ ﴾ ﴿ ٦٠ ﴾ ﴿ ٦١ ﴾ ﴿ ٦٢ ﴾ ﴿ ٦٣ ﴾ ﴿ ٦٤ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ ﴿ ٦٨ ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾ ﴿ ٧٢ ﴾ ﴿ ٧٣ ﴾ ﴿ ٧٤ ﴾ ﴿ ٧٥ ﴾ ﴿ ٧٦ ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ ﴿ ٧٩ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ ﴿ ٨١ ﴾ ﴿ ٨٢ ﴾ ﴿ ٨٣ ﴾ ﴿ ٨٤ ﴾ ﴿ ٨٥ ﴾ ﴿ ٨٦ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ ﴿ ٨٨ ﴾ ﴿ ٨٩ ﴾ ﴿ ٩٠ ﴾ ﴿ ٩١ ﴾ ﴿ ٩٢ ﴾ ﴿ ٩٣ ﴾ ﴿ ٩٤ ﴾ ﴿ ٩٥ ﴾ ﴿ ٩٦ ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾ ﴿ ٩٨ ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ ﴿ ١٠٠ ﴾)) .

(الأحزاب ، 21)

2- أسس السنة النبوية الشريفة

لقد شملت السنة النبوية أسسا وقواعد كانت لها الكافل والسند لديمومتها وسرا لبقائها وثباتها ورسوخها في النفوس تمثلت هذه الأسس في:

- الأسس العقائدية
- الأسس الأخلاقية
- الأسس العلمية
- الأسس الجهادية

وحيثما نتطرق إلى مفهوم الأسس التربوية فإننا نعني بها جملة المنطلقات العقائدية والفكرية والتشريعية التي ينبثق منها نظام تربوي متكامل ومتوازي يهتدي بهديها ويتجدد في ضوئها (ابو دف، 2007 ، 35)

➤ الأسس العقائدية:

إن مصطلح العقيدة لم يرد في الكتاب والسنة، و لم يثبت استخدامه في صدر الإسلام بل كان يعبر عن هذا الموضوع بمصطلح الإيمان، ثم أستخدم مصطلح آخر هو مصطلح التوحيد والعقيدة الإسلامية .

ما من شك أن العلاقة بين العقيدة والتربية على درجة من القوة والعمق، بحيث يمكن أن يؤدي انفصالهما إلى تعطيل مهمة الطرفين، فعقيدة بدون ترجمة سلوكية لن تبرح حدود النظر والفكر، وتربية بلا استناد إلى عقيدة تعني سيرا بلا دليل .

وللعقيدة والتوحيد فوائد تعود على المسلم نوجزها فيما يلي:

- 1- التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج الكربات وبسط النعم .
- 2- يغفر الله الذنوب لمن آمن بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ففي الحديث القدسي قال تعالى: ((يَا عَبْدِي، مَا عَبْدْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، فَإِنِّي غَاْفِرُكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَيَا عَبْدِي إِنَّ لِقِيَّتِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطِيئَةً، مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي لِقِيَّتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)). (الألباني ، 1995 ، 249)
- 3- من مات على كلمة توحيد وفارق الدنيا عليها دخل الجنة، ومنع من النار، وأخرج من النار كل من كان في قلبه شيء من الإيمان.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ بُرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ دُرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ)).

(البخاري ، 2001 ، ج 1 ، 18)

وكذلك من أسس العقيدة ما أكدته هذه الآية : ((يَا عَبْدِي، مَا عَبْدْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، فَإِنِّي غَاْفِرُكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَيَا عَبْدِي إِنَّ لِقِيَّتِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطِيئَةً، مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي لِقِيَّتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)). (الألباني ، 1995 ، 249)

فمن أسس العقيدة: الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره

قال تعالى: ((۞))

ومن سر الإيمان باليوم الآخر أن يكون المؤمن:

1- حريصا على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفا من عقاب ذلك اليوم.

2- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة .

(العثيمين ، 1994 ، 27)

3- والإيمان بالقدر خيره وشره ، هو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته ((.

إن حرص المسلم على تنمية الأساس العقائدي السليم، يسهم في البناء الروحي الذي يعمل على توظيف الخبرات، والقدرات في خدمة الفرد والمجتمع، والارتقاء بهم نحو رضوان الله عز وجل.

➤ الأسس الأخلاقية:

تمثل الأخلاق أهمية كبرى للأفراد والجماعات والشعوب، فهي المقوم الرئيسي لوجودها وحياتها وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، والدين والأخلاق حقيقتان لا تنفصلان في الديانة الإسلامية، والأخلاق في الإسلام نظرية و عملية.

لقد رسم الإسلام للناس قواعد العمل الصالح الذي ينبغي أن يسيروا عليه، ومرجع المسلمين في ذلك هو القرآن الكريم أولاً ثم السنة المكملة للكتاب، والقرآن زاخر بهذه القواعد العملية التي تتناول أغلب أحوال الناس في معاشهم، وفي صلاتهم بغيرهم من الناس ومعاملتهم بعضهم بعض، والإسلام دين السلام، سلام بين المرء ونفسه، وبين المرء وغيره، وهو أول دين يحمل الخير للإنسانية كافة، لا يقتصر على شعب دون شعب، أو يؤثر أمة على أمة، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

(الأهواني، 1967، 114)

لقد أثنى الله سبحانه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، وأعلى من مقداره وأمر الأمة أن تقتدي بكل ما أتى به قولاً وفعلاً حيث قال تعالى:

((...)) . (القلم، 4)

وقال تعالى: ((...)) . (الحشر، 7)

لقد ربط الدين الإسلامي كل معاملته بالأخلاق الفاضلة، وحصر الدين كله في المعاملة المعاملة الحسنة طبعاً، فكان النبي مثالا يقتدي به في الصدق، والأمانة، والعفو، والنبيل والكرم، والعفة، والوفاء، وحفظ المعروف.

من سيرة المصطفى العطرة برزت العديد من المواقف الحياتية التي تدل على نبيل أخلاقه ومنها موقفه صلى الله عليه وسلم عندما حدثت غزوة حنين عام 8 هـ بين المسلمين والقبائل العربية المجاورة لمكة المكرمة، وفي مقدمتها هو ازن، وثقيف، وما حققه المسلمون من نصر على أعداء الإسلام وما نالوه من غنائم، وسبايا من هذه الغزوة

وكانت في السبي الشيماء بنت الحارث السعدية أخت رسول الله من الرضاعة ، فلما جئ بها إلى رسول الله عرفت له نفسها فعرّفها بعلامة فأكرمها وبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ثم من عليها وردّها إلى قومها.

(المباركفوري ، 1991 ، 47)

وهذا من باب ضرب المثل في الوفاء وحفظ المعروف، رغم أن بينه صلى الله عليه وسلم وبين القوم عداوة على دين الله وشرعه، ولكن كرم الخلق عند النبي جعله يغلب الحكمة والأناة ويحفظ حق الأخوة لهذه المرأة .

➤ الأسس العلمية :

قال تعالى: ((۞ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾)) . (فاطر ، 28)

والعلم بالمعنى الإسلامي هو ((المعرفة بكل نافع من الأمور بالكون وبما وراء الكون من الوجود المادي والروحي، إنه المعرفة بالآفاق وبالأنفس، وفي نطاق ذلك يدخل العلم بالمادة أو العلم بالمفهوم الحديث، والعلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بالطبيعة والأحياء والكيمياء والطب (العلوم الكونية) وهو بالضرورة أيضا علم الدين من تفسير وحديث وفقه . (عبد الحليم ، 2002 ، 34)

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الحث على العلم وإعمال العقل قوله : ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقيّة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت الكلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه، ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل ما لا يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به . (البخاري ، 1991 ، ج 1 ، 175)

وفي حديثه إشارة إلى أن العلم صيد، لا يناله إلا مجتهد وصبور، يبحث عن معاقله ومراتعه ، فلا يمل أو يكل حتى ينال فائدته ويجني ثماره .

لقد عرف العلماء بالبحث، وإعمال العقل أن الكون الذي نعرفه كله مخلوق من جسيمات أو لبنات تكون الذرة، وهذه الجسيمات لا بد من خالق خلقها وأن تشابه هذه اللبنات، يتألف منها كل شيء نعرفه في الكون قد دل على أن الخالق واحد . (السعدي ، 1996 ، 238)

الأسس الجهادية :

قال تعالى : ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) . (المائدة ، 76)

من بين مقاصد الجهاد إقامة الحجة على الكافرين، والمنافقين والفاسقين، والمسلمون مكلفون بنشر وبث الدين الإسلامي عبر المعمورة، وفي كل بقعة حلوا بها من الأرض بين الناس، وذلك لهدايتهم وإرشادهم إلى الحق، وإقناعهم بالإحسان إن أحبوا الهدى وذلك لينقذوا أنفسهم من عذاب الآخرة قبل فوات الأوان، بأسلوب دعوي بسيط ملؤه اللين والمحبة، وللجهاد أبواب أخرى تطرق لها العلماء والمفسرون بشكل موسع، وعلى كل فأساليب الجهاد في الإسلام تتماشى ومتغيرات الزمان والمكان، وتشمل النفس والمال والأرض، والعرض والدين، ولكن الغرض و الهدف منها واحد هو الوصول إلى تعميم هدي الله القويم ، ونشر دين الإسلام رحمة العالمين .

المبحث الثاني: خصائص الفكر التربوي الإسلامي ورواده المعاصرين

أولاً: خصائص الفكر التربوي الإسلامي المعاصر

1- الفكر التربوي الإسلامي فكر شمولي للطبيعة الإنسانية:

يزاوج الفكر التربوي الإسلامي في روايته الشمولية للطبيعة بين الروح والمادة، معتبرا إياهما أمران متكاملان لصيرورة الحياة ،وهي رؤية متميزة عن الرؤية الغربية، إذ لا يجب تفضيل المادة عن الروح، لأنهما قضيتان متلازمتان، ووجهان ثابتان للخلقة.

قال تعالى: ((وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْفَيْضَ يَخْتَارُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)) . (البقرة ، 254)



 ((السجدة، 79)) .

ويبين المولى عز وجل في أن الخلقة الطبيعية للإنسان مزودة باستعدادات فطرية، تتشكل من عاملي الخير والشر، وهذا الأمر فيه ابتلاء واختبار لا يعلم كنهه إلا الله، قال تعالى:













 ((الملك، 102)) .

فهذه الثنائيات هي سنة كونية: (الحياة والموت، الخير والشر، الحق والباطل، الليل والنهار)، هذا الاختبار زوده الله سبحانه بحلول تتطلب تدبر وتفكر الإنسان، وعلى هذا زوده بالعقل، ميزه عن الحيوان، فلتغلب الخير على الشر وجب على الإنسان أعمال عقله، وتهذيب سلوكياته، عبر التربية والتنشئة الاجتماعية، وما اكتشف حقائق كونه إلا إحياءات تدعم هذا المسعى بالإضافة إلى أن سبحانه لم يترك الناس ليستهدوا بأنفسهم وإنما كلما ظلوا عن السبيل بعث فيهم الرسل تترا، يهدونهم سبل النجاة، و ختم الرسل بمحمد عليه الصلاة والسلام، كما ختم الكتب الربانية بالقرآن الكريم، وهذا لقرب الحساب ومعرفة نتائج الاختبار الذي اشرنا إليه أنفا، وإعطاء الفرصة لتعميق الإيمان في النفس البشرية، قال تعالى: ((


 (الطارق، 5)

وقال تعالى أيضا: ((













(الغاشية، 16، 20)

والمقصود من النظر هنا التأمل والتدبر، لأن إدراك حقائق الوجود هو إدراك لحقيقة الله الذي يستوجب العبادة الحقة، والكون هو أعظم دلائل القدرة، كما أن الصنعة دلالة على جودة الصانع، فإن الخلقة دلالة على إعجاز الخالق .

2- أهم الخصائص المميزة للفكر التربوي الإسلامي:

• العمق

فالفكر التربوي الإسلامي ليس فكرا سطحيا أو هامشيا وإنما هو فكر عميق يحاول سبر غور الأشياء دون الوقوف عند حد الأمور الجزئية أو الاكتفاء بالنظر إلى الظواهر كما تبدو له، وإنما يعتريه القلق وتنتابه الحيرة أمام أسرار الوجود وما يحتويه من معارف وما ينبثق عليه من قيم ، مصداقا لدعوى شريعتنا الإسلامية، في التعامل بروية وتدبر في هذه الأسرار وكشف مكوناتها .

(لظفي بركات، 1982:34)

قال تعالى: ((...))

(العنكبوت، 20)

وقال تعالى : ((...))

• التأمل الواعي

فالفكر التربوي الإسلامي فكر تأملي واع يغوص داخل الحياة ليعود منها أعمق وعيا واشد إدراكا، وأصفى بصيرة، وهذا التأمل لا يعني الشطحات والخروج عن المؤلف وإنما هو تأمل ذكي، منبثق من شريعتنا الإسلامية السمحاء.

قال تعالى: ((...))

قال تعالى: ((...)) (فصلت، 53)

قال تعالى: ((...)) (الروم، 8)

• العمومية والشمول

• التسامح والحرية

وتظهر أصالة هذا الفكر التربوي في معاودة البحث، وصولاً إلى الحقيقة مهما طال بها الأمر، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق سعة الصدر والتسامح، وعدم الإقلال من فكرة الآخر بل الإصغاء إليها والرد عليها سلماً أم إيجاباً حيث يقنع ويقنع، يسأل ويجيب في حوار فكري متسامح.

قال تعالى: ((...)) (يونس، 99)

قال تعالى: ((...)) (يونس، 108)

• التطابق بين النظر والتطبيق: فالفكر التربوي الإسلامي تتفق فيه المعرفة مع العمل والنظر مع التطبيق والإدراك الحسي مع الإدراك العقلي، والإنسان مع البيئة، فالتفاعل بين كل هذه الأطراف أصيل وهو أصل الحياة.

وتأتي دراسة الفكر التربوي الإسلامي، في كل مرحلة من مراحل التاريخ لتكمن الدارس من الوقوف على أفضل الأساليب وأجداها، في إعادة صياغة العقل الإنسان المسلم في ضوء التغيرات، بدلا من الوقوف جامدا حيال ما يجري حوله من أحداث. وعلى الرغم من أن لكل مجتمع من المجتمعات، فكره التربوي الخاص به وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لآخر، إلا أن المتفحص لمنهاجنا التربوية في العالم العربي يجدها في كثير من جوانبها متأثرة بالفكر الغربي.

وقد نتج عن ذلك معاناة الواقع التربوي العربي الإسلامي، من الإزدواجية الخطيرة الناتجة عن التبعية وفقدان الأصالة والذاتية، التي ولدتها العلمانية في جميع مظاهر الحياة واتخذت لها أبعاد خطيرة أدت إلى الثنائية والانشطار في الكيان الاجتماعي والفكري.

1- سيد قطب

من أشهر رواد التربية في الفكر الإسلامي المعاصر والذين جاهدوا بقلمهم وتحملوا المصاعب والمحن، وأسألوا الحبر الكثير من أجل قضايا الإسلام ودفَعوا أرواحهم الزكية ثمنا وتضحية لأفكارهم، و كتاباتهم نذكر سيد قطب .

فمن هو سيد قطب ؟

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية (موشة) إحدى قرى محافظة أسيوط في 9-10-1906، نشأ في أسرة متدينة وكان لأبويه أثر كبير في تنشئة، حيث تركا لمساتهما على الكثير من جوانب شخصيته وغرسا فيه الإيمان والطهر والعفاف، فوالده كان صالحا ملتزما يرتاد المساجد للصلاة، ووالداته كانت محافظة على دينها مؤدية لفرائض الإسلام متصلة بالقرآن، وأثرت هذه التربية في نفسه، فنشأ على تعاليم الإسلام وكان حريصا على أداء الصلوات في المساجد وهو طفل صغير. (الخالدي، 1981 ، 15-55)

كان سيد قطب رجلا أسمر اللون، أجعد الشعر لا هو بالبدين ولا هو بالنحيل، يميل إلى القصر منه إلا الطول، رقيق الإحساس لطيف المشاعر، متواضعا وشجاعا حاضر البديهة سليط اللسان في نقده، شغوبا بحب المعرفة. (فضل الله ، 1978 ، 42)

أخلاقه وصفاته :

جمع سيد قطب العديد من السمات النفسية والفكرية والخلقية الحسنة، كان أبرزها المثابرة والإجتهاد والنشاط الدؤوب، تمتعه بذاكرة قوية متقدة، و غيرته الشديدة على دينه الجود والعطاء والإيثار والتضحية الإنفتاح على المفكرين، والأبناء والإعلاميين، الجرأة في قول الحق، وعدم المهادنة فيه، الثبات على المبدأ والإصرار على الحق، الإستعلاء على المساومات والإغراء، والزهد في متاع الحياة، الصبر على المحن والرضاء بقضاء الله (الخالدي ، 1999 ، 124 ، 129)

من أبرز الشخصيات التي أثرت على فكر سيد قطب :العقاد ،حيث بدأت صلته به في وقت مبكر من حياته، فما أن وطأت قدماه القاهرة وبدأ يتعرف على من فيها، وجد نفسه في مكتبة العقاد الضخمة وكان العقاد علما من أعلام الأدب، والمعرفة والثقافة وقد أسس مدرسة متميزة كان هو رائدها.

شخصيته العلمية وآراؤه التربوية :

أقبل قطب على حفظ القرآن، وهو في السنة الثانية الابتدائية عمره ثمان سنوات وبعد ثلاث سنوات أتم حفظ القرآن كاملا، وكان يتحدى من يواجهه ويطلبه أن يمتحن حفظه وأن يسمع له ما يشاء من السور والآيات .

التحق سيد قطب بكلية العلوم عام 1929 وتخرج منها عام 1933 يحمل شهادة البكالوريوس في الآداب .

وتميزت حياته العلمية بالثراء والتنوع، كأديب وناقد ومفكر، ومربي وكان مولعا بالقراءة وهو صغير، يتردد على بائع الكتب في القرية يدعى (عمي صالح) وكان سيد زبونا ممتازا عنده، يعرفه جيدا ويحتفظ له بأجود الكتب، ولم يكن لييخل على الكتب بالمال مهما إرتفع سعرها . (نفس المرجع ، 15)

يعتبر سيد قطب أن المنهج الإسلامي في التربية، يقوم على أساس إرساء التصور الإعتقادي وجعله المحرك الأول والأكبر في النشاط الإنساني .

تمثل العقيدة الإسلامية أصل الحياة الكبير، الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير وتنطلق منه كل ثمرة من ثماره .

وقد جاءت السنة النبوية لتؤكد على أهمية العقيدة في التربية، حيث كانت تربيته صلى الله عليه وسلم لأصحابه، مبنية على أسس عظيمة وأصول كبيرة، أولها العقيدة الصحيحة التي حواها القرآن الكريم، بما فيها من الآيات، التي تدعو إلى التوحيد. ويرى سيد قطب أن المنهج الإسلامي في التربية يربط بين العبادة، وحقائق العقيدة في الضمير ويجعل العبادة وسيلة لاستحياء هذه الحقائق، وإيضاحها وتثبيتها في صورة حية تتخلل المشاعر، ولا تقف عند حدود التفكير.

وقد ثبت أن هذا المنهج وحده، هو أصلح المناهج لإحياء هذه الحقائق ومنحها الحركة في عالم الضمير، وعالم السلوك وإن الإدراك النظري وحده لهذه الحقائق، لا يحركها حركة دافعة في حياة الفرد ولا في حياة الجماعة.

يعتبر سيد قطب أن الدين حاجة فطرية في النفس البشرية، كحاجة الطعام والشراب لحفظ الذات وحاجة النسل لحفظ النوع سواء، وليس الطعام والشراب والمسكن و الجنس هي كل مطالب الإنسان الأساسية، فهناك مطالب الروح وحرية الفكر، والعقيدة هي مطالب أساسية بل هي أعلى في الاعتبار من طالب الطعام والشراب و الجنس، لأنها هي المطالب الزائدة في الإنسان على الحيوان، وهي التي تعزز إنسانيته و بإهدارها تهدر إنسانيته . (أبودف، 2002، 18)

ومن خلال الفقرة السابقة يبدو لي كمتصفح لأفكار سيد قطب أنه تغلب على أزمة السجن وسجانيه، وتخلص منها بل سما بفكره وروحه عن مطالب جسده الحيوية ، ووجد حرته وصالته في امتلاكه لفكره ولعقيدته، التي أعدها مطلب أساسيا للحياة ، بل واعتبرها مكسبا لا يمكن أن يتحكم فيه سجانوه، لأنها رابطة تشد الإنسان بالخالق فقط وما عداها من الحاجات فهو مشترك بينه وبين باقي الحيوانات، وهي الفارق الحقيقي الذي يميز الإنسان عن الحيوان، وكأن السجن نوع من الخلوة مع الذات، والفكر، وتربية الروح و التفرغ للعبادة التي خلق الإنسان من أجلها، ومجال للإبداع والتفكير والتدبر في آيات القرآن، شحذ للإيمان، وهي رؤية تزهد في الحياة المادية، ويرقى بها الإنسان إلى المثالية ولعلها كانت القوة التي حافظت على عنفوانه وكبريائه وعلو خلقه، إلى أن تم تطبيق حكم الإعدام فيه.

المكانة المادية بينهم، والكسب من الماديات الزائلة ويعيب عليهم هذا المقياس تماشيا مع قوله صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.)) والجاهلية كما يراها سيد قطب عبارة عن منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر، وقد عبر عن هذا الواقع السلبي في حياة المسلمين الإجتماعية والثقافية، ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أخبر أصحابه قائلاً لهم : ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)) (...). إن منهج قطب في التغيير، قائم على الإعتدال والتوازن بعيداً عن التعصب الأعمى، والانعلاق السلبي على الرغم من إقراره بفساد الواقع المعاش، ومقاربتة بالواقع الجاهلي والذين سبق الإسلام لاصطدامه مع دين الله. (أبوف ، 2006 ، 25)

قال تعالى : ((﴿۱﴾ ﴿۲﴾ ﴿۳﴾ ﴿۴﴾ ﴿۵﴾ ﴿۶﴾ ﴿۷﴾ ﴿۸﴾ ﴿۹﴾ ﴿۱۰﴾ ﴿۱۱﴾ ﴿۱۲﴾ ﴿۱۳﴾ ﴿۱۴﴾ ﴿۱۵﴾ ﴿۱۶﴾ ﴿۱۷﴾ ﴿۱۸﴾ ﴿۱۹﴾ ﴿۲۰﴾ ﴿۲۱﴾ ﴿۲۲﴾ ﴿۲۳﴾ ﴿۲۴﴾ ﴿۲۵﴾ ﴿۲۶﴾ ﴿۲۷﴾ ﴿۲۸﴾ ﴿۲۹﴾ ﴿۳۰﴾ ﴿۳۱﴾ ﴿۳۲﴾ ﴿۳۳﴾ ﴿۳۴﴾ ﴿۳۵﴾ ﴿۳۶﴾ ﴿۳۷﴾ ﴿۳۸﴾ ﴿۳۹﴾ ﴿۴۰﴾ ﴿۴۱﴾ ﴿۴۲﴾ ﴿۴۳﴾ ﴿۴۴﴾ ﴿۴۵﴾ ﴿۴۶﴾ ﴿۴۷﴾ ﴿۴۸﴾ ﴿۴۹﴾ ﴿۵۰﴾ ﴿۵۱﴾ ﴿۵۲﴾ ﴿۵۳﴾ ﴿۵۴﴾ ﴿۵۵﴾ ﴿۵۶﴾ ﴿۵۷﴾ ﴿۵۸﴾ ﴿۵۹﴾ ﴿۶۰﴾ ﴿۶۱﴾ ﴿۶۲﴾ ﴿۶۳﴾ ﴿۶۴﴾ ﴿۶۵﴾ ﴿۶۶﴾ ﴿۶۷﴾ ﴿۶۸﴾ ﴿۶۹﴾ ﴿۷۰﴾ ﴿۷۱﴾ ﴿۷۲﴾ ﴿۷۳﴾ ﴿۷۴﴾ ﴿۷۵﴾ ﴿۷۶﴾ ﴿۷۷﴾ ﴿۷۸﴾ ﴿۷۹﴾ ﴿۸۰﴾ ﴿۸۱﴾ ﴿۸۲﴾ ﴿۸۳﴾ ﴿۸۴﴾ ﴿۸۵﴾ ﴿۸۶﴾ ﴿۸۷﴾ ﴿۸۸﴾ ﴿۸۹﴾ ﴿۹۰﴾ ﴿۹۱﴾ ﴿۹۲﴾ ﴿۹۳﴾ ﴿۹۴﴾ ﴿۹۵﴾ ﴿۹۶﴾ ﴿۹۷﴾ ﴿۹۸﴾ ﴿۹۹﴾ ﴿۱۰۰﴾ ﴿۱۰۱﴾ ﴿۱۰۲﴾ ﴿۱۰۳﴾ ﴿۱۰۴﴾ ﴿۱۰۵﴾ ﴿۱۰۶﴾ ﴿۱۰۷﴾ ﴿۱۰۸﴾ ﴿۱۰۹﴾ ﴿۱۱۰﴾ ﴿۱۱۱﴾ ﴿۱۱۲﴾ ﴿۱۱۳﴾ ﴿۱۱۴﴾ ﴿۱۱۵﴾ ﴿۱۱۶﴾ ﴿۱۱۷﴾ ﴿۱۱۸﴾ ﴿۱۱۹﴾ ﴿۱۲۰﴾ ﴿۱۲۱﴾ ﴿۱۲۲﴾ ﴿۱۲۳﴾ ﴿۱۲۴﴾ ﴿۱۲۵﴾ ﴿۱۲۶﴾ ﴿۱۲۷﴾ ﴿۱۲۸﴾ ﴿۱۲۹﴾ ﴿۱۳۰﴾ ﴿۱۳۱﴾ ﴿۱۳۲﴾ ﴿۱۳۳﴾ ﴿۱۳۴﴾ ﴿۱۳۵﴾ ﴿۱۳۶﴾ ﴿۱۳۷﴾ ﴿۱۳۸﴾ ﴿۱۳۹﴾ ﴿۱۴۰﴾ ﴿۱۴۱﴾ ﴿۱۴۲﴾ ﴿۱۴۳﴾ ﴿۱۴۴﴾ ﴿۱۴۵﴾ ﴿۱۴۶﴾ ﴿۱۴۷﴾ ﴿۱۴۸﴾ ﴿۱۴۹﴾ ﴿۱۵۰﴾ ﴿۱۵۱﴾ ﴿۱۵۲﴾ ﴿۱۵۳﴾ ﴿۱۵۴﴾ ﴿۱۵۵﴾ ﴿۱۵۶﴾ ﴿۱۵۷﴾ ﴿۱۵۸﴾ ﴿۱۵۹﴾ ﴿۱۶۰﴾ ﴿۱۶۱﴾ ﴿۱۶۲﴾ ﴿۱۶۳﴾ ﴿۱۶۴﴾ ﴿۱۶۵﴾ ﴿۱۶۶﴾ ﴿۱۶۷﴾ ﴿۱۶۸﴾ ﴿۱۶۹﴾ ﴿۱۷۰﴾ ﴿۱۷۱﴾ ﴿۱۷۲﴾ ﴿۱۷۳﴾ ﴿۱۷۴﴾ ﴿۱۷۵﴾ ﴿۱۷۶﴾ ﴿۱۷۷﴾ ﴿۱۷۸﴾ ﴿۱۷۹﴾ ﴿۱۸۰﴾ ﴿۱۸۱﴾ ﴿۱۸۲﴾ ﴿۱۸۳﴾ ﴿۱۸۴﴾ ﴿۱۸۵﴾ ﴿۱۸۶﴾ ﴿۱۸۷﴾ ﴿۱۸۸﴾ ﴿۱۸۹﴾ ﴿۱۹۰﴾ ﴿۱۹۱﴾ ﴿۱۹۲﴾ ﴿۱۹۳﴾ ﴿۱۹۴﴾ ﴿۱۹۵﴾ ﴿۱۹۶﴾ ﴿۱۹۷﴾ ﴿۱۹۸﴾ ﴿۱۹۹﴾ ﴿۲۰۰﴾)) . (الأنفال ، 53)

ويعقب قطب على الآية قائلاً: إن من عدل الله في معاملة العباد، أن لا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم ،ويبدلوا سلوكهم ويقبلوا أوضاعهم ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه، للإبتلاء و الإختبار من النعمة التي لم يشكروها ومن الجانب الآخر، يكرم هذا المخلوق الإنساني حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدري في حياة الإنسان مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم وسلوكهم، وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم ، ومن هذا الجانب يتبين فاعلية الإنسان في مصير نفسه وفي مصير الأحداث من حوله .

(قطب، 1980 ، ج 5 ، 1536 ، 1535)

أسباب فساد فطرة الإنسان وانحرافها:

يتحدث قطب عن فساد الفطرة وانحرافها، ويعلل ذلك بخروج الإنسان بنظام حياته عن قاموس الكون، وخواء حياته من مناهج الله، الذي يسبق حركة الإنسان والكون الذي يعيش فيه ومن ثم يعاني من خواء الروح والشقاء والاضطراب.

ثم أفرج عنه عام 1964 بعفو صحي، عاش بعدها شهور خارج السجن ثم إعيد إليه سنة 1965 بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم، ثم نفذ في حقه الإعدام بتاريخ 1966/08/29.

(الخالدي، 16، 17)

ترك سيد قطب تراثا واسعا في الأدب والنقد والفكر الإسلامي، على رأسها تفسيره في ظلال القرآن الذي اعتبره مفسرا مجددا و رائداً للفكر الإسلامي الأصيل.

2- عبد الرحمن الكواكبي :

إننا نشهد في عصرنا هذا الذي نعيش فيه العديد من الأمم التي امتلكت بعد تحررها وثوراتها ناصية حاضرها، ومفاتيح مستقبلها تبحث في ماضيها وتراثها، وعند ما يعوزها المجد الحقيقي، لفقر تراثها وقصر عمرها الحضاري، نجدها تنفخ في الصغير ليكبر، وفي الضعيف ليقوى والزيغ ليلبس ثياب الجيد والمجيد، لأنها تريد لجيلها الحاضر وأجيالها المستقبلية زادا من هذا التراث يعينها على المستقبل، ويشحنها بشحنات من المجد والعزة تدلل أمامها صعاب الحياة، وأخطار الريادة والبناء .

(محمد عمارة، 1988، 9)

ولعل من أفاذ وجهابذة عصر الفكر والتنوير العربي، مفكرنا عبد الرحمن الكواكبي الذي ولد سنة 1854 (...) وعندما بلغ الكواكبي العام السادس من عمره توفيت والدته إلا أن خالته صفية قامت بدور هام في تعويضه عن فقد أمه المبكر، فحضنته ثلاثة أعوام عندها بمدينة " أنطاكية "، وكانت سيدة فاضلة استفاد الكواكبي من كبر عقلها ونفسها الشئ الكثير، كما قامت بتعليمه اللغة التركية، التي أجاد تعلمها فيما بعد (...). وأضاف إليها تعلم الفارسية فضلا عن اللغة العربية، التي بلغ فيها المستوى الذي يصبوا إليه رواد الفكر العربي و نابغوه (...). ثم أنتظم في المدرسة الكواكبية التي شهدت والده مدرسا ومديرا.

(نفس المرجع، 20)

عاش مناضلا ومجاهدا بقلمه لتنوير الرأي العام، ضد الحكم التركي وكان ثريا ولكن متحررا في فكره ومبادئه، تدرج في مناصب الدولة الحاكمة، حتى أصبح في سنة 1881 مديرا فخريا للمطبعة الرسمية بحلب، ثم عضوا بمحكمة التجارة، ومناصب أخرى في

الدولة ليستقبل من كل هذه المناصب ويتفرق لمعالجة مظالم وقضايا الناس ضد الإدارة العثمانية (...). ليستقره الحال أخيرا في مصر.

لقي الكواكبي في مصر متنفسا لأفكاره وآرائه وزادا جديدا لعبقريته (...). وجد فيها مجتمعا خصبا من الثوار والمتقنين والعلماء أمثال : رشيد رضا، محمد الكرد علي إبراهيم سليم النجار وطاهري الجزائري، وعبد القادر المغربي (...). ممن تتلمذوا على يد جمال الدين الأفغاني . (محمد عمارة، 37)

أستأجر العثمانيون باسطنبول أحد عملائهم الذي حضر إلى القاهرة ، ودس السم للكواكبي فأدرسته الوفاة الفجائية يوم الخميس 6 ربيع الأول سنة 1320 هـ ، 4 يونيو 1902 ، فأصاب الحزن بل الذهول كل الأحرار والمناضلين، لا في القاهرة فحسب بل في مختلف أنحاء الوطن العربي الكبير ، وكتب الناس على قبر الكواكبي (الشهيد) .
فهكذا يرحل العظماء فتكون حياتهم حسرة ونكدا على أعدائهم ، ورحيلهم عن الدنيا بداية لتمرد وتأجج للأفكار المتحررة، التي يأبى نورها وتجدها الإطفاء والأفول .
كتب على قبره شاعر النيل حافظ إبراهيم بعد تحويل جثمانه:

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم ، هنا خير كاتب
قفوا واقروا أم الكتاب وسلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكب
مما قاله الكواكبي ضد الاستبداد :

لو كان الاستبداد رجلا لانتصب قائلا :

أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة ،وعشيرتي الجهالة
ووطني الخراب أما ديني وشرفي وحياتي فالمال، المال، المال ، (...). الكواكبي .

(نفس المرجع، 81)

رأيه في التجديد الديني :

الإسلام دين فطرة وهو مبني على الفعل المحض ، والقرآن لا يكلف الإنسان الأذعان
لشئ فوق العقل، بل يحذره وينهاه عن الإيمان، إتباعا لرأي الغير أو تقليد للآباء وما
أحوج الشرقيين أجمعين إلى حكماء لا يبالون بغوغاء العلماء، الغفل الأغبياء والرؤساء
القساة الجهال، يجددون النظر في الدين فيعيدون النواقص المعطلة ويهذبونه من الزوائد
الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين يتقدم عهده ،فيحتاج إلى مجددين يرجعون به إلى
أصله المبين .

وكان عالماً يستشعر دوافع العالم العربي الذي جنى فاتورة عقوله الخاملة وأفكاره الجامدة، كالماء الراكد الذي فقد خواصه وطعمه وتجديده، فبات لا يصلح إلا شرباً للحيوان دون الإنسان عكس ما هو عليه الحال في المياه الجارية بالأنهار والجداول دائمة التجديد.

عبد الرحمن الكواكبي والتربية :

الإقناع في التربية خير من الترغيب ... فضلا عن الترهيب ... والتعليم مع الحرية بين المعلم والمتعلم خير من التعليم ... والتعليم عن رغبة في التكمّل أرسخ من العلم الحاصل طمعا في المكافأة أو غيره من الأقران ... والتربية : تربية الجسم وحده إلى سنتين وهي وظيفة الأم وحدها، ثم تضاف إليها تربية النفس إلى السابعة وهي وظيفة الأبوين والعائلة معا، ثم تضاف إليها تربية العقل إلى البلوغ وهي وظيفة المعلمين والمدارس ثم تأتي تربية المقاربة، وهي وظيفة الزوجين إلى الموت أو الفراق، ولا بد أن تصحب التربية بعد البلوغ تربية الظروف المحيطة، وتربية الهيئة الاجتماعية، وتربية القانون أو السير السياسي، وتربية الإنسان نفسه. الكواكبي . (محمد عمارة ، 129)

ومما يقول محمد عمارة، أننا نستطيع أن نقول، دون أن نتهم بالمبالغة أن الأفكار والآراء التي كتبها الكواكبي، والتي يمكن أن تجمع تحت عنوان التربية جديرة بأن تكون موضوعا لرسالة ينال صاحبها درجة الماجستير أو الدكتوراه ، وهذا طبعا لكثرة هذه الآراء والأفكار، وتنوعها وغناها بما هو عبقرى ومفيد، في هذا الباب كما نستطيع أن نقول أيضا أن الكواكبي، الذي عاش وكتب منذ قرن من الزمان، عندما يكتب عن التربية فإنه يتحدث بلغة عصرنا نحن، بل وبأحدث المفاهيم التي ندرسها اليوم .

أسس يجب اعتمادها في تربية الجيل الجديد:

- 1- يؤمن الكواكبي بأن التربية عملية اجتماعية ، تلعب فيها الظروف المحيطة والملابسات التي تكتنف حياة الشباب ، دورا حاسما وأساسيا سواء في تقدمها أو في إعاقته عن بلوغ الأهداف .
- 2- يدعو الكواكبي فلاسفة التربية ورجال التعليم إلى إقناع الشباب ، والناس عموما والاعتماد على التسويق كسبيل لهذا الإقناع والاقناع .
- 3- الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين أربع مراتب :

- العامة: ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة
- المهذبون : ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة
- العلماء: ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية
- البالغون: ومعلموهم الأفاضل المتخصصون.

4- كما يلفت الكواكبي الأنظار إلى ضرورة التخطيط للتربية والتخيرات الواعي لأنواع المعارف التي نربي بها الشباب.

مما قاله الكواكبي في تربية المرأة:

إذا كان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في أخلاق البنين والبنات أمرا واضحا غني عن البيان، فإن سوء تأثيره على أخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول: إن الرجال ميالون بالطبع إلى زوجاتهم ، والمرأة اقدر مطلقا في ميدان التجاذب للأخلاق، ولا يتوهم عكس ذلك إلا من استحکم فيه تغرير زوجته له، بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لإرادته، حال كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامه كيف شاءت وبتعبير آخر يغره انه أمامها وهي وراءه تتبعه، فيضن انه قائد لها والحقيقة التي يراها كل الناس من حولهما دونه، أنها إنما تمشي وراءه بصفة سائق، لا تابع ! والى جانب ما في هذه الصورة من طرافة وتعبير تصويري جميل فان فيها حقيقة موضوعية تعيش في كثير من الأوساط، ويعيشها كثير من الناس !.

(محمد عمارة، 138)

ومن القضايا الهامة التي أثارها الكواكبي عن اللغة العربية في التربية: ((إن المستشرقين كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الإسلام العرب ، مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله ، وما ذلك إلا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الإفريقية بأصول التعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا، وهذه القضية لا تزال مطروحة دون حل إلى الآن .

من أسباب فتور الأمة الإسلامية عند الكواكبي، ومن أعظم أسباب فقر أمتنا أن شريعتنا بنيت على أن في أموال الأغنياء حقا معلوما للبائس والمحروم ، لكن حكوماتنا قد قلبت الموضوع ، فصارت تجني الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء ، وتحابي بها المسرفين السفهاء، وهو حال الكثير من الحكومات والأنظمة العربية ، التي تهرع عند وقوعها في الأزمات الاقتصادية إلى تلمس جيوب البسطاء الفقراء عبر زيادة الضرائب

والإتاوات..؟ وكان الرجل يستشرف واقع العالم العربي قبل ثلاثة أرباع القرن؟ ويعيش بين أظهر الناس ونجد إيمان الكواكبي الذي لا يحد بضرورة بل بحتمية نهوض هذه الأمة قد يجعله يفضل تعبير (الفتور العام) كوصف لمشاكل هذه الأمة ونواقصها يفضي دلالة على تفاؤل هذا الرجل وإيمانه بالمستقبل المشرق لهذه الأمة وهذا الوطن الكبير .

والفتور يحمل معنى التهاون والتراجع ولا يعني الاستسلام، وفقدان الأمل رغم الضعف ولكنه يوحي إلى مرحلة تراخي قد تعود من خلالها الأمة إلى عنفوان قوتها، وصدارتها ما إن استفاقت من سباتها وخمولها عبر إيقاظ معالم الفكر، والعقل لأبنائها وفسح المجال لنبغائها وإعطاء الراية القيادية لأهل العلم كما قال الشاعر:

ما لفضلٍ إلا لأهلِ العلمِ إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يُحسُّهُ والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداء
فقم بعلمٍ ولا تطلب به بدلاً فالناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياء”

لقد كان الحكم العثماني آنذاك ، في عصر الكواكبي ، جاثما على مقاليد ومصائر الأمة العربية وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في مرحلة ضعفه وحضارته أتاح هذا الحكم المجال للمفسدين فيه بأن يطفوا ويتجبروا ويزيحوا كل شعلة عالم عن الطريق، وينشروا ثقافة الاستبداد التي حاربها الكواكبي في حله وترحاله عبر قملة وأفكاره ،فتشكل لديه فوبيا الاستبداد، - إن صح تعبيرى - حتى وصل إلى قوله: لقد تمحص عندي أن أصل الداء (هو الاستبداد السياسي ودواؤه هو الشورى الدستورية ..)

ومن أبرز مؤلفات الرجل :

• أم القرى

• طبائع الإستبداد

3- الفكر التربوي عند مالك بن نبي:

نبذة عن حياة الرجل:

هو مالك (صديق) بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي ولد في 01 جانفي 1905 الموافق لـ 05 ذو القعدة 1323 هـ بمدينة قسنطينة وهو رجل يميل في قامته إلى الطول، غير بدين لم يكتمل الشيب في رأسه بعد ، وإن كان الوقار سمته، رقيق الحاشية متوقد العينين يطل بهما من وراء نظارته الطبية بادي الإعتناء بهندامه، إن لم نقل التأنق

وقد يكون مختلفا في هذا، مع الكثيرين من أمثاله من كبار المفكرين الذين يهملون مظهرهم في الغالب، إذا تحدث انفعلا هادئا مع حديثه، ويذا كمن يلد أفكارا أو يتمخض عنها، إلا أن جوابه حاضرا دون شرود، إذ تكفيه الاطلاقة الواحدة العجلى لدى مفاجأته بسؤال ما حتى يرفع وجهه إليك ثانية، ويعطيك الجواب الفاصل، يستخلص المعنى الكبير، من المشهد الصغير، بل يستخلص القانون العام من المحادثة العادية (...) إن الجالس إليه يحس مباشرة بأنه أمام مفكر كبير شمولي النظرة، واسع التجربة عالمي الثقافة، يشرف على الأمور والمشكلات، إشراف يطل عليها من شاهق ولا ينظر إليها من جانب أو من تحت (...) وهكذا يتاح له أن يحلل ويركب، وان يحيط بالكليات والجزئيات معا، وان يربط الأسباب بالنتائج وأن يعطيك في النهاية الحكم السديد والرأي الناضج العميق الذي لا تحس معه بأية سطحية أو ابتسار . (إبراهيم العاصي، 2003)

العوامل المؤثرة في فكر مالك بن نبي :

1- عوامل التنشئة الأسرية: لقد كان للظروف الأسرية التي عاشها بن نبي تأثيرا في تكوين شخصيته، بداية من جدته التي قوت مخياله بمختلف الأحاجي والحكايات الداعمة للقيم الأخلاقية الإسلامية، وكذا التعليم الأولي الذي زاوله بن نبي في مختلف الكتاتيب القرآنية لحفظ القرآن الكريم، كان خلفية بارزة نمت عبرها توجهه الديني وصقل ملامح مستقبلية لشخصية مالك بن نبي .
قال مالك بن نبي: ((إن ضميري تكون في تلك المدرسة على وجه الخصوص إنما كشفت لي عملية استقصاء عن الباطن وأنا ابن الثلاثين من العمر)).

(نورة السعد 1997 ، 29)

لقد كان للظروف المعيشية الاجتماعية والاقتصادية وثقافة المجتمع آنذاك الذي يخضع لحكم الاستعمار الفرنسي تأثيرا كبيرا في إيقاد فكر مالك بن نبي، ورفضه لما يراه من احتقار وتهميش وتجهيل لأبناء وطنه، عاش ابن نبي ظروفًا أقل ما يقال عنها أنها قاسية رغم اهتمام والديه وجدته بتكوينه وتعليمه كونه الطفل الذكر الوحيد للأسرة، كما نجد ممن أثروا في تشكيل شخصية بن نبي إضافة إلى امتدادها الإسلامي، زوجته الفرنسية المسلمة التي زودته بالاطلاع على معالم الثقافة الأوروبية المتطورة وفي هذا يقول :

إن الاستعدادات التي تدفعني إلى هذا الموقف كانت أصيلة في نفسي، وإنما وجودي في فرنسا ومعاشتي لزوجتي طورت هذه الاستعدادات الوراثة إلى أفكار اجتماعية خاصة . وفي واقع الحال أن التمازج والاندماج بين الخلفية العربية الإسلامية الجزائرية لشخصية مالك وانبهاره بالحضارة الأوروبية والثقافة الغربية عبر زوجته خديجة، جعل الرجل يبدع فكرا جديدا وتنويرا لم يألفه العالم من قبل حول الحضارة وقيمها، وكيفية تأقلم العالم الثالث والعربي الإسلامي على الخصوص، للالتحاق بركب الدول التي تصدرت التاريخ الجديد بفضل امتلاكها للقوة الاقتصادية والعلمية التي بنتها وشيدتها على أسس الأفكار العلمية المتجددة واحتكرتها بالعالم الأوربي، والعربي عامة دون إتاحة ذلك إلى باقي دول العالم الثالث التي رضت بالتبعية لها، والخضوع إلى سيادتها ؟ دون أن تعقد العزم وتسعي إلى تفعيل كوامن القوة لديها، المتمثلة في العقل البشري، فتكون لها فضاء ومكانة خاصة لها بين الأمم، وتنال الحظوة والحق في العيش الكريم كأبناء الأمة الغربية.

ونجد الكثيرين ممن كان لهم الفضل في تكوين شخصية مالك بن نبي على رأسهم الشيخ الطيب العقبي، وهو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين والفاعلين لفترة تاريخية معتبرة، مجاهدا بقلمه ولسانه .

أما أكاديميا:

فقد كان ل:د . حمودة بن ساعي : تأثيرا عميقا في بناء شخصية مالك بن النبي النفسي الفكري منذ أن تعرف عليه في فرنسا أثناء تحضير حمودة بن ساعي لشهادة الدكتوراه حول الإمام الغزالي في جامعة السوربون (...). وكان مالك بن نبي يطلق عليه صفة (معلمي) تقديرا له ولدوره في تكوينه الفكري وتشجيعه له لكتابة أول مقالة له بعنوان " لماذا نحن مسلمون " . (ميهور العابد، 70)

وممن أثروا في فكر مالك بن نبي نجد أيضا:

الشيخ عبد المجيد حيث قال فيه: (وفي سنة 1920 تلقيت من الشيخ عبد المجيد أول أسس الثقافة العربية، لقد تعلمت تصريف الأفعال والتمييز بينها وحفظت شيئا من الشعر).

(مالك بن نبي، 1984 ، 18)

وهذا الشيخ بدوره كان ينتقد المجتمع من حيث لجوئه للبدع والخرافات السائدة في المجتمع الجزائري والذي كان يذكىها المستعمر من أجل ضمان بقاء هيمنته، على عقول

الجزائريين، في حيز قوامه الجهل والأمية بذلك نجد الشيخ مولود موهوب، وهو أستاذ التوحيد والسيرة النبوية والشريعة وفي مدينة قسنطينة التي نشأ فيها بن نبي، ومثلت له عالما متمدنا ، يختلف عن مسقط رأسه بتبسة.

وممن أثروا في تكوينه من الغربيين:

1- المعلم الفرنسي (بوبريتي pobreiter) وهو أستاذ تاريخ العصور القديمة والأدب الفرنسي، بمدرسة سيدي الجلي، بقسنطينة وفيه يقول بن نبي، كان الأستاذ بوبري قد فتح لي أفقا جديدة ولم يكن ذلك بدروسه المقررة علينا كتاريخ الأزمنة القديمة والأدب الفرنسي، وإن تكن هذه قد تركت أثرا لا ينكر، إنما بفعل توجيهاته فيما نقرأ من كتب .

2- المعلم الفرنسي (ميسيو مارتان martin) وكان له الأثر الكبير في امتلاك مالك بن نبي ناصية اللغة العربية وتحسينه المطالعة بها وفيه يقول، لقد غرس الأستاذ (مارتان) في نفسي تذوق القراءة، ففي مساء كل سبت كان يعير الكتب للتلاميذ ، وقد أتاح لي ذلك أن أقرأ كل كتب (جول فيرون) وبعضا من روايات (الرداء والسيف) .

إن شخصية ابن بني الفكرية صقلتها الكثير من التيارات الفكرية المتحررة حيث كان ينجذب، وبدأت على قراءة ومطالعة وتذوق كل جميل ... حيث كان لكتابات وأراء مفكري النهضة العربية الإسلامية أيضا دورهم في قوة شخصيته مثلا : الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لـ أحمد رضا، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده وكذا كتاب، أم القرى، لـ عبد الرحمن الكوكبي وفيه يقول : ((أما كتاب أم القرى فقد عرفني بإسلام بدأ ينظم صفوفه ليدافع عن نفسه، ويقوم بحركة بعث جديدة أنه كتاب خيالي لكنه معبر يحمل شعورا بدأ يعمل في العالم الإسلامي على الأقل، في بعض الأنفس كالكوكبي لم أشك بأنه كتاب خيالي ولكن أثره في نفسي كان عميقا)) .

(مالك بن نبي، 1984، 53)

لقد نمتي مالك بن نبي شخصيته الفكرية الإبداعية بفضل تنوع قراءاته من الكتب إلى المجالات والجرائد والصحف، إذ كان لا يتوانى عن تقويت الفرصة في مطالعة ما تلمحه عينه ، أو يسمع عنه من مؤلفات أو محاضرات.

إن المكانة العلمية الإسلامية والعالمية التي وصل إليها مالك بن نبي وقدمتها أفكاره الجديدة حول علاقة الإنسان بالحضارة ، والتي حصرها بتفاعل الإنسان داخل المجتمع وفق صيرورة التاريخ، وبالعودة لشخصيته فهو مثال لهذا التحدي كما تشاء الأقدار في تشكيل العظماء، فحالة الفقر التي عاشها الرجل ومكونات البيئة الاجتماعية التي خرج منها ثم اصطدامه بقيم الحضارة الأوروبية، جعله يرفع روح التحدي ليثبت ان إمكانية تغيير حال الإنسان لحاله ممكنة جدا وهي وقف على ما يمتلك من إرادة وعزيمة وحسن تدبر، واجتهاد في استعمال وسيلة التحدي والتي يراها لا تخرج على منطلق العلم والأفكار، وهو في الحقيقة كان رأسمال الرجل حيث حقق حسن استثمار أفكاره ،مكانة جلبت القاصي والداني لتذوق إنتاجه الفكري حول قضية تهمة البشرية جميعا والإنسان المسلم على الخصوص، هي الحضارة والإنسان بكل أبعاده الروحية والمورفولوجية والوجدانية وكذا العقلية فالرجل يتأسف عن الحالة التي آل إليها الإنسان العربي المسلم حيث يرى مالك بن نبي أن في سقوط دولة الموحدين سقوط حضارة لفظت أنفاسها الأخيرة .

قراءة في أفكار بن نبي :

ويعتبر مالك بن نبي أن إنسان ما بعد الموحدين إنسان معتل، دخل في حالة مرضية بناء على تشخيصه للواقع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي ، وهي رؤية تتوافق مع رؤية الكواكبي في أن المجتمع العربي الإسلامي يعاني حالة فتور وهوان ، وأن هذه الحالة انتقلت إلينا وانتشرت بين كياننا كانتشار الجراثيم عبر الزمان والمكان وقد التصقت المورثات والجينات السلبية منذ أن تخلى إنسان الحضارة الإسلامية عن واجبه في تحمل رسالة الحضارة، مما جعل العفن الفكري يلاحق الأجيال الجديدة واللاحقة، ما لم تلد الأزمة الهمة ويستيقظ ضمير الإنسان المسلم، ويتدارك ما يمكن تداركه من مقومات الحضارة، إن قوة المجتمع من قوة أفراد، وما ينطوي عليه هذا الإنسان من طاقات هائلة هو الذي جعل مالك بن نبي يراهن على أن تحدي العقبات التي تتقدم وتعرض المجتمع الإسلامي هو أمر في متناول المسلم اليوم، وأن تغيير أوضاعه إلى الأفضل دائما يدخل في باب المستحيلات مؤكدا أنه "إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ".

إرادة التغيير والتربية في المجتمع الإسلامي :

لقد ركز مالك بن نبي في كتاباته كلها على الإنسان بكل مكوناته الروحية والجسمية والعقلية، والوجدانية والسلوكية، وحدد تكامل هذا المخلوق المستخلف في الأرض في تكامل وسمو مكوناته التي ذكرناها، إن فكرة تحدي الإنسان لواقعه التي أثارها مالك بن نبي وموافقته عليها كوسيلة للتغيير، ليست فكرة فضفاضة مجردة بل إنها تستمد كل مبرراتها من التاريخ ومن الواقع، كما أسلفنا إذ الفرق بين إنسان الحضارة، وحتى إنسان ما قبل الحضارة لا يكمن في البعد البيولوجي للإنسان الذي هو واحد، لا ولن يتغير بتغير أطوار التاريخ، ولا باختلاف الأعراف والأجناس، إنما الفرق يكمن في الأبعاد النفسية التربوية والاجتماعية التي تعبر على درجة ترفعه عن مستوى الحيوانية، وترقى به إلى مستوى الإنسانية هذا التغيير يدل من الناحية النفسية التربوية على درجة وقدرة ترويض غرائزه وتنظيمها بما يتناسب مع إنسانيته، ويدل من الناحية الاجتماعية على مستوى النضج الذي يمكن بلوغه، والذي يعكسه التحام شبكة علاقاته المؤسسة على الأهداف الموحدة وكذا الدوافع المشتركة، أي أنه ينعكس في درجة الفعالية والتوتر لدى هذا الإنسان . (محمد بغدادي ، 2006 ، 138)

إن المجتمع من خلال الأفكار ينتج أسباب البقاء والحياة والاستمرار، وإما مآله الزوال فالمجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه . (مالك بن نبي ، 1991 ، 198)

عند مالك بن نبي لا يتساوى التجديد الحضاري مع التكريس، فالتجديد الحضاري هو فاعلية ومبادرة تغير الإنسان والأفكار والأشياء، بما ينسجم مع القوانين والسنن في الطبيعة والإنسان لتوفير جميع الدوافع و الشروط ،لتحقيق الوجود الإنساني أما تكديس المنتجات من خلال استيرادها من حضارات أخرى فهذا يتنافى مع التجديد الحضاري والتحضر ، وسيكون من السخف والسخرية حتما أن تعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها.

إن الطبيعة الإنسانية تقف على نموذج ثلاثي القطب يتكون من الروح العقل والغريزة فصحة هذه الثلاثي تعكس حتما صحة المجتمع ومن ثمة حيويته وفعاليتها. يقول مالك بن نبي إن الإنسان في جميع أطوار التاريخ لا يتغير فيه شئ تتغير فعاليتها من طور إلى طور . (مالك بن نبي ، 1977 ، 131)

مفهوم التربية عند مالك بن نبي:

يقول مالك بن نبي، إن من أولويات واجباتنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي لذلك يجب أن نحددها (...) كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع .

(مالك بن نبي، 1992، 61)

ومن هنا يتأتى لنا تحديد مفهوم التربية عند مالك بن نبي والذي يدل على أنها عملية تنقيف متواصلة، وتتمثل عملية التنقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم، في أولى مهامها، بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد، أي في بنية إنسان ما بعد

الموحدين، وما بعد الحضارة . (محمد بغدادي، 2006، 217)

لقد عالج مالك بن نبي قضايا بالتربية من خلال مفهومي الحضارة و الثقافة ،من خلال أفكار جد متقدمة تلامس واقع العالم الإسلامي المتخلف، وتزيح اللثام عن مكنوناته

وأسباب تخلفه التي حيرت الجميع وحدد علته في إنسان ما بعد الحضارة الإسلامية (ما بعد الموحدين) فقد عالج مشكلة الحضارة ،عبر مفاهيم متسقة غابت ملامحها لعقود خلت لينظر عبر أفكاره المتقدمة ويفسح المجال لمن أراد استنهاض الهمة ،وامتلاك العزم ليشارك في دفع عجلة التطور من أبناء الأمة .

خلاصة:

ارتأينا منهجيا محاولين التدقيق في تتبع مسار التربية عبر التاريخ، وكان لزاما علينا مادامنا نبحت عن حقيقة الفكر التربوي الإسلامي، أن نعاين هذا المفهوم عبر الخلفية التي أستمد منها تميزه وقوته، وأصل من خلالها لتواجده، وبنى عليها أسسه، فكان القرآن الكريم المنبع والأصل الأول لهذا الفكر التربوي، عبر منهجه الرباني، وأهدافه الواضحة والمتكاملة والشاملة المهمة أساسا بكل أبعاد تواجد الإنسان، وبأساليب تربوية غاية في الفعالية والدقة متماشية وملائمة لكل زمان ومكان، مراعية لطبيعة البشر والفطرة التي خلق عليها، ثم عرجنا لدراسة الأصل الثاني للتربية الإسلامية وهي السنة أو السيرة المحمدية، والأسس التي بنيت عليها وإن كانت في حقيقتها تطبيقا وترجمة للقرآن، جاءت على شكل أقوال وأفعال و سلوكات، رسخها رسول و نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، ثم تعرضنا لأهم خصائص الفكر التربوي الإسلامي، ثم اخترنا نماذج من جهاذة ومفكري وعلماء هذه الأمة، لنزكي بها دراسة هذا الفصل، ونستدل في المقاربة التي عالج بها هؤلاء كل على طريقته، هموم ومشاكل تخلف المجتمع العربي الإسلامي، ووقعوا على أسباب تردي الحضارة به والتي ما هي في الأصل إلا استسلام لضعف الإنسان المسلم، وعدم إعمال عقله وفكره الجامد المتواكل، ودهشته أمام تمثلات واستعراضات حضارة الغربيين، كما قدموا الحلول النافعة للخروج من المأزق الحضاري، التي عبرها يسترجع الإنسان المسلم زمام التحكم في ذاته ويسترجع ريادته بين الأمم .

- مصادر ومراجع الفصل باللغة العربية :

- القرآن الكريم .

- 1- أبودف ، محمود خليل ، مقدمة في التربية الإسلامية، مكتبة أفاق، غزة، 2007.
- 2- أبودف محمود خليل ، معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن ، الجامعة الإسلامية غزة ، 2002.
- 3- الألباني ناصر الدين، صحيح سنن بي ماجه باختصار السند، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، السعودية ، 1988 .
- 4- الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1955.
- 5- الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار المعارف ، مصر 1967.
- 6- البخاري الإمام عبد الله، صحيح البخاري، دار طوق للنجاة ، الرياض ، السعودية 2001.
- 7- الجمالي محمد فاضل، تربية الإنسان الجديد، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل تونس
- 8- الخالدي صلاح عبد الفتاح، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، دار القلم ، دمشق 1999.
- 9- السعدي داود سليمان ، أسرار الكون في القرآن الكريم ، دار الحرف العربي، الإمارات العربية المتحدة ، 1996.
- 10- العثيمين محمد بن صالح ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، الرياض السعودية 1994.
- 11- العميرة محمد حسن ، الفكر التربوي الإسلامي ، دار المسيرة ، عمان 2000.
- 12- الكيلاني ماجد عرسان ، تطور مفهوم النظرية التربوية ، دار ابن الكثير، دمشق ، 1985.
- 13- الكيلاني ماجد عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي سلسلة المنهجية الإسلامية ، ط 2 ، هيرندن ، فيرجينا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1994 .
- 14- المبار كفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة، 1991.
- 15- النباهين علي ، أصول التربية الإسلامية ، جامعة الأزهر ، غزة ، 1995.
- 16- النحلاوي عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1972.

- 17- النحلوي عبد الرحمن ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، المكتب الإسلامي بيروت ، لبنان ، 1985 .
- 18- النحلوي عبد الرحمن ، التربية بالآيات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان 1989
- 19- باي محمد بغدادي ، بحث في مفهوم التربية وطبيعتها علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي ، مستغانم ، الجزائر ، 2006.
- 20- بركات احمد لطفي، في الفكر التربوي الإسلامي، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض السعودية، 1982.
- 21- جيلاني بوبكر ، الإصلاح والتجديد لدى محمد إقبال ومالك بن نبي بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي، دار المعرفة، الجزائر، 2010 .
- 22- خالد السعد نورة ، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دراسة في بناء نظرية التربية ، ط1 ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، 1997.
- 23- خياط محمد ، التحدي في مجال التربية ، دراسات تربوية واجتماعية ، جامعة حلوان ع1 ، 1996 .
- 24- رجب إبراهيم عبد الرحمن ، منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (80) ، قبرص 1996.
- 25- رمزي عبد القادر هاشم ، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية دار الثقافة ، الدوحة ، 1984.
- 26- سعيد إسماعيل علي ، الفكر التربوي العربي الحديث ، مطابع الرسالة ، الكويت 1987
- 27- شديد محمد ، منهج القرآن في التربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1994 .
- 28- عائض بن عبد الله القرني ، التفسير الميسر ، ط2 ، دار العبيكان للنشر ، الرياض 2007.
- 29- عبد الحليم إسلام الرفاعي ، رؤية إسلامية تطبيقية في تعليم العلوم، عالم الكتب القاهرة ، 2002.
- 30- علي سعيد إسماعيل ، فلسفات تربوية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1995.
- 31- عمارة محمد ، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، ط 2 ، دار الشروق ، القاهرة 1988 .
- 32- فضل الله مهدي ، مع سيد قطب في فكر السياسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان 1978 .
- 33- قطب سيد ، طفل من القرية ، الدار السعودية للنشر ، جدة ، دت .

- 34- قطب سيد ، في ظلال القرآن ، ج 6 ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان 1980.
- 35- قطب سيد ، في ظلال القرآن ، ج 5 ، دار الشروق ، لبنان ، 1980.
- 36- قطب محمد ، مناهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1981.
- 37- مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1991.
- 38- مالك بن نبي ، تأملات ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 1977.
- 39- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، بإشراف مالك بن نبي ، ط 2 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 1984.
- 40- مالك بن نبي ، وجهات العالم الإسلامي ، ترجمة عبد الصبور شافعي ، ط 5 ، دار الفكر ، 1986 .
- 41- محمد فاضل الجمالي ، نحو تربية مؤمنة ، الشركة التوزيع ، تونس 1977.
- 42- محمود السيد سلطان ، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ ، دار المعارف ، القاهرة مصر 1979 ، 1967 .
- 43- محمود حوامدة مصطفى ، منهج القرآن في تربية الإنسان ، المؤتمر العربي الثالث المدخل المنظومي في التدريس والتعليم ، جامعة جرمن ، الأردن ، 2003.
- 44- ملك بدر محمد ، أبو طالب خليل محمد ، السبق التربوي في فكر الشافعي ، ط 1 ، مكتبة المنار ، الكويت 1989.
- 45- ميموني رشيد ، البعد الاجتماعي في القرآن ، مخبر علم الاجتماع للاتصال ، قسنطينة ، 2009 .
- الرسائل الجامعية:
- 1- العابد ميهوب ، الفكر التربوي عند مالك بن نبي ، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التربية ، جامعة بسكرة ، السنة الجامعية 2013/2014 ، الجزائر .
- المجالات :
- 1- فضيل عبد القادر ، مقال ، أعمال الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، 2002 .
- 2- من مقال مأخوذ للدكتور زعراط ، أعمال الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، 2002 .
- مراجع الفصل باللغة الأجنبية:
- 1- Maudoudi (abu alala) introduction to the quran montreal ,canada , ed, Islamic , cirel of nort America , p 19 (son date) .

-2 Malek .ben nabi les conditions de la renaissance problème
.d'une civilisation ed s.e.c . Alger 1992

الفصل الخامس: محمد الغزالي، الحياة والسيرة

تمهيد.

المبحث الأول:

محمد الغزالي : المولد ، النشأة و الوفاة.

المبحث الثاني:

محمد الغزالي : الحياة العلمية.

المبحث الثالث:

محمد الغزالي : محطات فكرية و مواقف تاريخية.

خلاصة.

المبحث الأول:

محمد الغزالي المولد والنشأة والوفاة

تمهيد:

قال د. طه جابر العلواني، حين يذكر الشيخ الغزالي يتبادر إلى الأذهان جملة خصال قل أن تتوافر كلها ، أو تجتمع بجمالها في عالم معاصر ومن هذه الخصال الحميدة :

1- الاجتهاد القائم على سعة الإسلام ومرونته ومقاصد شريعته وكليات مصادره وغاياته العليا .

2- السماحة والاعتدال اللذان ينبهان بوضوح إلى الفهم الدقيق لوسطية الإسلام والإدراك العميق لقيمه العليا (التوحيد، العمران، التزكية) والفقہ المستفيض في معيار الإسلام الأساس العدل، الذي انبثق منه الاعتدال وانشقت الوسطية

3- الغيرة الصادقة على الأمة التي انتمى إليها بعقله وقلبه ووجدانه فضلا عن دمه وجسده، غيرة صادقة على دينها وأرضها وعرضها وأبنائها وماضيها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها ووحدتها.

4- القدرة النقدية والطاقة العقلية ، والمعرفة المتنوعة الواسعة ، والذكاء الخارق اللماح ، المتطلعة على الدوام إلى معرفة الجديد ، والمزيد في كل ما من شأنه أن يخدم هذه الأمة وقضاياها المتشعبة

5- الحب والوفاء لربه ولنبيه ودينه وأمته، ورفاقه وتلامذته يساعده على ذلك قلب كبير نقي من الغل والحقد والبغضاء والكراهية، خالص الحب والوفاء.

وقال فيه صديقه ورفيق دربه الشيخ يوسف القرضاوي عرفت الشيخ الغزالي، فعرفت رجلا يعيش للإسلام، وللإسلام وحده لا يشرك به شيئا، ولا يشرك به أحدا من الإسلام لحمته وسداه ومصبحه و ممساه ،ومبدوؤه ومنتهاه .

وقال الشيخ عبد الرحمن شيبان :

لقد أبلى الإمام محمد الغزالي شبابه وأفنى عمره في سبيل الله على بصيرة ، ويجادل على دينه بالعلم الغزير، والكتاب المنير، ويدفع خصومه بالحجة الدامغة والحكمة البالغة ويرابط على ثغور المسلمين الحضارية، وسيلته عين ساهرة وأذن حاضرة وسلاحه قلم سيال، وفكر جوال، ولسان قوال، لقد جمع الله فيه كثيرا مما تفرق في غيره،

فمن هو محمد الغزالي الرجل الهمام والعالم المقدم ؟

1/ محمد الغزالي: المولد والنشأة

هو محمد الغزالي بن أحمد السقا، وقد سمي بهذا الإسم المركب " محمد الغزالي " نتيجة وصية أبي حامد الغزالي لأبيه في رؤية بالنام، وقد ولد يوم السبت 5 ذي الحجة 1335هـ الموافق لـ 22 سبتمبر 1917 م، من أب كان عابدا قواما مكافحا جلدا، بقرية (نكلا العنب) بمحافظة البحيرة بمصر، نشأ في أسرة محافظة، فأبوه حافظ للقرآن وله رفقة من فقهاء الكتاب، الشيء الذي أضفى بعض التعاون على ألا يضع ابنه الوقت سدى، حيث ألحقه بالكتاب في سن مبكرة في الخامسة من العمر، وسعى إلى أن يستظهر القرآن الكريم عن ظهر قلب حفظا متقنا، مما عجل بدفعه إلى المعهد في مدينة الإسكندرية، فاضطر والده إلى التنقل معه وبيع الدكان الذي كان يرتزق منه، وتعويضه بشراء مكتبة في الإسكندرية تباع الأوراق والكراريس والروايات المترجمة، والكتب المدرسية والعلمية، والقصص الشعرية، والأسفار الدينية المختلفة، هذه المكتبة التي لها دور بليغ في ثقافة الشيخ المبكرة لأنه كان منهوما بالقراءة، فوجد ضالته فيها مع ما يختاره له أبوه من كتب وعناوين للمطالعة (...). هكذا دخل المرحلة الابتدائية من التعليم الأزهري مع بدايات السنة الحادية عشر وكان ذلك عام 1928 م .

ترعرع الغزالي في كتف والد فاضل تحلى بالتدين والخلق الكريم، جعلاه يحضى باحترام العشيرة، والأهل الأقربين، يرجعون إليه في مختلف قضاياهم لاستشارية لحكمته وعلاء مقدراته بين صحبه مما ترك أثرا طيبا في نفسه، وسلوك وطباع الطفل محمد الغزالي حيث نجده كثيرا ما يتعرض للحديث عن والده ، والذي كان سببا في ما كان قد وصل إليه من مكانة علمية بين الناس حيث يقول في والده " أشهد أن أبي رحمه الله كان عابدا قواما ومكافحا " . (محمد الغزالي ، قصة حياة، 1996، 156)

كما قال في والده في التربية التي تلقاها منه والخطوة والرعاية التي حفه بها :
 واشعر الآن أن العقد الأول من حياتي تضمن خيرا كثيرا، يكفي أنني حفظت فيه القرآن، وتهيأت لدراسة يصبوا إليها الكثيرون، وكان بطل هذه المرحلة أبا وهب ابنه لله على حد التعبير الشائع، وباع ما يملك ليصلي بدراسة تخدم الإسلام، وكان الأزهر يومئذ حصن الدين واللغة . (نفس المرجع ، 238)

ويتحدث الشيخ محمد الغزالي عن انتمائه معتزا بعروبته و إسلامه وإيمانه الذين بهم سما ومحى كل الفوارق العرقية. قائلا :إني مصري من واد النيل، عربني الإسلام، ولست

أكثر بدم من أي فصيلة، ولا اهتم بعدنان أو قحطان، ولا كنعان فاهتمامي كله بحقائق الإيمان، ومدارج الإحسان . (محمد الغزالي ، المحاور الخمسة، ب ت ، 132)
وفي مقولة أخرى يعتز فيها بلغة القرآن يقول:

أني مصري عربي مسلم ، ولولا لغة الوحي ما كانت لي صلة بالعرب ، اللغة وحدها لا الدم، ولا العرف أو الجلد ، تنتميني إلى هذا الجنس ، وما يسرني أن أكون هاشميا ، إذ الشرف عندي هو الإسلام وحسب. (محمد الغزالي ،مائة سؤال، 2005، 289)

لقد ترعرع محمد الغزالي ونشأ في بيئة غنية بمحبة وقراءة كتاب الله، وأب عطوف وحنون ورث فيه لباقة التعامل مع الدين ، ومع الناس بذل النفس في سبيل ترقية وتربية أبنائه التربوية الحسنة رغم عسر الحال ، قال فيه الغزالي " كان والدي شديد الحنو على أولاده ، كريما في الإنفاق عليهم ، كان يكدح من أجلنا وكنا تسعة ذكور وإناث ، كان يستيقظ باكرا يقرأ بعض الأذكار وآيات القرآن ، ثم يفتح الدكان ويجتهد من الفجر إلى العشاء ليأتي لنا بالخيرات وكان مسرفا علينا لا يوفر شيئا (...). يكسب وينفق كل ما يكسب . (لعرابة نصر الدين ، 1998 ، 126)

لقد اعتمدت سرد هذه الفقرة بالذات ، والمتعلقة بتأثره بشخصية والده ، لما رأيت أنها تمثل خلفية تربوية حقيقية ، وقاعدة أساسية ساهمت في تشكيل شخصية محمد الغزالي المتميزة بالألفة والأنسة والتفاؤل والبسمة ، وهي دلالة قاطعة وتجربة واقعية ، لعملية التربية الوالدية الإيجابية، وتأثيرها على تكوين الرجال، فما يلقاه الأطفال في بكور أعمارهم من تربية لفظية أو سلوكية ، أو مواقف عينية ، خاصة من الآباء يكون فيها الأثر البالغ في توجيه وتشكيل شخصياتهم المستقبلية ، ويتابع الغزالي في الثناء بإطناب عن والده، يقص علينا كيف أنه كان يطمئن على دراسة أبنائه، ويتتبع نجاحاتهم ويشجعهم، ويراقبهم وهو ما عز على الكثير من أبناء زماننا في مجتمعنا ، مما أسبغ على الجيل معايير جديدة تبتعد في كثير من الأحيان عن المبادئ والقيم الإسلامية .

يقول الغزالي : لقد حفظت القرآن في عشر سنين (من عمري) وكان والدي يتعهدني بعد العودة من الكتاب، لكي يثبت هذا الحفظ، ويطمئن إلى أنني ما هر في تلاوة الكتاب العزيز، وأحمد الله أنه لم يمت حتى رأني على طريق الدعوة أخدم الإسلام.

(لعرابة نصر الدين ، 125، 126)

وهنا يبدو جليا ثمار التربية الوالدية اليناع وهو ترجمة حقيقة وعربونا صادق لما تم غرسه في الصغر، وأن للأب أن يتمتع بنجاح حسب امتداد لنجاحه وسعاده، وهنا أيضا يتضح صدى التربية الراجعة وتكتمل مسؤولية الرسالة التي هي واجب على الآباء تجاه الأبناء كما أن نجاح الأبناء، هو حق يتلهم وينتظره الآباء في الميزان الطبيعي للتربية بالمجتمعات الإسلامية، لقد كان حب الغزالي للقرآن ووفائه لمذاكرته ومدارسته بتلذذ المتبتل الولهان، يشهد عنه القاصي والداني، ويصف الغزالي هذا الحب والالتزام والوفاء لتلاوة القرآن قائلا : كنت أتدرب على إجابة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي، وأختم القرآن في تتابع صلواتي، وقبل نومي، وفي وحدتي، وأذكر أنني ختمته أثناء اعتقالي فقد كان القرآن مؤسلا لي في تلك الوحدة الموحشة .

الحياة التعليمية والدراسية :

إن للبيئة الاجتماعية ومكان النشأة دور كبير في تحديد الملامح الشخصية للأفراد وتكوينهم، والتنبؤ في كثير من الأحيان بمستقبلهم وما مولد الغزالي بقرية نكلا العنب التي : تقع بمركز (إيتاي البارود) بمحافظة (البحيرة) بالوجه البحري بمصر التي تخرج منها عدد من العلماء، أمثال محمد عبده ، محمد شلتوت وحسن ألبنا وغيرهم .

لقد تدرج الغزالي في مراحل التعليم، وكان كتاب القرية أولى تلك المراحل، ففيه كانت حياته الدراسية الأولى، حيث حفظ القرآن الكريم، ومبادئ القرآن والكتابة والحساب ، وقد كان كسائر الكتاتيب العصرية في ذلك الحين يتكون من قاعة واحدة واسعة مليئة بعشرات المستويات، تضم تقريبا أكثر من مئة صبي بين السادسة والسادسة عشرة، كل منهم عاكف على اللوح الذي يكتب فيه أو يقرأ منه ، وهناك من يقرؤون في المصاحف بعدما انتهوا من مرحلة الكتابة . (مفلح بن عبد الله ، 2012، 15)

وهو وصف بلسان الحال عن ظروف التمدرس ونوعية التعليم التي كانت منتشرة آنذاك ويصف الغزالي في مواقف آخر أساليب التربية والتدريس، التي حيرته فيما بعد كثيرا وفي قالب من الدعابة والتهكم عن بدائيتها، واقتناع المدرسين وعامة الناس والأولياء بها مما يثير الكثير من الاستغراب والتعجب، قائلا على بعد مئة ذراع تسمع هدير التلاوة تقطعه بين الحين والحين استغاثة مضروب لم يحسن الأداء، يتوجع من لدغ العصي ...

والآباء يوصون بأن لا تأخذهم شفقة في التعليم والتأديب ، فعصى الفقيه من الجنة كما يقولون . (محمد الغزالي ، قصة حياة ، 1996 ، 157)

بعدما أتم الغزالي حفظ القرآن في سن العاشرة من عمره، انتقل به أبوه كما ذكرنا إلى مدينة الإسكندرية ليواصل تعليمه رغم عوز حال الأسرة، إلا أن طموح الأب في توصيل أبنه لمكانة علمية أرقى، جعله يتحدى كل الصعاب .

وعن حياته التعليمية في معهد الإسكندرية التي قضى فيها زهاء تسع سنين وفق منهج دراسي علمي أصيل فيقول: أعتقد أن هذه الفترة، من أزهى فترات التألق العلمي في الأزهر، لأن دراسة الطبيعة والكيمياء والإحياء، وعلوم الحساب والجبر، والهندسة والتوسع في دراسة التاريخ المحلي، والإسلامي والعالمي ، ودراسة جغرافيا العالم كله ... إن هذا كله يصقل فكر الطالب، ويعينه على تكوين حكم صائب، بل إن الحقائق المشروعة لا تفهم على واقعها الصحيح إلا بهذه المعرفة. (مذكرات الشيخ الغزالي ، 16 2006)

هنا يبدو جليا أن الرجل كان مقتنعا منذ صغره، بوجود تفتح عقل المسلم على مختلف العلوم، بل ذهب إلى أن الحقائق الشرعية لا يمكن الولوج إلى ماهيتها وكنهها، إلا بربطها بالواقع من مختلف العلوم، التي تمد الإيمان بقوة التبريرات العقلية، وأنه لا يوجد تناقض بين الحقائق العلمية والشرع، بل هما يسيران وفق خطين متوازيان من الحقيقة .

لم يكن من السهل على الفتى محمد الغزالي بتفتق ذهنه وذكائه، وحب تطلعه لما يدور حوله من أحداث، أن يبق بعيدا عن واقع مجتمعه مشلول الفكر، مسلوب الإرادة والعاطفة ، كيف وهو يرى حالا مزرية لشعب يخضع لنير الاحتلال البريطاني، ويغوص في غياهب الجهل، ويعجز عن توفير لقمة العيش بسبب طغيان الاستبداد .

ويقول الغزالي عن نفسه في هذا الباب : إنني منذ نعومة أظفري أهتم بالأحوال العامة واكترت للمبادئ التي يعتمد عليها الحكم وتعشق الحرية والعزة، وأكاد أنوب إذا تورطت فيما يعاب، وأصادق أصحاب الإخلاص، وأعادي الخصوم بنزاهة، وأطلع الصدارة وأبذل ثمنها بطيب نفس.

إن اهتمام الغزالي بأحوال عامة الناس من بني مجتمعه، وحمله لهوم كثيرة تثقل أعباءهم وتعرقل مسيرتهم، وشعوره بمعاناتهم في سنه المبكرة، يبرز أصالة في نفسه وتعشقه بالحرية والعزة يبرز رفعتها، وحياؤه من مغبة التورط في ما لا يحمد من الأعمال وكذا إخلاصه للأصحاب يبرز كرم خلقه، وعدوانه بنزاهة لخصومه وتطلعه

إلى الصدارة وبذله الثمن بطيب نفس يبرز قوة طموحه، وصبره في نيل المعالي بطيبة خاطر، إن الاهتمام الذي ولد مواقف ثابتة، أدى إلى فصله سنة من الدراسة وذلك في السنة الثانية من المرحلة الإعدادية، فتخطى رحمة الله عليه هذه العقبة بقفزة مغامرة بالتقدم إلى امتحان شهادة الثانوية الأولى الحر، دون دراسة للسنة الثانية والثالثة، وكان مصرا على النجاح لما رآه من إحباط لدى والده، إضافة إلى روح التحدي الكامنة بداخله فاستعد للامتحان الحر في نحو عشرين مادة، على سنتين لم يدرسها وكانت المفاجأة أن نجح في هذا الامتحان الصعب، بل إنه الأول في معهد الإسكندرية، ومع الأوائل في القطر كله .

إن الأزمة تلد الهمة ولا يفرج الأمر إلا إذا ضاق، فمراجعة الرجل لذاته وإصراره بالاجتهاد والمثابرة، جعله يتحدى كل الصعوبات دون أن يحيد على مبادئه التي آمن بها وانطلق منها، فحقق النصر المبين، وأثلج صدر أباه مثبتا له أن ما قدمه من تضحيات في سبيل تعليم ولده لم تذهب سدى، وأن العثرة التي لا تقتل تزيد صاحبها قوة وخبرة .

وبالرغم من الأحوال المادية السيئة التي واجهت أباه واضطرته إلى العودة بالأسرة للقرية، إلا أن الشيخ ظل يكافح إلى جانب طلبه للعلم ، فكان يعطي دروسا خصوصية لبعض الأطفال مقابل أجر زهيد، يعين نفسه به حتى أحرز الشهادة الثانوية الأخيرة (...)

يقول الشيخ رحمه الله لقد استفدت كثيرا من دراستي بين عامي 1928 . 1937 م ، وقد

أصبنا مقادير جيدة من علوم اللغة والدين . (نور الدين أعزیز ، 2010 ، 23)

وفي عام 1938 التحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، قضى فيها أربع

سنوات، استفاد من خلالها إلى جانب العلوم الدينية بعلوم أخرى كالفلسفة وعلم النفس

والأخلاق، ولكنه كان يتأفف كثيرا ويتأسف على علاقة أساتذتها بالطلاب والتي كانت

تتميز بالجفاء على غرار ما هو الحال عليه في كلية الأدب حيث يقول :

لاحظنا أسفين أن مستقبلنا في مهب الرياح، وأن الذين يدرسون لنا لا يكثرثون

لمصيرنا.. وأحسنا أنه ليس لنا أباء يحنون علينا، أو يهتمون بقضايانا، والحق أننا

كرهنا شيوخنا على اختلاف مناصبهم الإدارية، إذ كان الدكتور طه حسين في كلية الأدب

يدعو طلبته على حفل شاي ويسمر معهم، ويظل مع الخريج حتى يعرف أين استقر به

المقام . (محمد الغزالي ، قصة حياة ، 2006 ، 157 167)

وتتوالى السنوات، وتنقضي الأربع كي يتحصل الشيخ على الشهادة العالمية من الأزهر سنة 1941 ويسرد لنا هذه الأحداث في تواضعه المعهود قائلاً، ولم أكن متقدماً في ترتيب الناجحين فهل أحزنني أني لم أكن من العشرة الأوائل؟ كلا، إنني ما تأخرت عن بلادة أو تقصي، كانت الأحوال التي تكثفني رديئة، لا أذكر أني ملكت كتاباً طوال السنوات الأربع، وأنى لي ذلك؟ وعندما عرض علينا شرح النووي لصحيح مسلم بنصف جنيه مقسط على عشرة شهور هزرت رأسي بأسى، وقلت: ما معي يكفي للأطعمة والملابس، واختفيت دون أن يشعر بي أحد.

قال الغزالي: إن أبي رحمه الله، كان رجلاً طيب القلب، كبير الروح، وقد نذرني لخدمة الإسلام، ووقف حياته ونشاطه على إدخالني في الأزهر، وثابر وهو المكافح الجلد، حتى نلت إجازتي منه، ورآني وأنا أبدأ حياتي بمرتب ستة جنيهات، فقد كان الحظ إلى جانبي في هذه السنوات العجاف.

(الغزالي، كفاح دين، 1988، 237)

فمن منطلق الاعتراف بفضل الأبوة، والتضحيات التي تحملها الوالد حتى يطمئن على بداية الحياة العملية للغزالي: بعد تخرجه وحصوله على شهادة العالمية، واصل دراسته التخصصية في الدعوة والإرشاد لمدة عامين لنيل الشهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد، وبحصول على هذه الشهادة صار له الحق في الوظيفة مع إتمام دراسته التخصصية، وناسب ذلك إعلان وزارة الأوقاف عن مسابقة بين خريجي الأزهر لكل الدفعات لشغل وظائف (الإمامة والخطابة والتدريس) تشاء إرادة الله أن يكون من الناجحين.

ابتدأ حياته العملية بوظيفة إمام وخطيب ومدرس بمسجد (عزبان) وسط القاهرة، بالقبة الخضراء سنة 1943 م، وقد أتاحت له هذه المهام الثلاث الاتصال بالناس عن قرب ومحاولة تصحيح المفاهيم الدينية، وتوضيح الرسالة الأصلية للإسلام.

بعد استلام الرجل الوظيفة واستقراره، كان من الطبيعي لديه تأسيس بيت الزوجية فالوظيفة الحكومية فتحت أمامه الباب للزواج، لأنها مصدر رزق له ولأسرته، التي كان يقتسم معها نصف راتبه، وفي هذا يقول الغزالي وكنت على فقري، جامح الرغبة في الزواج (...). ومع تسلمي العمل الحكومي تم زواجي وكان الأستاذ حسن البنا*، قد تدخل في المسألة التي بدأت معقدة، فإن والد الفتاة التي اخترتها كان يطمح في زوج أغنى مني

* حسن البنا هو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين المصرية.

انه من قريتنا وكان موظفا بوزارة العمل بالقاهرة، وعلم أن مرتبي ستة جنيهاً أعطى أبي نصفها، ولكن الأستاذ المرشد أقنع الرجل بأنني أفضل من غيري والمستقبل بيد الله وسيكون خيراً (...). لقد عشت مع زوجتي ثلاثين سنة كأسعد زوجين في الدنيا، وكافأتها على رضاها بفقري، فأسكنتها الغرف، وأذقتها الترف، وجعلتها تدوس الحرير والذهب وانجبت منها تسعا من الولد، استودعت ربي اثنين، وبقي لي سبع من الإناث والذكور ثم فارقت الدنيا على غير انتظار فبكيته من أعماقي، رحمها الله أوسع رحمة، ورفع درجاتها في عليين . (محمد الغزالي ، قصة حياة ، 2006 ، 238)

نستشف من خلال سرده لهذه الفقرة من قصة حياة الغزالي، بعد تربوي يدور حول حرص الرجل على إتمام نصف دينه بالزوج، الذي يعد وقاية وحفظاً واستقراراً لنفس الشباب المسلم، فبالإضافة إلى الرغبة الجامحة فيه نجده يستعمل حتى الوساطة من أجل الحصول على شريكة حياته التي أختارها، ثم نجد مؤشرين آخرين للتربية في شخصيته يدور الأول حول الاعتراف بالجميل، وهو من نبل الخلق، حيث كافأ زوجته لرضاها بفقره وتفضيلها له عن غيره، كافأها بما أملاك من نفس ونفيس، ثم وفأه لها حتى بعد وفاتها وهو قمة الإخلاص للمحبيب .

لقد تلقى الغزالي بعد وظيفة الإمامة والخطابة والتدريس بوسط القاهرة مناصب أخرى بوزارة الأوقاف، حيث عين مستشاراً للمساجد ثم وكيلاً لقسم المساجد، فمديراً عاماً للمساجد ومديراً للتدريب وفي سنة 1971 عين مديراً عاماً للدعوة والإرشاد، وفي العام نفسه أنتدب وكيلاً لوزارة الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلامية بمصر .

بقي الغزالي وفيها لمبادئه الإسلامية الراسخة في شخصه منذ الصغر، ولم يثنيه عن الالتزام بها أو يغيره حتى التدرج في المناصب التي شغلها بوزارة الأوقاف أو فصله منها حيث كان منصب وكيلاً لوزارة الأوقاف آخر هذه المناصب التي قدم استقالته منها لما طلب منه مهادنة النظام، والتجاوز عن الفساد الذي ارتآه آنذاك وبقي الرجل وفيها لمبادئه ودينه إلى آخر أيام حياته.

2/ عوامل أساسية في تكوين شخصية محمد الغزالي:

أن القناعات والأفكار التي كان يحملها الغزالي نفسه، ترجمتها الوقائع والأحداث إلى سلوكيات تبناها الغزالي وهو طالب في المعهد الديني، إذ قاد إحدى المظاهرات المنندة بتعطيل الدستور، في عهد حكومة إسماعيل صدقي باشا، وعن هذه التجربة الشبابية

يقول : (...) قد دفعت الثمن غاليا، وحقق معي، ثم أفرجت النيابة عني بكفالة مالية قدرها جنيهان دفعها أبي وهو يلهث من إعياء، ومضت القضية في طريقها العتيد، وما كنت أدري ما يفعل بي لولا قانون بالعمو العام شملها فيما يشمل من أمثالها ونجوت من السجن . (محمد الغزالي ، قصة حياة ، 1996 ، 161)

وفي تجربة أخرى، تعرض من خلالها إلى الفصل سنة عن الدراسة كنا قد تعرضنا للحديث عنها سابقا، كان السبب وراءها معارضته في مظاهرة، رئي فصله عام، لمحاولة رده عن تصرفاته وبتحديه استطاع مزاولة الدراسة بعد مثابرة وحرص ليوصل مسارا كان قدمه له الوالد واقتنع به هو ذاته .

وتعتبر سنة 1938 بدايته الرسمية في النشاط الحزبي والسياسي، حيث انظم إلى جماعة الإخوان المسلمين، التي كانت تؤمن بأن العمل السياسي جزء لا يتجزأ من العمل الإسلامي، وعن ظروف انضمامه للجماعة يقول انه أثناء دراسته الثانوية بالإسكندرية كان من عادته لزوم مسجد (عبد الرحمن بن هرمز) في منطقة رأس التين بعد الغروب من كل يوم حيث يقوم بمذاكرة دروسه، وذات يوم ينهض شاب "حسن ألبنا" لا يعرفه ليلقي على الناس موعظة قصيرة، شرحا للحديث الشريف "اتق الله حيثما كنت، واتبع السنة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حس" وكان حديثا مؤثرا يتصل بإعمال القلب فما فرغ منه حتى وجد الغزالي نفسه مشدود القلب إليه، ومنذ تلك الساعة توثقت علاقته به وعمل معه في ميدان الكفاح الإسلامي إلى أن استشهد سنة 1949م .

ولربما كانت من أسباب توجه الشيخ وتوسعه في البحث والتأليف، علاقته الخاصة بحسن ألبنا الخاصة وجماعة الإخوان المسلمين عامة، حيث يقول إن تشجيع حسن ألبنا وإقبال الإخوان علي كان من أقوى الأسباب في عكوفي على التأليف، مع تهجم الحكام في وضيقهم بي (...) واستطعت وأنا طالب أن اجمع بين مواصلة التعليم ونشر الدعوة في العاصمة والأقاليم .

لقد كان محمد الغزالي الرجل الثالث في الجماعة، وقد برز بقوة عندما أصبح من كتاب مجلة الإخوان، بتزكية من المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، حسن ألبنا (...) أعتقل الرجل مرتين، مرة لما كان أحد رموز الجماعة ومرة بعد انفصاله عنها، كان له أن تعرف في الأولى من خلال السجن على شاب ستكون له علاقة صداقة ورفقة في مسار الدعوة ، والحياة مستقبلا يسمى "يوسف القرضاوي" .

أما في الاعتقال الثاني فإنه لم يمكث إلا عشرة أيام ، وسبب اعتقاله نتيجة رفضه الإدلاء في الإذاعة بتصريح للرئيس، أمر فيه بنشر مساوئ الإرهابيين، وتحذير الأمة من الثقة بهم أو التعاون معهم، فكان جواب الشيخ، طلبت إلى الإذاعة، فلما ذهبت وجدت عدد من الشيوخ والإخوان الأقدمين، وكانت التعليقات محددة، يجب أن تقوم بهذا الواجب الوطني على عجل ، ثم كلفوني، بوصفي مفصولا من الإخوان، أن ابدأ بالتسجيل كان جوابي حاسما، أنا على استعداد للحديث عن الإسلام، وضرورة إحياء ما مات من أحكامه ؟ ومستعد لإرشاد المخلصين حكاما كانوا أو محكومين، لإصلاح ما يكون قد بدر منهم من خطأ، أما شتم الإخوان وهدمهم، فليس من خلقي أن أجهز على جريح .. !.

قيل أنهم فسلوك من جماعتهم فلماذا تبقي عليهم ؟ قلت: إذا استضعفوني أيام قوتهم فلن استضعفهم أيام حريتي ! وما هي إلا ساعات حتى كانت القيود في يدي .

فرغم استنارت عاطفة الغزالي للنيل من غريمه حسبهم ، إلا أن العفو كان شيمته وخلقه وأن عدم إنكار المعروف وتواجد وحضور أسباب الخلاف، بينه وبين جماعة الإخوان المسلمين، وإغراء نوي السطوة والجاه، بقي ثابتا كالجبل الأشم، يعطي دائما نماذج في التربية وحسن الخلق، والوفاء للمبادئ رغم الاختلاف مع الصديق أو العدو، ويبقى الشيخ في معاناته للظروف القائمة، وهو يحمل هموم المثقف الواعي بحال مجتمعه، لم يجد مخرجا من ضائقة المواقف، فبعد عشرة أيام من الحجز يفرج على الشيخ، ليعتكف في بيته متفرغا لتأليف الكتب، شاهرا قلمه مفرغا مكبواته حول رداءة حال الراعي والرعية، في مختلف الكتب والمقالات، التي الحق الكثير منها التجميد والمصادرة وتجري الأيام وتتبدل أحوال السياسية بتبدل الحكام فبعد وفاة جمال عبد الناصر سنة 1968م، استبشر بالواقع الجديد، وبدأ تكسير المواقع ومراكز القوى الناصرية، لبسط الحكم الجديد للرئيس السادات، أفرج فيه على كثير من المساجين السياسيين، واعد الشعب بعهد جديد يحترم الحريات من أجل الارتقاء إلى غد أفضل، وقد أسند للغزالي خلال هذه الفترة وكيل وزارة الأوقاف، بذل فيها الشيخ ما استطاع في مجال الإصلاح والدعوة .

إلا أن المناصب السياسية وإن كانت في وزارة الأوقاف تتصادم في كثير من الأحيان مع الدين، وتحيزه لهذا الأخير ينفر منه دائما أصحاب القراء، ليجد نفسه مرة أخرى غير مرغوب فيه، فبعد ما قضى وقتا وتمتع بالخطابة والإرشاد الذي يرى فيه دينه ومجاله

يعزل الشيخ عن الخطابة بمسجد عمرو بن العاص، وبالأزهر الشريف ووضع في القائمة السوداء، فكان لا بد أن تتوقف نشاطاته، وهذا ما أشار إليه الشيخ بأن الدولة أضحت تضيق به ذرعا، وأن عليه أن يبحث عن مكان آخر، فرحبت به جامعة أم القرى، ورحب الشيخ بمجاورة المسجد الحرام تاركا الميدان في مصر رغما عنه .

(يوسف القرضاوي ، 2000 ، 54)

في انتقال الشيخ إلى هذا الفضاء جدد همته، وفسح المجال لقلمه، ولسانه يكتب ويؤلف ويحاض، ولا يتوانى عن مشاركة متى سنحت له الفرصة في إثراء الندوات الفكرية مدافعا عن الإسلام، ومبادئه الموقوفة في القرآن والسنة المحمدية .

التجربة السياسية في الاتحاد الاشتراكي :

حدثت للغزالي هذه التجربة بعد انفصاله عن جماعة الإخوان المسلمين في الخمسينات حيث انضم إلى الاتحاد الاشتراكي المصري رغبة فيه أن يخدم وينشر الدعوة عبره وكانت التجربة فريدة من نوعها، حيث أتاحت له التعرف على النظام الناصري عن قرب من جهة، ومن جهة أخرى كانت بمثابة اختبار حقيقي لمبادئه وأفكاره، وما مدى صلابتها أمام الآخر وفعلا أستطاع أن يصلح بعض ما أفسده الغي، ولكن وجوده معزولا أمام تيار هائل ألفت بين أفراده المطامع المادية، والمصالح الشخصية حال دون تحقيق ما كان يصبو إليه.

فأينما حل الرجل وارتحل، بقي ثابتا على مبادئه، لا يدخر جهدا في إصلاح ما يمكن إصلاحه، مؤمنا بأنه صاحب رسالة في الحياة التزم بها بعدما حمل القرآن في صدره وذاق حلاوته بعقله، وانتشر تأثيره بجوارحه، فكان نوره لا يفارقه ومعانيه وأسراره لا تغادر وجدانه .

بقي الشيخ يلقي دروسا دورية بالإذاعة، مع إسهامه في إثراء المكتبة الإسلامية بعدة مؤلفات إلى جانب زيارته إلى بعض الدول العربية، لإقامة الندوات العلمية والأيام الدراسية وقد أقام بدولة قطر أيضا للهدف نفسه والمهمة الدعوية والتعليمية ، ثم بعدها رحل إلى الجزائر، حيث كلف بالإشراف على الجامعة الإسلامية لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ، فكان يحاضر بها مع ترؤسه لمجلس التعليم العالي، وقال رحمه الله استدعيت من طرف الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد مباشرة قصد إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر الشريف المشهور بالمنهج الوسطي الاعتدالي،

ولم يكن يصلح لهذه المهمة، في تقدير الرئيس، إلا الشيخ الغزالي ، مما فتح الباب أمام الشيخ على مصراعيه للعمل في مجال الدعوة إلى الله، فراح يجدد ما فقدته الجزائريون من مفاهيم المدرسة الإصلاحية، التي كان يقودها باعث النهضة الإصلاحية في الجزائر عبد الحميد بن باديس رحمه الله رضي الله عنه وأرضاه .

ويقول الشيخ عن الأيام التي قضاها في الجزائر بلهفة وحب وامتنان، قضيت في الجزائر بضع سنين من أخصب أيام العمر خدمة للإسلام ورسائله وقد راقبت عن كثب مؤامرات شتى، تحاول النيل من ديننا وأمتنا، وتبذل جهودا حثيثة خبيثة لتضليل مسعى المسلمين وإظلام مستقبلهم، ثم ترك الجزائر عائدا إلى مصر للإقامة الدائمة في منزله رقم 10 بميدان الدكتور سليمان، بحي الدقي، بالقاهرة ، منذ سنة 1988 مع تلبيته للدعوات التي كانت تأتيه من كل أصقاع العالم، للمشاركة في الملتقيات العلمية والفكرية وكان من أواخرها، رحلته إلى الأمم المتحدة حيث خطب في عيدها الخمسين ممثلا للأزهر الشريف سنة 1996، وقد أمضى بين مسلمي أمريكا في تلك الرحلة ثلاثة أسابيع .

3/ صفات لشخصية محمد الغزالي:

كان محمد الغزالي قصير القامة، أبيض البشرة واسع الجبين، يضع نظارة تحجب عينيه الصغيرتين البراقنتين اللتين تقطران ذكاءا وفطنة، كان يثور بسرعة ثم ما يلبث أن يهدأ بسرعة إذا علم أنه على خطأ، كما كان هني المعشر، بشوشا يمتاز بمزاج حلو ونكتة حاضرة، ولقد أورد بعض ملامحه في صغره قائلا " لم أكن بليدا و لم أكن نابغا كنت متوسط الذكاء، ضئيل الجسم، قصير القامة وكان وقع العصا على جلدي رهيبا عندما أخطئ أو ربما أكرهتني الهيبة على التعلم . (محمد الغزالي ، قصة حياة ، 1996 ، 37)

✓ لعله من نافلة القول أن نذكر بأن عائلة الغزالي تضم ثلاثة أسماء لامعة مشرقة في تاريخ الفكر الإنساني، وفي تاريخ الفكر الإسلامي خصوصا، هم:

أولا: أبو حامد محمد الغزالي / من خراسان (1111-1059 م)

وهو حجة الإسلام الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري.

من مؤلفاته : مقاصد الفلاسفة، معيار العلم ، إحياء علوم الدين والاقتصاد في الاعتقاد كيمياء السعادة ، ميزان العمل .

ثانيا : زينب الغزالي الجبلي

داعية إسلامية من شمال القاهرة ومن محافظة البحيرة ولدت في 02-01-1917 م وعاشت في حدود 88 سنة انتسبت إلى جماعة الأخوان المسلمين ، واعتقلت سنة 1965م بقيت رهن السجن لمدة 6 سنوات (...) زارت مجموعة من البلدان الإسلامية والعربية .
من مؤلفاتها:

- أيام من حياتي
- نحو بحث جديد
- نظرات في كتاب الله ، صدر بتاريخ 1995 وهو أول تفسير تصدره امرأة توفيت

يوم 03-08-2005

ثالثا : محمد الغزالي أحمد السقا

المولود بمصر، المؤلف الداعية، الخطيب والباحث ... الرجل الذي أجمع بين العلم والتواضع و مراجعة الذات يقول الغزالي :

إنني أقوم بالعمل أحيانا ثم أرجع دوافعه في نفسي، فأشعر أنني لم أكن فيه مخلصا كما ينبغي أغلبنى حب الدنيا، أو الاعتداد بالنفس فأحس الألم والندم، وارى أنني بهذا الخلط لا أصلح لولاية الناس .

جمع هؤلاء العلماء اتقاد الفكر، والاهتمام بشؤون الأمة الإسلامية، ومنهج الإسلام والوسطية وتكبدوا ضريبة الدفاع عن العقيدة والرأي.

كلمات خالدة في حق الشيخ محمد الغزالي:

قالت عبلة الكحلوي: لقد جمع الغزالي بين رقة وعذوبة الأديب، وبين فقه وصفاء المتصوف الفقيه، لقد كان يملك القدرة على احتواء قلب وعقل القارئ، له ويشهد له التاريخ بأرائه التي عبر عنها بشجاعة يحسده عليها الكثيرون .

(فلوسي مسعود ، 2003 ، 137)

وقال فيه صديقه ورفيق دربه وفكره وقلمه، الشيخ يوسف القرضاوي إذا قيل أنك تنظر إلى الشيخ بعين الرضا، وعين الرضا لا تبصر العيوب فحسبي أن أقول، أن الغزالي مبرأ من العيوب، فما هو بالملك المطهر ولا بالنبى المعصوم، إنما هو بشر يخطئ كما يخطئ البشر، ويصيب كما يصيب البشر، ولكن أخطاؤه وزلاته مغمورة

في محيط حسناته وميزاته، إذا بلغ الماء قليتين لم يحمل الخبث، فكيف إذا كان بحرا لا تذكره الدلاء . (يوسف القرضاوي ، 2000 ، 9)

ويقول في شخصه : وجدنا الشيخ الغزالي، عن كثب، إنسانا رقيق القلب ، قريب الدمعة نقي السريرة، صفي الروح، حلو المعشر، رضي الخلق، باسم الثغ ، موطأ الأكناف عذب الحديث، سريع النكتة، بسيطا ومتواضعا، بعيدا عن التكلف والتعقيد والتظاهر تسبق العبرة إلى عينه، إذا سمع أو رأى موقفا إنسانيا ويهتز خشوعا وتأثرا إذا ذكر الله والدار الآخرة ولا يأنف أن يتعلم من تلاميذه، يعترف لكل ذي موهبة بموهبته، لا يحسد ولا يحقد، يكره الظلم والتسلط على عباد الله.

(محمد الغزالي ، الإسلام والاستبداد السياسي ، 2004 ، 07)

كأن لي بالقرضاوي يصف أحد أصحاب وأحابب النبي صلى الله عليه وسلم، أو صحابي من رعييل النبوة، قد ملأ قلبه نور الإيمان، وهو في حادثة من الإسلام، قد عمت جوارحه هبات من رحمت ربانية، جعلت كل من يصادفه يتأثر بما حبي به من نور وهداية روحانية ترجمت إلى كلمات وألفاظ تسري من القلب إلى القلب، فتغمر الجوارح والوجدان وتنعكس على السلوكات والأفعال، كأنها سحر يشد الأنفس شدا ويوقظ العقول من الغفلان، و نجد القرضاوي في موقف آخر يقول في الغزالي :

عرفت في الشيخ الغزالي أنه رجل دعوة قبل كل شيء، الإسلام لحمته وسداه وشغل نهاره، وحلم ليله، ومحور حياته كلها، الإسلام ماضية، والإسلام حاضرة، والإسلام مستقبلة، فيه يفكر، وعنه يتحدث وعليه يقول، واليه يدعو، ومنه يستمد، والدعوة إلى الإسلام لها كل عقله وقلبه ولسانه ،وقلمه، وجهده وجهاده، لا يستطيع الابتعاد عنها إلا كما يستطيع الحدث أن يبتعد عن الماء، يعيش به وله وفيه، له يسالم وله يحارب، وفيه يبغض وله يغضب وبه يرضى، ومن أجله يصل، ومن أجله يقطع، وله يحيي وعليه يموت (...) لا يحب الرياء الديني، ولا الرياء الاجتماعي، ولا الرياء السياسي، ويرفض كل المظاهر الكاذبة التي تقوم عليها الحياة الدينية، أو الاجتماعية ويندد بأولئك الدجالين الذي يأكلون بالدين ولا يعملون به (...) الغزالي رجل دعوة مخلص لدعوته ، متجرد لها، ولهذا ينفذ كلامه إلى القلوب، فيلهبها بمشاعر اليقين والحب، ومعاني الإيمان والإحسان، وأشهد أنني ما سمعت الغزالي إلا تأثرت به وتجاوبت معه وذلك لما لمست

فيه طوال معاشتي له من صدق وتجرد، جعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله، أحسبه كذلك والله حسيبه، ولا أزكيه على الله عز وجل . (يوسف القرضاوي ، 9)

ويقول أيضا فيه : الشيخ الغزالي من عشاق الحرية ودعاتها، وهي من العناصر الأساسية في برنامجه الإصلاحية، وهو عدو الاستبداد أيا كانت صورته ولا يقبله بحال ولو تسربل باسم الدين بل يرى أن الاستبداد باسم الدين أشد خطرا من غيره .

لقد كون الشيخ بخطبه مدرسة إسلامية متميزة بالإستنارة والاعتدال، وانتشرت أشرطة هذه الخطب في أصقاع مصر وخارجها (...). انه رجل صريح شجاع يدق ناقوس الخطر إذا لاح له ما يهدد الأمة، فلا يمكن أن يغمض فيه أو يصم أذانه، والخطر من حوله يرى ويسمع.

لقد كان الغزالي مثالا للصديق النصوح، والمعلم الصادق والداعية القدوة في الكلام والسلوك والأب العطوف الكادح، في سبيل تربية أبنائه وتحقيق السعادة لهم، وفي هذا يقول : أنا طبيعي وعشت عيشة طبيعية، لا أعرف التكلف وأضيق به، قد رببت أولادي على المصارحة والهدوء في مواجهة الأمور، بحكمة وأدب، الله سبحانه وتعالى جعل ثمرة هذا المنهج الذي هداني إليه، إن الجميع يعيش عيشة حسنة ، ويروي ابنه الدكتور علاء محمد الغزالي قائلاً: كان تعامل أبي معنا قائما على الاحترام والتعاون فلم يكن قط دكتاتوراً، بل يستمع ويناقدش ويترك لنا حرية الاختيار، كنا نراه يساعد أمانا في شؤون المنزل بمحبة وبلا حرج لقد أنشأنا على المصارحة والهدوء في مواجهة المشاكل ولم يكن يتدخل في توجيه رغباتنا، أو أختيارنا الدراسية والحياتية، كان كل ما يعنيه أن نلتزم بالأخلاق الدنية .

لقد كان الرجل رغم انتمائه وحسابه على الجناح الديني للمجتمع، هذا المجتمع العربي الذي يتسم في خمسينيات وحتى ستينيات القرن بالمحافظة وتسلط الأب، وسريان قراراته على سلوكات وتعامل الأسرة، كان هذا الأب يحقق الاختلاف والتميز، وكأنه يتمرد على الواقع الاجتماعي عموما وعلى تقاليدته التي تستدعي الكثير من النظر وحقق لنفسه ولأسرته فضاء استمد قيمته وأخلاقه من عهد النبوة، وسائر به التطورات الحديثة للتربية والمجتمع دون أن يخل بأصوله المستمدة من القرآن والسنة، فلم يتشدد وينطوي عن نفسه وبيته، فيحدث القطيعة مع تطورات الحياة، بل تأقلم مع ثقافتها المتجددة، كما أنه لم يهمل هويته كعربي ومثقف مسلم فيندمج مع ثقافة المستعمر البريطاني، ويصبح هو الآخر بل

كان ينتهج الوسطية في التعايش مع الآخرين، ويحافظ على نموذجه الخاص الذي يعكس ويميز تصرفات الأسرة العربية الراقية، ذات الأخلاق الإسلامية الفاضلة والعقلية المتفتحة على كل ما يحافظ، ويخدم تواجدها بين الأسر.

4/ من المميزات الخلقية للشيخ محمد الغزالي :

أ- الإعراف بالفضل ورد الجميل :

إن من كرم خلق الشيخ الغزالي تذكره أثناء حواراته ولقاءاته لفضل وجميل مشايخه ومعلميه، وإن لولاهم لما كان في هذه المنزلة من العلم، فنجدته عن حسن ألبنا يقول : واني أعترف بأني واحد من التلامذة الذين جلسوا إلى حسن ألبنا وانتصحو بأدبه واستقاموا بتوجيهه واستفادوا من يقضاته ولمحاته . (محمد الغزالي، في موكب الدعوة، 11 1999) قد كنت حريصا على الصمت الجميل، يوم عرفت أنني سأعمل للإسلام وحدي، بيد أن أحدا من خلق الله اعترضني ليقول، إن تكلمت قتلت، فكان ذلك التهديد هو الحافز الفذ على أن أتكلم وأتنب، إن اللفظة الرقيقة تطوي عنقي فأستسلم، أما التحدي فإنه يهيج في طبيعتي غرائز الخصام، وقد يرى القارئ فيما كتبت هنا، أو فيما كتبت هناك أو فيما كتبت من قبل خطأ في فكرة، أو جورا في عاطفة، يجب ألا نغالي ! ليكن ذلك كله أو شيء منه فهذه نفسي وهذه صحائفي، وأرجو ألا أتملق إلا ربي، والا أهتم لأحكام الناس.

ب- التأدب والانتصار للحق : وفي هذا يقول :

فالصمت الجميل دلالة على الحكمة وحسن التدبر وكذا أعمال العقل في تحضير الرد المناسب عن مختلف الآراء والمواقف، وهو من شيم الفضلاء، كما أن الانتصار للمبدأ عند الشيخ الغزالي أو الفكرة التي يؤمن بها، لا يثنيه في الدفاع عليها تهديد الآخرين، بل هو أسلوب يثير في نفسه الإصرار على المواقف، كما أن المعاملة الحسنة والتأدب واللين في الخطاب والحوار من طرف الآخر، يجعل منه يتجاوب في احترام وعزة نفس مع الآخر، والرد في الحديث مع مبادلة نفس التأدب والاحترام، وإنما رأيه يكون في نصرة الحق والإسلام فقط، وهذا دلالة على أصالة الرجل وصدق تعامله وكذا نبهه .

ت- الفطنة ومحاربة الفساد :

لقد كان الغزالي منذ ريعان شبابه، جسورا عن الذل متحديا لما يراه من فساد وفيما يروييه عن موافقة تجاه الفساد الملكي وانعكاسه السلبي عن حال الرعية والبلاد قوله : انه من

فضل الله علينا أن رفضنا السير في موكب العبيد، وأنا شننا حرب ضاربة على الفساد الملكي، وحواشيه وذيوله وظاهره وباطنه، وجرأنا العامة على النيل منه والتهجم عليه ولئن كانت ثورة الجيش قد أفلحت في اكتساح هذه المساخ، فإن ذلك بتوفيق الله، ثم بما نشرنا في طول البلاد وعرضها من أفكار حرة ضد الاستبداد والفوضى.

وفي هذه الفقرة إشارة واضحة إلى دور العلماء الواجب عليهم، وهو مسابرة الحق وتنوير الرأي العام لدى الشعوب، ومحاربة أنواع الشرور والفساد، وكشف الأفكار الظلامية المخدرة للعقول، وفتح فسحة الأمل للعامة، ودفعهم إلى التحرر من غياهب الجهل والضلال، إلى نور العلم والحقيقة والعمل الحضاري .

ث- احترام العلماء وتثمين إسهاماتهم:

لقد كانت فلسفة الرجل في الحياة احترام كل ما فيه إبداع وإضافة من شتى العلوم، ولم يكن من خلقه بخس إنتاج الآخرين من العلماء وغيرهم، مهما اختلفت مشاربهم وملهم مادام فيها خير للمسلمين وللبنشرية جمعاء، يقول في هذا الأمر :

إنني لا أجعل عيباً ما يغطي مواهب العبقرية، ثم لحساب من أهدم تاريخنا الأدبي والديني؟ ولمصلحة من أشتم اليوم علماء لهم قي خدمة الإسلام وكتب أعدائه كفاح مقدور؟ ومن يبقى من رجالنا إذا أخذت تاريخ الشيخين أبي بكر وعمر من أفواه غلاة الشيعة، وتاريخ علي بن أبي طالب من أفواه الخوارج، وتاريخ أبي حنيفة من أفواه الإخباريين، وتاريخ ابن تيمية من ابن بطوطة وابن فلان، وتاريخ محمد بن عبد الوهاب من أفواه الترك وددت لو أعنت على محاكاة أبي حامد الغزالي مؤلف " لجام العوام من علم الكرام " فألفت كتاباً عنوانه " لجام الرعاع والأغمار، من دقائق الفقه ومشكل الآثار " لأمنعهم عن مناوشة الكبار، واشغلهم بما يصلحون له من أعمال تناسب مستوياتهم وتنفع أمهم بهم .

(محمد الغزالي، علل وأدوية، 1999، 81، 82)

وفي موقف آخر يقول :

مع أنني أميل أحياناً إلى الفقه الحنفي، فإني جانح بفؤادي وإعجابي إلى الشافعي وهو يقول عن عمله، وددت لو انشر هذا العلم دون أن يعرف الناس صاحبه، ليتنا نرزق هذا الإخلاص ومع ضيقي بتساهل صاحب المسند في إيراد بعض المرويات، فإني اتبعه بإعزاز عميق وهو يتكبر عن الدنيا، ويستعف على مآربها، ويستصغر المال والجاه

والحكم وهو يدرس للناس، إن هؤلاء الأئمة الكبار شيوخنا جميعا عن جدارة والبحث العلمي بصوابه وخطئه لا يعكر ما يجب العلماء من توقيير .

ج - حب المطالعة والقراءة :

تعلق الغزالي من طفولته بالقراءة فعشقها، حتى أنه كان يطالع الكتب أحيانا وهو يتناول الطعام.

15/ العوامل المرجعية لتكوين شخصية محمد الغزالي العلمية :

أعجب الغزالي بأبي حامد الغزالي وابن تيمية من السابقين، وبمحمد عبده ورشيد رضا من اللاحقين فأخذ يدرس أفكارهم العلمية والإصلاحية، وفي كتبه خلاصة أنتحلها واستخلصها من السابقين والمعاصرين، ثم زاد عليها ما تيسر له، كما استفاد من كتابات وحلقات فطاحل الأزهر، أمثال عبد العظيم الزرقاني ومحمود شلتوت، وهكذا فإن مصادر فكر الغزالي متنوعة فتأثر بالمدرسة العقلية المعاصرة، وبالا شاعرة، وبمذهب السلف، لكنه لم يلتزم بمنهج طائفة معينة . (يوسف القرزاوي ، 1997 ، 71)

كما مارس الغزالي الإصلاح عمليا مع حسن ألبنا مؤسس جماعة " الإخوان المسلمين " فتركت صحبته عظيم الأثر في نفسه، وفكره وسلوكه، قال الغزالي واصفا أستاذه ألبنا كانت لدى " حسن ألبنا " ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية وقواعد الاجتماع وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير، وقيم الأفراد، وميزان المواهب.

(لطيفة الكندري، ملك بدر ، 2005 ، 13)

لقد جسد الغزالي في تأثره بهذا العلاقة مع رفيقه حسن ألبنا مقولة: "القرين بالقرين يفلح"، ومقولة: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال، وكذلك مقولة: "قل لي من هو صديقك أقول لك من أنت " ومن هذا المنطلق يبدو جليا تأثير القدوة في شخصية الفرد كان هذا القدوة أستاذا أو صديقا ، وكثيرا ما نجد نماذج حول القدوة وتأثير القائد على الجماعة بل على الأمة جمعاء، عبر التاريخ وهو أسلوب تربوي غاية في الفعالية، وما محمد عليه الصلاة والسلام واستمالته لقلوب أصحابه، وغزوه لقلوبهم وعقولهم لخير دليل على تأثير الصديق والقائد والقدوة، وذلك بما يحققه من تميز عنهم في نبل الخلق، والعفة، ورشاد الرأي، والحكمة والطيبة و الشجاعة و غيرها من مكارم الأخلاق .

إن هاته المرجعية العلمية التي كان لها بالغ الأثر في توجيه الحياة العلمية للغزالي دعمت مكتسباته وحبه للقرآن والسنة، كما أن تراكم المعرفة لديه وصقلها بمختلف سفرياته لمختلف بقاع العالم للمشاركة في الملتقيات العلمية، حيث تألق بعدما حاضر ونشر العلم عبرها، فلم يدخر جهدا خاصة بعد أدراك أهمية الخطابة والكتابة في تغيير المجتمع فاستغل كل طاقته لنشر الدعوة ومحاربة الأفكار الفاسدة، والمضلة ليزيح اللثام على العقل العربي، الذي صداً من كثرة الجمود والخمول، فكان له الفضل والتميز بما قدم للأمة العربية والإسلامية من اجتهادات، كان القرآن والسنة المحمدية منطلقا ودافعا لها ومحركا ليستيقظ هذا العقل من جموده وسباته .

لقد كان الشيخ مثابرا على الاستفادة المعرفية أينما حل وأرتحل، ولقد كانت فضاءات ملتقى الفكر الإسلامي بالبلدان العربية كالجزائر وغيرها، منابر للمحاكاة بمختلف علماء الأقطار، أثرت في شخصيته العلمية حيث نجده يقول عن الشيخ البشير الإبراهيمي :

الشيخ البشير الإبراهيمي تعرفت عليه في أعقاب محاضرة ألقاها في المركز العام للإخوان المسلمين، وكانت لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه في الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء، والحق أن الرجل رزق بيانا ساحرا، جذبنا الرجل بإيمانه العميق وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين، ومن الخطأ تصور أن الشيخ الإبراهيمي كان خطيبا ثائرا وحسب (...). لقد كان فقيها ذكي الفكر بعيد النظر .

(محمد الغزالي ، قصة حياة، 136، 137)

ونلاحظ أن الشيخ يتسم بالإنصاف والاعتراف لأهل الفضل ضمينا، في كل الوقائع والأحداث التي مر بها في حياته، وهو يوحى للقارئ من خلال سرده لقصة حياته أن تميزه كان بفضل ما رسخ لديه وتأثر به من قراءة أو معايشة لمواقف المشايخ والعلماء على اختلاف مشاربهم .

كما استفاد الغزالي من شيوخ كثير، نذكر منهم الدكتور محمد أحمد الغمراوي والشيخ الأمين الخولي، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ عبد الوهاب خلاف، والشيخ محمد لخضر حسين، والدكتور محمد عبد الله ماضي، والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ المجاهد الغيور محمد الأودن وآخرون .

16 وفاة محمد الغزالي

يقول الغزالي قبل وفاته بأسبوع :

كل كتاب كتبت، وكل محاضرة أو مناظرة أو ندوة شاركت فيها (...) إنما هي قلب يتحرك وعاطفة تتحرك (...) كل ذلك أقدمه بين يدي ربي، عز وجل يوم القيامة وأسأله أن يتقبل ذلك خالصا لوجهه تعالى (...) وأنا في ذلك محب لإمام الهدى محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام (...) وشريك الرجال للكبار الذين رباهم الإمام الشهيد حسن

أبناء، رضوان الله عليه، الذي علمنا كيف نفهم ديننا. (مسعود فلوسي، 2003، 41)

إن الرجل من خلال تصريحه يقدم خالص أعماله في جميع أشكالها مقروءة و مشاهدة أو مسموعة لله عز وجل، وكأنه يوحي بإدراكه لحقيقة وجوده وخلقه ممثلا لقوله تعالى:

" ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "، مؤكدا على حبه لنبي لأمة عبر جهود العلماء لعامة المسلمين، وفي هذا بقي وفيما لصديقه ورفيق دربه ومعلمه و موقض همته بعد النبي "حسن البنا" رغم انقضاء قرابة نصف قرن من رحليه، بل نجده في آخر كلمات كتبها صبيحة اليوم الذي توفي فيه، وكأنه يسلم المشعل الذي حمله طيلة إدراكه لكنه حياته، إلى من تتوفر فيهم قوة العزم و اتقاد الفك، ويدعو المنتصرين للإنسانية أن يلتفتوا إلى هذا التراث المحمدي، ويتدبروا ما جاء فيه لكي يحصلوا على طوق النجاة من هذه الحياة البالية الفانية ويدركوا حقيقة الوجود وسر الخلق والحياة وفي هذا يقول:

إننا نحن المسلمين المتقيدين بتراث محمد عليه الصلاة والسلام، نناشد الإنسانية أن تتدبر هذا التراث بدل أن تحاربه.

وفاته:

كثيرا ما كان يقول الغزالي : " أمنية حياتي أن أموت وادفن في الأرض المقدسة" ويشاء القدر أن تقبل أمنية الرجل شهادة من الله على صلاحه وقبولا لدعوته.

إذ سافر إلى المملكة العربية السعودية، للمشاركة في المهرجان الوطني للثقافة "الجنادرية" حيث لبي نداء ربه، فصعدت روحه إلى بارئها "في قاعة الملك فيصل" والقلم في يده بدون انقطاع للدفاع عن الإسلام، مساء يوم الجمعة 17 شوال سنة 1416 هجري الموافق 9 مارس سنة 1996م، ليُدفن بالبقيع، عاصمة النبوة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

المبحث الثاني : الحياة العلمية للشيخ محمد الغزالي

لقد كان الرجل يعيش في سكناته وحركاته متبتلا لله مهموما لحال المسلمين، فحضوره بلسانه مخاطبا للناس، أو كاتبا فقيها أدبيا بقلمه، يذود عن حمى الإسلام ويحمل هموم الأمة ويأسى ويحزن لحال ركودها وتخلفها عن ركب الحضارة بعدما كانت في عز ازدهارها تقود وتتزعزع المقدمة، أيام كانت هاته الأمم تعاني الجهل والاضطهاد وسوء المنقلب وتدني القيم الإنسانية، كانت الأمة الإسلامية تتمتع بنور العلم والأيمان، والتقى والعدل والتسامح والأمن والأمان (...). لم يتخل الغزالي عن هذا المسار الذي آمن به واتبعه حتى في آخر لحظات حياته وضعفه وشيبتته.

أولا : الغزالي والقراءة والمطالعة

يعتبر الغزالي شخصية فريدة وظاهرة متميزة، في كونه شغوفا محبا للقراءة، لا يمل ولا يكل في مطالعته كل ما تلحظه عينه أو تصله يده، موسوعي، فقد قرأ لأبي حامد الغزالي (تهافت الفلاسفة) كما قرأ لأبي رشد (تهافت التهافت)، واستفاد من أفكار أبي حامد الغزالي في الفلسفة، كما استفاد من آراء ابن تيمية في الفقه، وتأثر بالشيخ محمد شلتوت والإمام حسن ألبنا، وكان متحرر الفكر معاد للتعصب والتطرف، مهما كان شكله، فلقد أحترم الفكر الإخواني ، ودرس معالم الشيعة ودرس التوراة، واحترم السلف والفكر الصوفي، إلى جانب حسن حفظه وتدبره للقرآن الكريم .

قال فيه عبد الرزاق قسوم : لئن استحق أبو حامد الغزالي لقب حجة الإسلام قديما بما حكم في إحياء علوم الدين، فإن محمد الغزالي أستحق أن يلقب في عصرنا بحجة الصحوة الإسلامية، بما قدم للعقل المسلم من فقه وفكر مستنير، ومنهج تجديدي وفير. وهو اعتراف من عالم لعالم وداعية مفكر كان له الفضل الكبير في تنوير العقل المسلم وهدايته للحق.

لقد درس ودرس كتب وألف، جدد النظر إلى الدين والحياة، دعا إلى الله وأحسن الدعوة، درس أسباب الإيमान وأسباب السعادة، وكيف نعود إلى الله من خلال الفرار إليه.

يقول الغزالي عن شغفه بالمطالعة : طفولتي كانت عادية ليس فيها شئ مثير، وإن كان يميزها حب القراءة، فقد كنت أقرأ كل شيء، كنت أقرأ وأنا أتحرك، وأقرأ وأنا أتناول الطعام. (جواهر عبد المجيد ، 2005 ، 60)

إن تأثر الغزالي بالقرآن وامتناله لآياته يبدو جليا فيما قاله، وهذا مصداقا لقوله تعالى في سورة العلق : ﴿ ١ ۞ ٢ ۞ ٣ ۞ ٤ ۞ ٥ ۞ ٦ ۞ ٧ ۞ ٨ ۞ ٩ ۞ ١٠ ۞ ١١ ۞ ١٢ ۞ ١٣ ۞ ١٤ ۞ ١٥ ۞ ١٦ ۞ ١٧ ۞ ١٨ ۞ ١٩ ۞ ٢٠ ۞ ٢١ ۞ ٢٢ ۞ ٢٣ ۞ ٢٤ ۞ ٢٥ ۞ ٢٦ ۞ ٢٧ ۞ ٢٨ ۞ ٢٩ ۞ ٣٠ ۞ ﴾ . (العلق، 1 ،

(5)

فلقد ربط سبحانه وتعالى بين ربوبيته التي لا تدرك عظمتها إلا بالتدبر في الخلق، بداية من خلق الإنسان نفسه، وجعل سبحانه القراءة والقلم مفتاحان لكل العلوم التي يجهلها الإنسان، لقد أدرك الغزالي أنه لا مفر من حياة العوز والفقر التي كان يعيشها، إلا بالعلم والاجتهاد في طلبه، كما أن الوسيلة لترقية الروح ونبها وطمأنينتها لا تتأتى إلا بالثقة في الدين والفوز في مختلف العلوم .

لقد تميز الغزالي بالجمع بين العلم والتواضع، ومراجعة الذات حيث يقول : إنني أقوم بالعمل أحيانا، ثم أراجع دوافعه في نفسي، فأشعر أنني لم أكن فيه مخلصا كما ينبغي ! أغلبنى حب الدنيا، أو الاعتداد بالنفس، فأحس الألم والندم، وارى أنني بهذا الخلط، لا أصلح لولاية الناس . (محمد الغزالي ، مشكلات، 1982 ، 108)

إن الغزالي مع المكانة التي وصل إليها من العلم والإدراك لحقيقة العبادة والإخلاص لله سبحانه وتعالى، يؤنب نفسه ويعاتبها لما ورد عنها من تقصير أو تهاون، فكيف بحال المسلمين الذين لم ينالوا من العلم إلا القليل، وهذا حال أحد العلماء المشهود لهم بالمقدرة والغور في ما جاء بالتنزيل .

وعن أمله في تكوين جيل من العلماء ينطلق من قواعد سليمة وصحيحة ويتخذ من العلم منهاجاً للحياة يقول :

نريد أساتذة وطلابا يسعدون بالمعرفة، ويتلذذون بالبحث ويحترمون الكتاب، ويرون الدراسة عبادة، والسهر في التحصيل تهجدا وتقع الأمة بأي نوع من العلوم قريبة لله.

(محمد الغزالي، مائة سؤال، 2005 ، 109)

لقد كانت مكاسب روحه التواقة، ونفسه الجامعة إلى القراءة المتنوعة، خلفية قوية جعلت منه كاتباً بارعاً ومحاضراً مقنعاً، يشد له الذهن والبال، وتولد عنها قلم لا يجف له حبر دفاعاً عن الإسلام .

ويعترف الغزالي أن الفضل لما توصل إليه إلى تحسين صلته بالله ولما قرأ لمختلف الأئمة وفي هذا يقول :

أنني أعترف بأنني حسنت صلتي بالله كثيراً على أثر كلمات تراثها للغزالي، وابن الجوزي، وابن تيمية، وابن القيم وابن عطاء الله الإسكندري، مع ما بين أولئك جميعاً من تفاوت المشرب واختلاف النظرة . (محمد الغزالي، ركائز الإيمان، 110-1985)

ثانياً: الغزالي و الكتابة والتأليف

إن التراكم المعرفي الذي حصل عليه الغزالي من خلال حقول معرفية متعددة مختلفة المشارب والمآرب، حول الدين والعلوم الإنسانية والطب وغيرها من سير الرجال العظماء والتاريخ والحضارات البائدة منها، والبادية وكذا الأدب وفنونه والفلسفة، كل هذا جعل الرجل يوازن الأفكار في داخله ويلاقحها يشد الكثير منها ذكاؤه وفطنة عقله وبصيرته فراحت تتبادى بنات الأفكار لديه، وتختلف رؤاه حول الواقع المجتمعي والحياة ليلج باب الكتابة والتأليف وهو مجهز ومتسلح بالخبرة وسعة الاطلاع، بعد استكماله للمؤهلات ونظراً لتميزه وتفردته بالإبداع في هذا المجال، راح الرجل يشق طريقه وكان غالباً ما يكتب بعد صلاة الفجر، وكانت كتاباته في الغالب هي الأولى والأخيرة دون مراجعة أو تنقيح، وأول كتاب ظهر للوجود من تأليف محمد الغزالي تحت عنوان : الإسلام والأوضاع الاقتصادية، وفي هذا يقول سرنبي أن تظهر طبعة جديدة من هذا الكتاب (...). ذلك أنه أول كتاب الفتنة، فله في النفس مكانة .

(محمد الغزالي ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، 2005، 5)

تعقيب: من بين ما يأخذ الكثير من النقاد على الغزالي سلبية على تصريحه هذا، من حيث انه يكتب ولا يراجع ما كتب، كونه مهما بلغ من العلم فهو بشر يخطئ ويصيب، عاملين بالمقولة الشائعة بين الفقهاء والعلماء، " كل يؤخذ منه ويرد، إلا صاحب هذا القبر " ، يقصدون النبي عليه الصلاة والسلام.

لقد جمعت كتاباته بين الدعوة والإصلاح، وبين البحث والتربية وبين النصيح

والإرشاد ، و مما يشد الانتباه أنه جمع بين الكثير من القراءات المتضاربة، سنة وشيعة، أدبا وفلسفة، قرأ القرآن ودرس الأناجيل ،كان الغزالي يجبل النظر بتفكير ناضج، وحواس سليمة وأحكام دقيقة، في كتب الغزالي، أحداث وتجارب وحكم وحقائق ووصايا واقتراحات، ترجمت معظم كتبه إلى اللغة الانجليزية والفارسية والاندونيسية ، كان يكتب وتنطلق كلماته وأفكاره، ممزوجة بذوب النفس وعصارة الفكر ، ونبض القلب ، وإخلاص الوجهة والقصد .

ثالثا : الغزالي الداعية

يقول الشيخ يوسف القرضاوي :

الغزالي داعية موهوب وقد أتاه الله أدوات عدة للدعوة، في مقدمتها الخطابة (...). إن خطبه دائما تخدم موضوعا علميا محددًا يوضح معالمه وعناصره، ويستدل له بالقرآن الكريم الذي يستحضر آياته في كل موضوع، كأنها مصنفة بين يديه، ومن السنة المطهرة التي قرأ الكثير منها، فأحسن قراءته، والفهم له، والاحتجاج به، وهي دائما مرتبطة بالواقع، تقوم عوجه، وتعالج أمراضه، وتسدد مسيرته في ضوء تعاليم الإسلام، وهو في خطبه معلم موجه، أكثر منه خطيبا محرضا، وهو يخطب كما يكتب، عذوبة ورشاقة وأناقة، فخطبه كلها أدبية لا نجد فيها حواشي الكلام، ولا سوقيه وهو متمكن من اللغة واع لقواعد النحو والصرف، لا يلحن ولا يخطئ، كأنما يقرأ صحيفة مضبوطة الشكل (...). أنشأت هذه الخطب مدرسة إسلامية في فهم الإسلام وإفهامه، وهي مدرسة تقدم الدين من ينابيعه الصافية، موثقا بالأدلة، خالصا من الزوائد والشوائب بعيدا عن التحريف والتزييف، لا تسكت عن حق ولا تتكلم بباطل ولا تتبع دينا بدنيا .

(يوسف القرضاوي ، 64، 2000)

إن هذه الشهادة التي قدمها القرضاوي في الشيخ محمد الغزالي، تعد شهادة تاريخية من رفيق قريب منه في الفكر والحل والترحال، وجاءت بعد تجربة ومحاكاة لشخصي بدءا من السجن إلى مختلف منابر العلم والدعوة، ففي هذه الشهادة يفصح بوضوح ويصف شخصية الغزالي التربوية واسعة الفكر والصد، معتدلة الفكر وسطية التوجه، بعيدة عن التطرف والمغالاة، هدفها إعلاء كلمة الإسلام وشموخه في أسمى معاني وقيم التربية السمحة، التي تلملم حال الأمة وتبعدها عن التشرذم والتفرقة، وترسم لها منهجية حديثة متوافقة مع الحداثة منطلقة ومعتمدة على أصالة الدين المتمثلة في القرآن والسنة

المحمدية (...). إن جهود الرجل كانت سامية المقصد والهدف، لقد جعلت قلوب رعيلا بأس به عن شباب الأمة الإسلامية عبر مختلف ربوع الأرض، ينشئ مدرسة فكرية إسلامية راقية، تنتهج الوسيطة مذهبها، ولا ترفض مسايرة الجديد في الحياة مهما كان مصدره، ما دام لا يتعارض مع مبادئ الإسلام، المبتوث فيها بالنص في القرآن وإثبات السنة .

إن تمسكه بهذا المبدأ يعد:

1- اجتهاد عالم من باب سد الذريعة على دعاة الانطواء والتفوق على الذات والاكتفاء بما يعنى باللفظ من الدين، وحصره في العبادة المغلوطة التي تطلق الدنيا وحيثياتها وترفض الاستفادة من كل ما بث فيها من نعم إلهية، بدل أن تجعل منها مطية للأخرة.

2- وقف الغزالي باعتماد مبدئه الوسطي في الفكر الإسلامي ورؤيته الواضحة للحياة ضد من يريدون التماهي والاندماج في مدنية الحياة الغربية الخالية من الروح الإيمانية، والكثير من القيم الإنسانية والأخلاق السامية التي تحفظ قيمة العنصر البشري وتبعده عن الانغماس في الشهوات الحيوانية، فلا إفراط ولا تفريط فالمسلم كيس فطن، يميز بين الخير والش، والقبيح والملح، ولا تحكمه الأهواء فهو يدرك أنه مخلوق صاحب رسالة، مكلف من قبل الخالق، أخ لكل إنسان تجمع به العقيدة السمحة لا يعادي إلا من عاداه واضطهد دينه الإسلام، وفيما عدا ذلك فالله هو مسير الخلق، ورب مخالط للإسلام أدرك حقيقته، فحسن إسلامه فأضاف الكثير لأمة التوحيد واقتنعت به البشرية .

3- اتبع الغزالي منهج علماء السلف فتخلق بأخلاقهم، فكان يغير أفكاره بتواضع وشجاعة كلما زاد تحصيله، أو تبين له بعد قوله عن الصواب، كانت أفكار الغزالي ثورة على النفس، قبل أن تكون ثورة على قيم راکدة شاعت بين الناس .

(لطيفة الكندري ، ملك بدر، 14)

قالت الباحثة هبة رءوف :

لقد نشأ الغزالي في الريف، حيث تحط التقاليد من شأن النساء فكانت كتاباته المبكرة متحفظة على مشاركة المرأة في المجتمع، ولكن حين زاد وعيه بأوضاع المرأة المتردية نصر قضاياها .

(آل رشي ، 50 2002)

يقول الشيخ القرضاوي : ان الشيخ الغزالي ليس داعية بلسانه فحسب، بل هو داعية بقلمه كذلك، حتى أن أكثر الذين عرفوه - وأنا منهم - عرفوه أولاً من نتاج قلمه (...) وهو صاحب قلم متميز ببلاغته وروعة أسلوبه، وقوة منطقه، جنده للدعوة من أول يوم لتوضيح معالم الإسلام، وبيان حقائقه، والرد على أباطيل خصومه في الداخل وأعدائه في الخارج ... ومن قرأ للغزالي أدرك أنه أمام كاتب مقالة من الطراز الأول.

(محمد الغزالي، قصة حياة ، 2006، 69، 75)

رابعاً : أسلوب الغزالي في الكتابة والخطابة والتواصل :

لقد كان أسلوب الغزالي في الكتابة والخطابة أسلوباً سلساً سهلاً، يشد العقل ويحيي القلوب ويشمل العواطف، تصغي له الأذان حين يتكلم، فهو يخاطب الفطرة ويعالج مشاكل المجتمع، ولا ينفك يبتعد عن الواقع المعاش بين الناس، يهز المشاعر ببساطة اللفظة وصدقها، فتخرج من قلبه عبر لسانه لتصل أعماق قلوب السامعين، يشاركهم همومهم ويحي فيهم الغيرة على الدين الإسلامي والوطن والعروبة، يبكي لحالهم وينتصر لضعف العامة من المسلمين، وهو في كل ذلك يصوغ الفكرة التي تشغله في أسلوب أدبي بياني بليغ وبديع يزاوج فيه بما حقق من فهم لآيات القرآن، وانعكاس ذلك ومسايرته لواقع المجتمع، يبدع في كل مرة و يبحث عن الجديد في مجمل المعاني ويعطي أفضل الافهام بعد أن يتدبر ليصل بثقافة المتتبع إلى مستوى يرفعه إلى النضج، ويبعده عن سطحية القراءة لتنزيل القرآن الحكيم أو سنة النبي الكريم .

- ولعلك تدرك معنا أن الأسلوب ما هو إلا جمال وبيان، وانسجام وتأليف، وجزالة الألفاظ مع وضوح القصد والنية، (...) والأسلوب وفقه بين الطول والإيجاز، ووضوح العبارة و البلاغة ما هي إلا تأثير إقناع حسن . (شعيب، إ، ع ، 2008، 5، 7)

لقد أبدع الغزالي في معالجته لمختلف قضايا الأمة الإسلامية، بأسلوب أدبي رفيع جمع مقاربه الواقع بالنص القرآني وفقه السيرة النبوية، بين وضوح الفكرة وجمال العرض ونصاحة البيان، ونجد الكثير ممن عاصروه من العلماء يشهدون له بذلك .

حيث يقول عبد الحميد قطب واصفاً أسلوب الغزالي بأنه :

يجمع أهل البلاغة منذ الجرجاني إلى الجاحظ، على أن سر الجمال في كل أثر أدبي يعود إلى الصياغة المحكمة، بحيث يتعاون الشكل الباهر مع المضمون القاهر في أدب محمد

الغزالي، وفي كتاباته ، حيث يستحوذ بهدوئه ورسانته على القلوب والعقول .

(قطب عبد الحميد، 1990، 21)

كان الشيخ يوظف الشواهد والأمثلة والقصص من أجل الإمتاع، وكذا الإقناع، في خطابه وكتابه، وحتى النكت من أجل الوصول إلى إبلاغ الهدف ووضوح الفكرة وترسيخ سلوك تربوي، يرى الناس قد عزفوا عليه فأسقطوه من تعاملاتهم وأهملوا مقدره .

وفي مثل هذا الموقف يقول الغزالي :

دين الإنسان ينقص بقدر ما يصحب عاطفته الحارة من نقص علمي أو عجز فكري، وما تظننا ناسين قصة الدبة التي قتلت صاحبها من حيث تريد حمايته، وان العقل للإيمان كالبحر للسائر، هيهات أن يرشد سيره إذا فقده .

(محمد الغزالي ، الجانب العاطفي من الإسلام ، 2005 ، 9)

كذلك مما نجده في أسلوب كتابته لكثير من كتبه، يعالج قضايا مختلفة تهم المجتمع تحت عناوين كثيرة لكتاب لا تتجاوز عدد صفحاته 250 صفحة، وهو في رأيي أسلوب ناجع وشيق اعتمده الشيخ الغزالي لشد استمرارية القارئ واسترساله في القراءة، فلا يصاب بالضجر أو الملل، فسرعان ما ينتهي من قراءة قضية ويطلع على حلها ليجد نفسه قد دخل في قضية أخرى، ينجذب إلى قراءتها والإطلاع على ما جاء فيها، فيتجدد عزمه وكذا تتعدد الفوائد بهذا الأسلوب، ولنا في كتابه - الجانب العاطفي للإسلام - بحث في السلوك والخلق والتصوف، مثال على ما ذكرنا، حيث كلما قرأنا قضية خلصنا إلى قيمة أو قيم خلقية واجتماعية كثيرة، ونجده في كثير من الأحيان يزوج في تحليله بين الحقائق العلمية المكتشفة غربا أو شرقا في حداتها وما سبق من إشارات ودلائل عنها، في مختلف آيات القرآن الكريم، وهو يدل على أن الاكتشافات هي وسائل للوصول إلى حقيقة الوجود وليست غايات ينتهي عندها الإدراك الإنساني.

فنجده يقول في المال مثلا: نوهنا أشد التنويه بقيمة المال، وقدرة الأحوال المادية على حمل الكثي، بيد أننا لا نريد أن ننسى أبدا أن الأوضاع الاقتصادية التي نريد السيطرة عليها وسائل لا أهداف، وأن القصد من توجيهها هو خدمة غايات أعظم .

(محمد الغزالي ، نفس المرجع ، 87)

نجد من أسلوب الشيخ المتميز، تتابع المرادفات، والتوضيحات بالمضادات من المرادفات، لتيسير المعنى والتبرير بما يلائم من آيات القرآن، وكذا مقاربة القضية بالحياة المعاشة، وكثيرا ما يدخل الاستفهام والاستغراب ليشد انتباه القارئ كقوله:
لا إيمان إلا لضمير يرفض الدنيا ويرقب الرحمان، ويحرص الحدود والحقوق ويتمخض لله وحده ابتغاء ما عنده ! . (محمد الغزالي ، الجانب العاطفي من الإسلام ، 2005 ، 4)
وكثيرا ما يحمل الشيخ هم مقاربة الدين بواقع المعاصرة لدى العالم والمسلمين ويجتهد عبر أعمال فكره في إيجاد ذلك لكي تحسن المؤلفه بين الدين والدنيا، والروح والمادة .
وفي هذا يقول:

وقد حرصت على ضبط المفاهيم الإسلامية، وتقريبها إلى الأجيال الجديدة، وكان همي الأول كيف أصل بين العمل المطلوب في هذا العصر لنصرة الإسلام، وبين المعاني الروحية المتوفرة لدينا، كي تنطلق هذه الأعمال بطاقة داخلية قوية، ينتعش بها الحق ويسبق . (نفس المرجع، نفس الصفحة)

وهو في ذلك لا يرى إمكانية لصلاح الحياة إلا يتوافق المادة والروح، فهما دفعتي شراعتها كما أنه يمكن تمثيلهما بجناحي طائر، لا يمكن أن يرقى هذا الطائر في الجو إلا بسلامتهما معا، ووقوع خلل في أحدهما يمنع حدوث الطيران، ومرافقة باقي الطيور في الجو، فما بالك أن يصاب كلا الجناحين، أو تعطيل كلتا الدفتين، فالمصيبة كل المصيبة كما هو الحال عند كثير من المسلمين تفريطهم في دينهم وضعف جانبهم الروحي، وكذا تأخرهم عن مواكبة الحضارة فهم قوم تبع ! .

وفي نفس الصفحة يقول أيضا :

هناك متكاسلون في طلب الدنيا ، والكسل صفة رديئة، وعبادة الدنيا صفة رديئة والإسلام يحتاج إلى دنيا تخدمه، وتدفع عنه وتمد رواقه، فكيف السبيل إلى جعل القلب متعلق بربه، يملك الدنيا كي يسخرها لخدمته، ويجمع المال والبني ليكونا قوة للحق وسياجا يحتمي بهما ؟ .

خامسا : من أهم القضايا الفكرية والاجتماعية التي عالجها الغزالي

✓ موقف الغزالي من التدين الخاطئ والحادثة :

يرجع الغزالي وهن الأمة والإسلامية، وتدريجها الحضاري من القمة، بعد دولة الموحدين إلى وقوع الانقسام المفاجئ لشخصية المسلم بعد ما كان يوازن في حياته بين

الروح في التدين السليم، والاجتهاد والحرص في سبيل اكتساب العوامل المادية المساعدة على التطور لتبقى كفة القوة لصالحه، ومقومات الحضارة بملكه، فيضمن الصدارة للإسلام والمسلمين بحوزته، وحين وقع الانحراف الحضاري لدولة الإسلام فقدت الدولة والأفراد السيطرة على القيم، والمقومات الروحية والمادية، وعمل التدين المغلوط عمله . فعدد كبير من المسلمين - في قرون مضت - حسب الذكر أثر عمل عند الله، وأدنى إلى إرضائه من أي عمل آخر، أو ربما حسب أن درجة الإحسان لا تتال إلا بطول الذكر سواء في الصوامع المعزولة، أو المجالس الحافلة، فكان الاستكثار من الأوراد وأنواع التلاوات، وانتشرت السبح في الأيدي، تعد الأصابع على حباتها ما يمكن عده من أسماء الله الحسنى !!، نحن نستعيز من تهوين عبادة كريمة، وندعوه جل شأنه كما علمنا على لسان نبيه اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

(محمد الغزالي ، المرجع السابق ، 72)

لقد درس الغزالي هذه الظاهرة، ووقف عند التحول الذي طرأ على التدين مقتنعا ومبينا أن هذا الانحراف والضعف الروحي لم يبرز من عدم، وإنما هو نتيجة حتمية لو هن أصاب الدولة الإسلامية، أيان استسلمت لضعفها وسلمت لغيرها مقاليد أمرها، وحياتها بعد سقوط الخلافة الإسلامية واستيلاء الدول الاستعمارية على ثروات البلاد، وحياة العباد.

ثم تفاقمت أزمة المسلمين وعششت بين أظهرهم، مختلف الثقافات الدخيلة التي طمست الهوية الحقيقية لهم، وبثت مختلف سمومها في أفكار أبناء الأمة، ووكلت البعض منهم مسلوب الإرادة، وداعمي التبعية مهمة الدفاع عن تواجدها، ولو في غياب أهل هاته الثقافات الأصليين، مما شوه صورة العبادة وحقيقتها، وأهدافها وكيوننتها الروحية وتسلسل هؤلاء المضللين مشوهي الهوية، حتى بسطوا سيطرتهم على كثير من مراكز القوى لهاته الدول (...). وأصبح لفساد التدين والعبادة مظاهر وأوجه ومواقع مختلفة فعزف الكثير من أبناء الأمة عن التدين واعتبروه رجعية لا تواكب العصرنة، ولا التطور الحضاري ولا تخدم أفاقهم وطموحاتهم، بينما انطوى آخرون عن أنفسهم وتمسكوا بما ورثوا من الآباء والأجداد، رافضين كل حديث وجديد، معتبرين ملذات الدنيا ونعمها مطية الكافرين، وأن العزوف عنها والتمسك بالسلفية والتشدد - حسب قولهم - على الموروث من قيم تعبدية وتمظهر للدين، هو صحة وسلامة الرسالة والدين.

لكن الغزالي بروية وإدراك بالبصيرة، وصل إلى نتيجة مفادها أن الجنوح الفكري إلى أحد الطرفين المذكورين سالفًا يعد خطيئة يدفع وزرها كامل أبناء الأمة الإسلامية، وبين هؤلاء وهؤلاء، وجد صنفاً آخر بقي مشدود الرؤى، مشدودها غير مقتنعا بتصرف وتوجه الفريقين، رافضا تصرف الطرف المتماهي مع الظواهر، وكذا عزوف الطرف الأخر عن مجارات الحداثة، باحثا بينهما عن وجهة ومخرج سليم، وتموضع وسطي يضمن كرامتهم ودينهم ومعيشتهم وكذا رفاهيتهم، يحتاج هذا الصنف إلى إرشاد وتوجيه لذا كان لابد من وجود دعاة يصفون وينشرون النور على العقول، ويأخذون بأيدي الناس إلى بر الأمان والتعايش مع الآخرين، في كنف البعد العام للإنسانية .

وفي هذا يقول الغزالي: " لقد راقبت الكثير من الشبان الذين يستحبون خدمة دينهم وأفزعني أن الخط الموروث يهيمن عليهم، إنهم لا يحسبون عرق الجبين في البحث عن البترول، أو تلوث الجبهة وراء آلة دوارة، لا يحسبون ذلك جهادا، إن الجهاد في وهمهم تلاوات وأوراد، وتكرار ما تيسر من ذلك مادام في الوقت متسع ."

(محمد الغزالي ، مشكلات 1979 . 25)

وهي دعوة إلى الخروج من المأزق الفكري المحسوب على العبادة، والخروج إلى حقيقة الوجود والحياة المبنية على العمل الحسن كأساس للعبادة .

ونجد الغزالي في موقف آخر يخرج العبادة من المفهوم الضيق قائلا :
 " عندما ننظر إلى العبادات السماوية نجد أداءها في اليوم والليل لا يستغرق نصف ساعة، ونجد تعاليمها تستغرق صفحة أو صفحتين، ويبقى الزمان بعد ذلك واسعا والمجال رحبا لفهم الحياة، واستكشاف طاقتها وتسخيرها كلا وجزءا لخدمة الدين ."

(محمد الغزالي ، السنة بين أهل الفقه ، 1990 ، 108)

إن الغزالي بكلامه هذا يدعو المسلم إلى إعادة التدبر فيما حوله من وجود، في الكون وفي السماء، والحيوان، والنبات، ويفكر ليستدل عن سر العقل الذي زوده الله به، هل يبقى حبيس منطق ضيق، أم يفعله لإدراك الحقيقة الكاملة عن الله والوجود .

وفي استنهاض لهمة الشباب وإرشاده إلى تقديس العمل واعتباره من أجل العبادات وجزاؤه أوفى وأعم يقول الغزالي :

"والأمر الذي يزيد فتح الأبصار والبصائر عليه مثنى وثلاث ورباع أن العناية بهذه الوسائل العادية، والشؤون الدنيوية علما وتطبيقا عبادة لله وحياطة للدين (...). إن هذه

الذي يحي عليه الناس الآن، فهم بدل إيقاظ العقول اهتموا بقضايا تصرف الناس عن استنهاض الهمم لديهم، وتركهم إلى التواكل وعدم الأخذ بالأسباب، في تطوير حياتهم ويكاد حديثهم لا يخرج من الاستعداد لليوم الآخ، والزهد في مقومات الدنيا الزائلة فيرسخ لديهم الشعور بالتحضير ليوم الرحيل والموت، دون الاستعداد لهذا اليوم والذي كما أشار الغزالي، لا ينحصر في توفير هذا الاستعداد بالمكوث بالصوامع والمساجد وإنما من قبيل الفطنة هو التمسك بفرائض الدين، والتشمير على السواعد للعمل والإبداع فالسما لا تمطر ذهباً ولا فضة !!.

سادساً: اقتراحات الشيخ الغزالي لتغيير حال المجتمع

يؤكد الغزالي على انه يجب تغيير نمطية الدعوة، وتكوين دعاة مؤهلين يخضعون لتكوين علمي، وديني يخدم المجتمع ويدفع أفرادهم إلى العمل والإنتاج دفعا .

فهو يقول :

"إن التعليم الديني يحتاج إلى عقل فيلسوف، وعاطفة أديب ودقة مشروع، وشجاعة فارس، وبر والد، وإيناس صديق " (محمد الغزالي ، معركة المصحف ، 129)
لم يوجه الشيخ نقده لهؤلاء من باب انتقاص مكانتهم، وإنما على العكس من ذلك، فعليهم يقوم الأمر كله وفي هذا يقول :

أنهم يصنعون النفوس، ويرسمون الأهداف، ويقومون مقام الأنبياء في التزكية والتقويم وتبيان الحلال والحرام، ويتعهدون سير القافلة حتى تبقى أواصرها بالسما متينة فيذكرونها إذا نسيت ويقوونها إذا وهنت . (محمد الغزالي ، نفس المرجع 13)

لقد كانت تجربة الشيخ في الخطابة ناجحة إلى حد بعيد، في استمالة وكسب قلوب الناس مما جعله يلح على هذا الأم، فهب أن أئمة ودعاة الأمة، خلال خطبهم يعالجون قضايا المجتمع بعين المتبصر المثقف، المدرك لمشاكل المجتمع ومن ثمة للحلول، فينتقدون الظواهر السلبية، والانحرافات الخلقية ويعطون الحلول الناجعة، للحفاظ على لحمة الأفراد والجماعات، ويحيوا التراحم والتآلف والتضامن والتآخي بين الأفراد والجماعات ولنا في التاريخ تجربة، فكثير من الخطباء أمثال الغزالي كانت تفرش الشوارع للاستماع إليهم نتيجة اكتظاظ المسجد، فالمسلم يقبل الانقياد والتوجيه حين يلتمس الصدق والحجة المقنعة، فهو يسلم ويدعن ويأتم، فيكون حال الوطن أحسن حال لو صدق الداعية أو الخطيب وصدق الرئيس والمرؤوس، ورجعت الوطنية والثقة بين كل هؤلاء أكد

سيتغير حال الوطن إلى الأفضل، فيصبح الغير مبال مهتم والمفرط حريص والمنكر يعنى به الجميع، كما أن المعروف يشترك فيه الجميع .

لقد جاء الغزالي بفكر جديد يدعو إلى كسر الجمود القائم في أفكار الفقهاء، وتحرير عقولهم من الموروث الغير مسجى، في كثير من رؤاهم، وهذا الأمر ليس دعوة إلى الزهد في المكتسبات الثقافية عامة، ومعالم الهوية، وإنما هي دعوة إضفاء الحيوية والانفتاح على الآخر، والإقبال على ما يمكن به إفادة الأمة الإسلامية من منجزاته وطرق ومناهج تعامله مع الطبيعة والحياة، ما لم يكن فيه إخلال لما ورد فيه نص من القرآن، وقطعت في بثه السنة، لأن الأصل في النعم الحلال، إن هذه العقلية يمكن عبرها مسيرها التطور والركب الحضاري، بل هو فرصة متاحة لإبداع عقل المسلم، الذي حباه الله بكثير من القدرات والإمكانات .

إن هذا المنطق الجديد الذي دعا إليه الغزالي، هو دعوة إلى تحرر الذات وفق القيم الإسلامية العامة، وترقية لها، وفسحه لتجديد طاقة الأفراد وإخراجهم من حالة الكبت والاعترا ب عما يدور حولهم، والخروج من الدائرة الضيقة للرؤية والفكر، نحو مختلف قضايا الدين والحياة، إلى رحابه خلق وكون الله سبحانه .

سابعا : قراءة سوسولوجية لكتاب "كيف نتعامل مع القرآن" ؟ للغزالي

حاولت من خلال ولوجي لهذا الكتاب تقديم قراءة تحليلية سوسولوجية، لأهم ما جاء فيه من معالجات ، لأهم القضايا التي تطرق لها الشيخ محمد الغزالي، من قبيل مقاربتة الموضوعية للقرآن الكريم.

فمن خلال مدارس أجراها الأستاذ، عمر عبيد حسنة، تضمنت أسئلة متنوعة للشيخ محمد الغزالي، كان قد تبنى صيرورتها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وبإشراف من الأستاذ طه جابر العلواني، تم من خلالها مناقشة قضايا تتعلق بأمر المسلمين عامة لها بعد في القرآن، ويقف عليها واقعهم الاجتماعي، حاولت تفصي إجابات الشيخ الغزالي في بعض جنبات الكتاب الذي جمعت فيه والمعنون بكيف تتعامل مع القرآن ؟ وكذا فهم السنة النبوية لمطهرة بأسلوب وفهم فكري جديد، يتم فيه استحضار واستشراق روح القرآن الذي يتواجد ككتاب ونصوص بين الناس، وتحمله المكتبات في البيوت والمساجد ويلقي الهجر والنسيان، هي اجتهادات لعلماء؟ أرادوا إنهاء حالة الهجر والقطيعة، التي لازمت المسلمين قرونا عدة، وثلت عقولهم، وجسدت شعورهم ومشاعرهم اتجاه القرآن

فراحوا يلتمسون القوة والنفوذ في غيره من الشرائع والقوانين، نتيجة تعطل المناهج لديهم ومن هذا المنطلق قرروا اعتماد قراءة سليمة لما حواه هذا الدستور الرباني، الذي حوى الزمان والمكان، وصيرورة الحياة والفناء للإنسان .

إن خصائص القرآن لا يمكن تلمسها إلا في وحدتها الكلية، وشمولييتها الدهرية وهو ما سنقف عليه من إجابات للشيخ الغزالي .

إن شروط الوعي المنهجي المعاصر، والذي نلتمس بعضا من دلالاته في هذه المدارس لا يتم بمجرد الانتماء الزماني لهذا العصر دون انتماء مكاني، فالنمو والتطور ليسا مجرد تراكم كمي لمستجدات معاصرة، تضاف وتلحق ببناء المجتمع القديم، وإنما هو تحول كفي في بنية المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، تستدعي توأصلا جديدا مع القرآن، وبشروط وعي جديد يكونها هذا الواقع المستجد، فمفهوم المعاصرة، أو المجتمع المعاصر لا يعني استمرار المجتمع القديم بأزمته الفكرية في مرحلة زمنية متقدمة وإنما يعني ما يصيب هذا المجتمع من تحول تاريخي، يستحق بموجبه صفة المعاصرة، وفق مقاييسها الموضوعية العالمية الراهنة، التي تمكنه من إعادة وجوده، وفي ذلك إعادة اكتشاف المعنى القرآني نفسه في واقع متغير، وعلى هذا الأساس فإن الكثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد ترى نفسها معاصرة للعالم بالقياس الزمني، أي لأنها موجودة في نطاق هذا العصر، ولكنها لا تعيش في الواقع حالة عصرية، تتفتح بموجبها على شروط الوعي الحضاري العالمي الجديد، بما فيه من عقلية نقدية وتحليلية، وتطلع إلى ضبط المعرفة بالمنهج ومعالجة مشكلات العصر. (محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن، دت ، 8)

ويستطرد طه جابر العلواني في التقديم لهذا الكتاب واصفا حالة الاغتراب المتقدمة والتي وصل إليها المسلمون، وظهر عجزهم عن إحداث توافق وموازنة بين موروثهم الثقافي الديني، وبين الحراك الحضاري المتسارع للأمة الغربية قائلا :

انه نتيجة لهذا الفصام ما بين وجود المجتمعات العربية والإسلامية اليوم، بأزمته الفكرية التاريخية وانغلاقها وإنشدادها إلى الماضي، وكونها تعيش في حقبة الزمن العالمي المعاصر، أعطاهها ذلك شعورا بالمعاصرة من جهة، مع عجزها عن التفاعل المكاني الزماني الذي يؤهلها لاكتشاف شروط الوعي العالمي المعاصر من جهة أخرى، ولذلك نجد أن بعض القيادات الفكرية لهذا المجتمعات، لا تزال تعيد التأليف في فكر الواقع التاريخي وحده، وتحاول إعادة إنتاج مراحل سابقة في مراحل لاحقة، دون اكتشاف

مضمون المتغير العالمي تاريخيا واجتماعيا، إنها تكتفي بترديد موضوعات السلف الصالح، رضوان الله عليهم، بما كانوا عليه من اجتهاد في عصرهم وفي قضاياهم دون الأخذ بمضمون المتغير التاريخي وضرورة الاجتهاد في عصرنا هذا .

فعوضا من أن نجعل من السلف الصالح قدوة في الاجتهاد، جعلنا منهم نماذج للتقليد

(نفس المرجع ، 8)

يصف الأستاذ عمر حسنة الحالة التي تتم عليها مدارس القرآن بالركود، نظرا لعدم تجاوزها المؤلف من التقليد في الحفظ والقراءة منذ قرون، وكأن واجب المسلمين نحو القرآن يتوقف عند هذا الجانب من علوم القرآن، واكتفوا بما وصل إليه المجتهدون من العلماء والفقهاء في التفسير والتنظير لحفظ القرآن منذ عصور غابرة، كاجتهادات ابن عاشر والشاطبي، وأبن تيمية وأبي حامد الغزالي، والطبري، وما ورد عن المذاهب الأربعة، مع أن المسلمين متفقين على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، أي أنه يتأقلم مع كل جديد في الحضارة، ولا تتوقف فهمه على عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة، إن المتعاهد عليه الآن في مختلف المؤسسات التعليمية للقرآن هي القراءة والاستظهار ومراعاة قواعد التجويد، ومخارج الحروف، وهو الأمر الغالب في الاهتمام. ويقول عمر عبيدة حسنة : إن الأزمة التي تعاني منها، ليست بافتقاد المنهج (مصدر المعرفة موجود) ومعصوم، ومختبر تاريخيا ... لكن المشكلة بافتقاد وسائل الفهم الصحيحة، وأدوات التوصيل وكيفية التعامل مع القرآن، أي منهج فهم القرآن والسنة

(محمد الغزالي ، المرجع السابق ، 14)

وفي هذا المضمار يستطرد عمر عبيد حسنة ، مشيرا إلى أسباب توافق العقل المسلم عن الإبداع والإثراء لمختلف العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم مشيراً إلى أنه : أصبح كف العقل عن فهم وتدبر القرآن، مناخا عاما يصعب الانفلات منه وجاءت ثمرة ذلك، مجاهدات عقلية، وجهود فكرية غير مجدية استغرقتها مسائل الفروع، من المتون والحواشي والشروح والاختصارات، وضاعت بذلك مقاصد الدين، وحوصر امتداد القرآن والسنة عن شعب المعارف الأخرى .. وانطفأت بذلك جذوة العقل السليم ... لقد أورتنا مناخ التقليد الجماعي الذي عطل فينا ملكة الاجتهاد والإبداع، والانجاز لقرون طويلة نوعا من العجز المزمّن، جعلنا دون سوية التعامل مع القرآن، وإدراك سننه في الأنفس والأفاق ... أصبحنا إتباعا مقلدين، غير قادرين ليس فقط على تجاوز فهم

السابقين والامتداد بالآيات إلى أفق إضافية، وإنما عاجزين أيضا على الإتيان بمثال آخر غير ما جاء به الأقدمون، وهذا من أشنع حالات التقليد .
ويسترسل الكاتب متسائلا بالحاح، كيف يمكن التعامل مع القرآن، وتدبر آياته والإفادة من معطيات العلوم، واليات فهمها، ليكون القرآن مصدر المعرفة، وفلسفتها في شعاب العلوم الاجتماعية جمعيا ؟ .

1. آية إرجاع المسلمين إلى الصدارة :

عن سؤال حول الآليات التي تعيد المسلمين إلى الصدارة وبناء نهضتهم من جديد والرجوع إلى القرآن كقوة دافعة .

ينتقد الغزالي بشدة تعامل المسلمين مع القرآن الذي لا يتجاوز ضبط مخارج الحروف وإتقان الغنن و المدود، وما إلى ذلك مما أتصل بأحكام اللفظ للقرآن يقول :
(...) لكنهم بالنسبة لتعاملهم مع كتابهم، صنعوا شيئا ربما لم تصنعه الأمم الأخرى ، فإن كلمة " قرأت " عندما يسمعها الإنسان العادي أو يقولها، تعني أن رسالة جاءت وكتابا وقع بين يديه، فنظر فيه أو فهم المقصود منه فمن حيث الدلالة لا أجد فكاكا بين الفهم والقراءة وبين السماع والوعي.

أما الأمة الإسلامية فلا أدري بأية طريقة فصلت بين التلاوة والتدبر، فأصبح اليوم يقرأ القرآن لمجرد البركة، كما يقولون . (نفس المرجع ، دت ، 25)

والأمر في آيات القرآن الكريم مخالف لسلوك المسلمين تجاه القرآن، قال تعالى

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

(((ص ، 29)

قال تعالى : ((﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

(الفرقان ، 73)

يتساءل الغزالي عن عدد الذين يبصرون دون صمم من المسلمين اليوم ؟ ويتدبرون القرآن، كان الأولون يقرؤون القرآن فيرتفعون إلى مستواه، أما نحن فنقرأ القرآن فنشده إلى مستوانا وهذا ظلم للكتاب .

يقول الغزالي :

إن الأمة التي نزل عليها القرآن فأعاد صياغتها، هي المعجزة التي تشهد للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه أحسن بناء الأجيال، وأحسن تربية الأمم، وأحسن تربية جيل قدم الحضارة القرآنية للخلق، فنحن نرى أن العرب عندما قرؤوا القرآن، تحولوا تلقائياً إلى أمة تعرف الشورى وتكره الاستبداد، إلى أمة يسود فيها العدل الاجتماعي، ولا يعرف فيها نظام الطبقات، إلى أمة تكره التفرقة العنصرية . (محمد الغزالي ، المرجع السابق ، 25 ، 28)

يوصي الغزالي بحسن استثمار مرحلة الطفولة لحفظ القرآن، وضرورة استمرار التواتر بالمشاهدة، وهذا جزء من رسالة الأمة الإسلامية .

يقول الغزالي أعجبنى أن العقاد¹ جمع الآيات الفكرية والعقلية وألف كتابه " التفكير فريضة إسلامية" ، وهو يستشهد في هذا المقام من باب الاعتراف بالسبق للعقاد في إعلاء فريضة التفكير.

2. شمولية الرؤية القرآنية :

يقول الغزالي :

أنا شخصياً تتبعت كلمة " أولوا الألباب " في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً أثناء الحديث عن النفس والكون، والتاريخ الماضي، والحديث عن الله، وجدت أن القرآن ليس كتاباً فنياً مقسماً على قضايا معينة، ثم تنقطع فيه الرؤية الشاملة، بل هو يعرض الكون وهو يبني العقيدة... ويعرض الكون وهو يربي الخلق... ويمزج بين الجميع بطريقة مذهشة، فالنظر في الكون والواقع والتاريخ يقود إلى الإيمان، يؤصل التوحيد ويبني الخلق (...). والتقريب بين الدراسة القرآنية وبين ما وصلت إليه الإنسانية وحضارتها يحتاج منا إلى أن ننخل قليلاً عن بعض موارثنا القديمة التي ليست من ثوابت الدين وقيمها الأصلية، والإفادة من الحضارة الحديثة وما وصلت إليه من ناحية وسائل فهم

عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد ، إمام في الأدب ، مصري من المكثرين بن كتابة وتصنيفاً مع الإبداع أصله من دمياط ولد عام 1303 هـ . 1889 م في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية شغف بالمطالعة وأتقن إلى الكتابة في الصحف والتأليف ، وأقبل الناس على ما ينشر ، تعلم الإنجليزية في صباه وأجادها ، ثم ألم بالألمانية والفرنسية ، وظل اسمه لا معاً مدة نصف القرن ، أخرج من خلالها من تصنيفه 83 كتاباً في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع وتوفي عام 1383 هـ ، 1964 م¹

الكون، ومن ناحية مردود النظر في النفس والإنسانية، واعتماد كثير منها بعد ضبطها بمبادئ الإسلام ومقاصده الكلية . (محمد الغزالي ، المرجع السابق ، 41 ، 45)
 إن الغزالي بدعوته إلى التخلي عن بعض المواريث والتقاليد، لم يقصد التخلي عن المنهج الأصولي .

فحسبه : إن المنهج الأصولي مطلوب من غير شك لتحديد المفاهيم وضبط المعاني خصوصا فيما يتصل بالدين وفي الأحكام الشرعية والقانون ... لقد تشعبت الاختصاصات التي تبحث الآن عن الكون، وعن الإنسان وأصبحت العلوم الإسلامية الآن : علم النفس، علم الاجتماع، الاقتصاد الأخلاق، التربية، الجمال، التاريخ، لكل علم منهجه وطرائفه ومقاصده ... المشكلة أن العقل المسلم توقف على النمو في هذه المجالات ، عصور الانحطاط والتخلف والتقليد أوقعت المسلمين في عجز الرؤية وتجزؤ النظرة .

وفي تفسير لماذا لم يكن النصر حليفنا في غزوة أحد رغم أننا أصحاب القرآن وأهل ؟
 أجاب الغزالي بأننا لم نتخذ بالأسباب، والتي هي في الأصل قاعدة كونية، طبقت هذه السنن على صاحب الرسالة نفسه القراء هزيمة، وقيل لصاحب الرسالة ((صلى الله عليه وسلم))
 ﴿لَا يَنْفَعُ الْكُفْرَانَ الْإِيمَانُ إِذَا كُفِرَ بِهِ﴾
 ﴿لَا يَنْفَعُ الْكُفْرَانَ الْإِيمَانُ إِذَا كُفِرَ بِهِ﴾
 ﴿لَا يَنْفَعُ الْكُفْرَانَ الْإِيمَانُ إِذَا كُفِرَ بِهِ﴾
 ((آل عمران ، 128))

وحين اتخذوا بالأسباب في بدر قبلها كان النصر حليفهم .. وما يتصور أن أمة من الأمم تحابي أو تستثنى من هذه القوانين، وقد طبقت هذه القوانين نفسها حتى على الأنبياء والرسول وهو حال أمتنا خلال الأربعة عشر قرنا من تاريخنا .

قال تعالى : ﴿لَا يَنْفَعُ الْكُفْرَانَ الْإِيمَانُ إِذَا كُفِرَ بِهِ﴾
 ﴿لَا يَنْفَعُ الْكُفْرَانَ الْإِيمَانُ إِذَا كُفِرَ بِهِ﴾

الذي أدى إلى هزيمتها في الأندلس، وعن انحصار هذه الأرض وضياعها؟ كيف؟ هذا شيء يستدعي أن يفكر نحن تفكيراً جاداً في الطريقة التي نعيش عليها .

(محمد الغزالي ، المرجع السابق ، 52)

إنما يحمله الغزالي من انشغالات منطلقاً من القرآن الكريم، يمكن اعتماده كمرجعية تربوية للفكر يوجه عقل المسلم أو كمشروع أمة، كما اعتمد الكثير من الشعوب أفكار فقهاءهم وعلمائهم وجعلوها خليفة لانطلاق حضاراتهم .

إن الرجل ينحو إلى إعادة بعث الفكر من جديد في المسلمين، فمحطات التاريخ التي كانت وصمة عار على الحضارة الإسلامية، كان ولا يزال من واجب مخابر التاريخ البحث في أسبابها، واعتماد آلية للاستفادة منها كدروس لتلافي النكبات من طرف الساسة، وقادة الأمة الإسلامية، أما أن للفكر الإسلامي أن يتقطن لنوايا جلاده؟ .

يقول الغزالي :

نحن ما فهمنا سنن الله الكونية في الأرض، حسب منطق التجربة والاستقراء والملاحظة وهو المنطق القرآني الذي عرف من كتاب ربنا ومن تطبيقات النبوة، ولا أحسن الاستفادة من سنن الله في الحضارات والمجتمعات، وكانت النتيجة أن الأمة الإسلامية سقطت بقضها وقضيضها في قبضة استعمار عالمي لا يرحم، وهي الآن تحاول الخلاص من شباكه، وترمي بأجنحتها العالقة داخل الشباك دون أن تخرج .

إن الخلل الفكري وانهايار عالم الأفكار، وعدم التبصر هو الذي يمكن للاستعمار إن الأمة لن تخرج من الشباك إلا بقوانين مكتوبة عندها في الوحي النازل عليها، يجب أن تدرسه، وبالتالي يجب عليها أن تعيد حساباتها عن ماضيها، بعد أن تعرضت للاضمحلال والانحلال عندما فرطت في سنن الله الكونية والاجتماعية، وظنت أن المواجهة العسكرية والسياسية العمياء فقط كافية في استئناف النهوض .

3. السنن القرآنية من الإدراك إلى التسخير :

لقد أوشك أن يكون لعامة المسلمين قناعة لوجوب الانتباه إلى سنن الله في الأنفس والآفاق التي تحكم شروط النهوض والسقوط الحضاري، إلا أن هذه القناعة لم تجد طريقها إلى الممارسة .

يرى الغزالي: أن المشكلة اليوم تتركز في إدراك هذه السنن، وحسن تسخيرها والتعامل معها... كيف يمكن للأمة بواقعها الحالي أن تنتقل من موقع المعرفة والفكر إلى موقع

الفعل؟ وإن كنت لا أزال أرى أن ما نسميه قضية مناهج الفكر والمعرفة لم تأخذ منا الأبعاد الحقيقية، لأنها لو أخذت أبعادا حقيقية لكانت الأمة انتقلت من الفكر إلى الفعل فالتحول وإعمال هذه السنن هو المختبر الحقيقي لإدراكها والقناعة ... قد تكون مشكلتنا اليوم، في التعامل مع القرآن، كالعاصي من البشر الذي يسمع آيات تدعو إلى التوبة فلا يدرك أبعاد معصيته، وضرورة الالتفات إلى التوبة المودعة في الآيات، وإنما يلتفت إلى موسيقى القراءة! . (محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، 53)

يرجع الغزالي مشكلة العقل الإسلامي في عجزه وانحصاره في مستوى ضيق، إلى منهج التعامل مع النص القرآني، الذي يعالج المعنى موضعيا لا موضوعيا وجزئيا لا شموليا وكذا الاستسلام إلى منطق الجبر، الذي يقود إلى الاستسلام ضنا أنه القدر هو الذي يكتب علينا مصائرنا، فما الاستعمار الذي اغتصب أرضنا وحربتنا إلا قدر سبق عليه الكتاب حسب رؤية وفلسفة الكثيرين، وكثيرة هي القناعات بهذه الأقدار، ومن هذا المثل، هذه الفلسفة جعلتنا لا نأخذ بالأسباب، فانجر عنها تعطل قانون السببية لدينا تعطيلا كاملا جنت الأمة الإسلامية ثماره بأن بقيت تراوح أدرجها، بعيدة عن مسابرة تطور الأمم .

إن تجاهل السنن الكونية ودراسة أسباب حدوث الظواهر والوقائع، كان وراء تخلفنا في عمارة الأرض، فلم ننظر إلى آيات الله في الأفق ولا في أنفسنا، لعمى البصيرة لدينا بفعلنا وتواكلنا فأصبحنا قوما تبع ... يروى أن أعرابيا كان يسوق جملا له بالصحراء قاصدا السوق لبيعه، وبينما هو في الطريق إذ تعرض له أحد اللصوص، وبعبارة تهديد قال له: أترك الجمل وسر لحالك، فأجابه الأعرابي، من تكون أنت حتى أترك لك الجمل فقال له اللص : أنا من وضع إحدى رجليه في القبر والأخرى في الدنيا، فدهش الأعرابي تاركا له الجمل، سار اللص لخطوات، ولما رجع الأعرابي لنفسه، وتفتن بعقله تدارك الأمر، ونادى اللص، انتظر يا هذا، كرر لي ما قلت فلما سمع منه، قال له الأعرابي : إن كنت تضع إحدى رجليك في القبر فأنا الآن أضع رجليا معا في القبر !، إما أن تترك لي الجمل وإلا فالموت حليف أحدنا، فدهش اللص من شجاعة الأعرابي، وفضل ترك الجمل والذهاب ناجيا بسلامة بدنه، مدركا أن قضية الأعرابي أقوى من قضيته لكونه المالك الذي قد يدفع حياته من أجل ماله، بينما هو لص ليس بصاحب حق و إنما مغتتم فرص (....) (القصة من الموروث الثقافي وتوليف الباحث).

لقد عجز المسلمون في ماضيهم القريب حتى على استحضار شجاعة هذا الأعرابي ففرطوا في حريتهم وثقافتهم واستسلموا حتى بفكرهم، وحينما استردوا حرية أراضيهم المزعومة بقي فكرهم يخضع لغيرهم .

يقول الغزالي : مدلا بقوله تعالى "  (يونس 81.82)

إننا يجب أن نجىء بهذه الآية، وننظر إلى أعمالنا وهي قاصرة: هل يكملها الله ؟ لا لن يكملها الله، لأنه لا يصلح عمل المفسدين، إذا ما الخلل الذي أصاب العمل فجعله لا ينتج ؟ لابد من استدراكه حتى يأذن الله بالصلاح، لذلك لا بد من تحري الصواب في العمل، إلى جانب الإخلاص.

إن غياب المحاولة في تغيير وترقية الحال لدى المسلم، إن لم تتوافق مع البصيرة في تحري الصواب، والحرص والإخلاص، لن يرج منها طائلا.

إن كل ما نشير إليه أو نغوص فيه، من قضايا عالجه الغزالي بأسلوبه، تدخل في قناعتنا من باب و مضمار التربية العام وفي فكرها الواسع المستمد من القرآن والسنة فالتربية قبل أن تكون مناهج ودراسة ونظريات، هي أفكار و سلوكات وأخلاق ورؤية ناضجة للحياة.

4. خلل التعامل مع القرآن خلل فكري ثقافي:

يقول الغزالي " لاحظت أن الثقافة الإسلامية حدث فيها شيء من العوج، فمن ناحية التربية والتصوير، انسحب الناس من الحياة... رأوا أن المجتمع فاسد، فانسحبوا وهربوا منه بدل أن يغيروه (...).، عندما تحدث القرآن الكريم عن الأمة، تحدث عن فسادها وانهيارها بشيوع أخلاق معينة، و بانقسامها إلى طبقات سيده و طبقات تابعة، وبإصابتها بالتبذل العقلي، الذي جعل التقليد أساس الفكر (...). لقد كان تعاملنا مع القرآن تعامللا

رديئا، كان من الأفضل بدل أن يدرس الموضوع خلال ثلاثة أشهر مثلا، أن يدرس لماذا هلكت عاد؟

لماذا هلكت ثمود؟ ... ما الفساد الذي حدث في بني إسرائيل، كيف تحولت الحقيقة إلى شكل؟ كيف تحول الدين إلى انتماء عصري بدل أن يكون انتماء إلهيا وزكاة نفسية؟ .. ابتعدنا عن دراسة آيات النظر إلى الكون، فتبدلت العقول، وكان آخر شيء ينظر إليه النظر في الكون . (محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، 156 ، 157)

وحيثما تقرأ فكر الغزالي نجده من خلال كل كتبه يكاد لا يتوانى عن الإلحاح في اتخاذ القرآن مرجعا، يجب أن يدرس تفسيره موضعا وموضوعيا، ينظر في شموله وتجزئته على أنه القوة الدافعة، والساندة لديمومة الأمة الإسلامية، فهم روحها ودستورها وعقلها المدبر وضميرها اليقظ ، وهو سر امتداد حضارة أجدادنا في رعيها الأول أيام الفتوحات والمجد، فعندما أردنا العزة في غيره من الشرائع نالنا الضعف واستبد بنا الهوان .

5. الرؤية الموضوعية والرؤية الموضوعية للقرآن :

يرى الشيخ الغزالي أن تفسيره للقرآن في سوره وآياته، لا يمكن أن يرق إلى الناحية العملية في حياة المسلمين ولا يتحقق بعده العلمي الطبيعي إلا ضمن الرؤية والتفسير الشمولي (التفسير الموضوعي)، ولا يمكن أن يتأت في الرؤية الجزئية (التفسير الموضوعي) لاستحالة إدراك المعنى والهدف العام من الوقائع، سواء الكونية منها أو الإنسانية، فحسبه يمثل ذلك كمن أعطي صورة لمنظر أو صورة الشخص، مقطعة لأجزاء عدة وطلب منه تفسير أجزائها وإعادة ترتيبها ليصبح لها معنى، حيث يرى الشيخ أن تبعثر هذه الأجزاء لا يوحى برؤية واضحة موضوعية، لمن وضع في هذا الاختبار، وعلى العكس منه لمن أعطيت له الصورة كاملة، حيث يمكن لأفراد لمدة شاهدها أن يعطوا آراء مختلفة وموضوعية باختلاف خيالهم وذكائهم، وتصورهم لمختلف أبعادها، وهذا المنطق تبناه الغزالي كرؤية حديثة، ومنهج جديد، لرؤية شمولية سليمة، في تفسير سور القرآن ومقاربتها لواقع الناس والحياة، ولكي ينقلها بسلاسة من حالة القداسة إلى المعاشية والإحساس، والوجدان، والسلوكيات، والعواطف، والإفهام لدى الناس .

ثامنا : التربية عند الشيخ محمد الغزالي

1/ ماهية التربية عند الغزالي

يعتبر الغزالي شخصية موسوعية التفكير وذلك يظهر بجلاء في كتاباته مؤلفاته، ما أن يطرق قضية إلا برؤية شمولية كما كان يدعو ويتأثر بالقرآن الكريم، فينظر إلى كل أوجهها وأبعادها، ومن ثم يقوم بتقييمها وتقويمها .

فإذا اعتبرنا التربية عملية محتواة في الثقافة العامة للمجتمع، فالشيخ يدرسها في هذا السياق العام، ليكون أكثر إحاطة بمعانيها وأكثر غورا في مقاصدها وتمثلاتها الاجتماعية، ويدلل عليها في كليتها ومختلف صورها في الواقع الاجتماعي.

1. التربية ثقافة استهلاك وحسن التدبير :

يتساءل الغزالي في كتابه الحق الم، عن كيفية إنقاذ اقتصادنا من أخطبوط الغرب الجاثم بأذرعه عليه فيقول :

للأمم المتخلفة أنماط من الترف تقبل عليها بنهم، وتنفق فيها الكثير، ويعرف المستعمرون ذلك منها فيأمرون مصانعهم أن تزيد في إنتاجها حتى يشتد الإقبال ويتضاعف الكسب والواقع أن المسلمين عامة، والعرب خاصة أخذوا من المدنية الحديثة جانبها البراق وكانوا معها مستهلكين لا منتجين...نحن نظن أن العظمة والارتقاء في اقتناء هذه السلع !.

و للعقلية الطفولية منطق يستحق الزراية والتخويف (...) أن نصف ما نفتنيه من الخارج يمكن الاستغناء عنه فورا، ونصفه الباقي يمكن الاستغناء عنه في الأمد القريب وإذا لم نتعلم من ديننا ضبط شهواتنا فماذا نتعلم ؟ (...) إن بني إسرائيل بنوا دولتهم بين ظهرانينا على أساس أنهم ينتجون ونحن نستهلك ! ، كأنا أطفال نحب اللعب وندفع ثمنها لمن يصنع به السلاح الذي يقتلنا به (...) أرى الذين يتطلعون إلى الحطام الزائل بشوق ورغبة ! فأقول إن حاجتنا ماسة إلى لتربية صحيحة لنستنقذ ديننا ودينانا .

(محمد الغزالي ، الحق المر ، 2005 ، 39 ، 30)

وهنا تبدو اللمسة الفكرية للتربية عند الغزالي متميزة تشمل المسلمين عامة، قد لا يرى الكثير ممن يهتمون بالتربية انحصارها في هذه الجزئية، بينما يدرك الغزالي ذلك الخل ويحذر من التماذي فيه، واستحقاره، بل ويذهب إلى وجوب الإسراع في معالجته نظرا

لما يشكله من خطر ليس على التربية فحسب، وإنما على الأمن القومي للأمة، وإهدار لثرواتها، وهو أمر نجني نتائجه الآن، ففي الجزائر مثلاً بعد ما تم إسراف الثروات وإهدار المدخرات (...)، ونظراً لغياب الحكمة عند القادة، وسوء ترشيد النفقات لدى أولي الأمر وعامة الناس، لم نتفطن لانقضاء سنوات البحبوحة، إلا بعد دخول السنوات العجاف واتسم العقل لدينا بالبلاهة، وأوشك المجتمع أن ينقسم إلى عبيد وسادة، فلا اهتمام بالوطن مادام هناك ضمان لبقاء بعضنا بالكراسي والريادة ! .

2. التربية لا تتجدد إلا في مدرسة الحياة :

كثيراً ما يستوقفك الغزالي بأسلوبه الأخاذ المتدبر لسنن الكون والحياة، ويستخلص منها العبر، فتارة يشده موقف من المواقف اليومية، كان ماشياً أو راكباً على الأرض وبالطائرة في الجو، هذه الأحداث ملايين المسلمين يعيشونها دون تأمل أو تفكير، إلا أن الغزالي بما أوتي من فطنة يعطينا منها حكم وعبر .

يقول الغزالي: (...) خلال الحديث اقتربنا من سيارة تخرج من محطاتها لامعة الإطارات والهيكل، فقلت لصاحبي ضاحكاً ما أشبه حياتنا بهذه السيارة ! إن وظيفتها الركض الدائم بين المدن والقرى، والتعرض للغبار والأوحال، والاصطدام أحياناً ! . إنها تعود إلى البيت للتنظيف والاستراحة القليلة أو الطويلة، ثم تعاود الخروج لاستئناف الركض في دروب الأرض ! وإلا فقدت وظيفتها ... ! إن عبارة القرآن الكريم في وصف حياتنا توحى بهذا العناء :

قال تعالى: ﴿ ۝٣ ذُرِّيَّتًا لَدُنْكَ كَفَرَةً ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَيُنَزَّلْنَ عَلَيْكَ سُورَاتُ الْمُرْسَلَاتِ الْغَافِقَاتِ الْغَافِقَاتِ فَذُحْرًا ذُرِّيَّتًا ۗ أَلَمْ تُخَلِّقْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتِّينَ يَوْمًا ۚ ثُمَّ تَعَالَى الْكُرْسِيُّ فِي سِتِّينَ يَوْمًا ۚ ثُمَّ يَأْتِيكُمُ اللَّيْلُ فَأَنْتُمْ أَنَّ قَدْرَتِكُمْ وَمَنْ يُضَلُّ فَيَلُكُمُ الْبَصُرَاتُ حَذْرَةَ الْبَصُرَاتِ وَأَنْتُمْ لَا تَحِيسِبُونَ ﴿ ۝٦ ﴾ (الاشفاق ، 6)

وربما يعطف عن استدراك موقف آخر بقول الشاعر أحمد شوقي:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً
إن الحياة عقيدة وجهاد

أو قول المهلهل :

وأنت بخالع درعي وسيفي
إلى أن يخلع الليل النهار

(محمد الغزالي ، الحق المر ، 2005 ، 112)

فالغزالي بما أوتي من براعة في أسلوبه البلاغي والأدبي، يشد انتباه المستمع وذهن القارئ فيلقى في نفسه ومشاعره ووجدانه من الأثر، ويبعث من النشوة وإعادة

مراجعة الذات، وتصويب الرؤية نحو الحياة والكون والناس، وهو بهذا الأسلوب التربوي يحيي ويغرس سلوكا طيبا، أو يحيي ضميرا ميتا، للإقلاع عن سلوك سيء وخبث .
وفي البيتين السابقين يهدف الغزالي إلى استنهاض الهمم لدى المسلمين، واعتبار الحياة رسالة لا تدرك حقيقتها إلا بالوفاء والإخلاص للمبادئ التي خلق من أجلها الإنسان، فالحياة يحييها ويبقي فعاليتها وديمومتها العمل باجتهاد في إعمار الأرض وزرع الخير بين الناس وفق العقيدة السمحة وعبادة الخالق وكذا إجهاد النفس وتهذيبها وكبح لجامها عن تتبع الضلال والشهوات .

3. تربية المرأة كما يراها الغزالي:

يشهد المجتمع العربي والجزائري بالخصوص تقدما واضحا لمكانة المرأة ووثبة نوعية للعنصر النسوي على العموم، وكان تميز المرأة وتفوقها خاصة في المجال التربوي والتعليمي على شقيقها الرجل، سببا قويا في تغيير مكانتها وتألّفها إلى مساواته في كثير من الأدوار الاجتماعية، ومختلف المهام بالدولة، بل وتفوقها عليه في كثير منها .
إن الصدارة التي حققتها المرأة خاصة في السنوات الأخيرة في مختلف أطوار التعليم جعلها تستفيد من مكاسب كبيرة، وتحوز الكثير من حقوقها الضائعة، والفضل يرجع دائما إلى تفوقها التعليمي وجدارتها وكفاءتها العلمية، التي جعلت حتى من أولى الأمر في السلطة يبادر إلى فتح المجال لها، وحماية حقوقها بمختلف القوانين التي تساعدها على تنمية مهاراتها (...). وأذكر في هذا الموقف أنه تم تكريم العشرة الأوائل المتحصلين على أعلى معدل في البكالوريا لسنة 2010، حيث كن كلهن إناث وفي (39) متفوق تحصل ثلاثة ذكور فقط على هذا التكريم أغلبهم في ذيل الترتيب !.

إن هذه الظاهرة وإن كانت تحسب لفائدة المرأة فإنها في رأيي تكشف عن خلل كبير في التربية يستدعي الكثير من الاهتمام والدراسة والمراجعة، والكشف عن أسباب تدني وتأخر العنصر الذكوري في التحصيل المعرفي، مما يجعل المنافسة غير عادلة من الناحية الاجتماعية في رأيي، ويجب أن يدق ناقوس الخطر ليس في التخوف من الزحف الأنثوي وتقلده مختلف المسؤوليات، وإنما في علة تدني وانسحاب المجتمع الذكوري من المنافسة، إن كان المعيار هو التفوق العلمي، وإذا أردنا أن نصنع مجالا يحقق على الأقل المحاصصة النسبية في التحصيل، والرفع من كفاءات المجتمع الذكوري، وتحقيق التوازن

للمجتمع، إذا اعتبرنا أن تكافؤ التواجد للمرأة والرجل يحقق توازن المجتمع وسلامة سيره ، كما يماثل ذلك توازن جناحي طائر في حمل جسمه بالجو .

رؤية الغزالي :

يرى الغزالي أن من الأسباب الرئيسية لركي الحضارة والأمم في العالم، هو استرجاع المرأة لدورها الحقيقي في المجتمع، وان الفضل في تماسك المجتمع العربي والإسلامي يرجع لصالح المرأة واستماتتها والتزامها بالدين الإسلامي وقيمه، لأن التربية في عمومها تقع على عاتقها هي بالذات، وان فساد المرأة أو هضم حقوقها أو انحرافها هو خلل قد يؤدي إلى دمار الأمة جمعاء .

يقر المتخصصون في التربية الإسلامية أن الجهل الذي يغلف معاملة المرأة المسلمة أوجد انحرافا خطيرا مازلنا نعاني منه . (قطب ، 1988 ، ج 2 ، 316)

إن المرأة في العالم العربي والجزائري بالخصوص، وإن أثبتت تفوقها العلمي في مشقة بين تربية أبنائها وراحة زوجها وبيتها، وتوفيقها بين هذه الأدوار، إلا أنها لا زالت تتمتع بقوة عجيبة، إن استغلها المجتمع أحسن استغلال في دفع عجلة الحضارة و التي لا يمكن أن تتأت إلا بالتربية الحسنة التي إن شئنا أو أبينا تقع على عاتقها بنسبة تفوق الرجل بكثير .

يقول الغزالي :

كتب الزعم السلفي العظيم " عبد الحميد بن باديس" عن " الربيع بنت معوذ " إنها حضرت بيعة الرضوان وكانت ممن يغزون مع النبي صلى الله عليه وسلم مع نساء أخريات ،يخدمن الجيش ويسقين الماء ويداوين الجرحى، ويحملنهم إلى المدينة، ثم قال ابن باديس بعد ما شرح موقف الدين من المرأة، انه لا بد من مراعاة ما يفرضه عليهن الإسلام، من تصون وعدم تبرج، وعدم اختلاط ! ولن تكمل حياة الأمة إلا بحياة شطريها ، الذكر والأنثى. (محمد الغزالي،الرجع السابق ، 53-54)

وهذا الاستشهاد للغزالي هو إشادة بمكانة المرأة التي كانت تتمتع بها في عصر النبوة والحظوة التي تتلقاها من النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى : ﴿

﴿

ومن هذا البيت تبدوا واضحة قناعة المثقفون مهما اختلفت مشاربهم، على أن القصور في التربية، وعدم إعداد النساء خاصة لتحمل عبأ هذه المهمة، هو سبب ركود الحياة بالمجتمعات العربية، وليس الغزالي وحده فقط ، كرجل دين من أكد على ذلك، ولكن لكل منطلقة ورؤياه للأسباب والعلاج .

3. تقاليد اجتماعية ترتبط بالمرأة وتقف وراء التردّي الاجتماعي:

يقول الغزالي :

إنني أحد الذين حاربوا تقاليد الغرب الجنسية، وجاهليته الذميمة في إشباع الغرائز من الحرام ... وقد وقفت في وجه الذين يحاولون نقل هذه التقاليد إلى بلادنا ،...وأني لراض عما أصابني في هذا الميدان لأنه في سبيل الله (...) لقد رأيت البعض يؤكد على أن المرأة قعيدة بيتها ... لا تخرج منه أبداً إلا إلى الزواج أو القبر... !! ، قلت أهذا هو البديل الإسلامي عن حالة المرأة في الغرب، بشقيه الشيوعي والرأسمالي، لا الإسلام غير ذلك (...) إن التربية الراشدة الناضجة هي الضمان الأول لكل نهضة، والبيت هو المدرسة الأولى لتلك للتربية، وعندما تكون المرأة صفر القلب والعقل، لا ثقافة في مدرسة، ولا عبادة في مسجد، فمن أين تتحقق التربية المنشودة ؟ انه لا مجتمع يصلح عندما تكون المرأة حيوانا يحسن تقديم الأكل والمتعة فحسب .

(محمد الغزالي ، هموم داعية ، 2006 ، 118-115)

وفي الفقرة السابقة، يرفع الغزالي درجة المسؤولية والتربية على عاتق المرأة إلى أقصى درجاتها، يقول الغزالي:

إن فقدان التربية السديدة، والأخلاق الصلبة، يرجع إلى العوج الهائل في وسائل التربية وأول ذلك المرأة المخرفة، والبيت الساذج المحدود (...)، قال لي رجل ، ممن يرون سجن المرأة : نحن نعلمهن كل شيء، ولا يخرجن من بيوتهن ! (...) فقلت له : إننا نغرق في محاولات مضنيه لرفع مستواكم الفكري، ولا نكاد ننجح ! فكيف نأتمنكم على وظائف التربية والتعليم (...)، إن الإسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية .. سواء كانت غيرتهم عن ضعف أو شبق جنسي (...) إن الإسلام يؤخذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمجتمع الذي يصنعه الكتاب والسنة يجعل المرأة تلد ذريات مشرفة باهرة الأخلاق (...) لا دابة تلد حيوانات .

(محمد الغزالي ، المرجع السابق ، 118)

لقد عانى الغزالي الأمرين في مواجهة الطرفين من دعاة الإصلاح الاجتماعي، ولكنه لم يكثر لمعارضة هؤلاء، ولا سخط هؤلاء، وعاش متمسكا بقناعاته ومبادئه المتفتحة على الكون والحياة .

تناول الغزالي موضوع المرأة من زوايا عديدة في رحلة حياته المديدة، وذكر أسباب متنوعة ساهمت في تدني وضع المرأة، ولكنه لم يوجه اللوم للمرأة نفسها، مع أنها فرطت في حقوقها الشرعية، وينبغي عليها هي أولا أن تهيب مسرعة للمطالبة الحكيمة الواثقة في ممارسة حقوقها المسلوبة فإن الحقوق تؤخذ وقلما توهب .

لقد التزم الغزالي في دفاعه المستميت على قضايا الأمة الإسلامية، والمرأة على الخصوص منهج الوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، مادامت المرأة تعلي القيم الإسلامية في معاملاتها، وتعيش في كنف تربية القرآن والسنة المحمدية، معتبرة إياها قوة دافعة وطاقة متنامية، لا حيال المجتمع دون الاهتمام بها، وفتح المجال لها لينال الرقي ويسعد بالازدهار ويضمن مآله لأفضل حال .

5. مكان التربية في ضوء التجديد عند محمد الغزالي

يقول الغزالي : إن تربية العقول وإذكاء المواهب وتفتيق الملكات الإنسانية، ليس أمرا هينا، فمراحل التعليم في المدرسة، ومراحل التجريب في الحياة، واستيراد الأفكار البعيدة، وضم ما لا نعرف إلى ما نعرف، والنظر في الجديد نظرة تلتطف وإيلاف، لا نظرة جمود واعتساف، والتطويق في أفاق العوامل المادية والأدبية، هذه جميعا وسائل لترقية العقل الإنساني، ثم هي بعد وسائل للعقل السليم لمعرفة الله، وحسن الإيمان به والإفادة من دينه. (محمد الغزالي ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، 2005 ، 106-105)

وهي رؤية موضوعية للشيخ الغزالي، وليس أدل على ذلك من الواقع التربوي المعاش في بلدنا، وكذا وضع والنظام التعليمي لجامعاتنا، فعلى سبيل المثال لا الحصر نظام LMD حينما اعتمد في جامعاتنا قصد مسايرة المعمول به باقي الدول الكبرى في العالم وبعد تقييم لفترة تطبيقية، توصل الخبراء لصعوبة تطبيقه في بلدنا بسبب عدم التوافق بين ما جلب نظريا، وبين المعطيات المادية والأدبية بالمجتمع الجزائري ظرفيا فاكتساب المعرفة وتزويد الطلبة بها يستلزم ترافقا تطبيقيا بالميدان، من خلال مختلف المؤسسات والمصانع، وكذا الكفاءات البشرية المهمشة، والتي نفتقد إليها كثيرا في واقعنا المعاش حال كل هذا في التوصل لمقاربة بين الأفكار والتجسيد العملي للأفكار رغم كل فإننا لا

ننظر إلى التربية كمعطى وعامل منفصل، يستطيع تحمل فشلها ونمائه وتطورها، بعيدا عن العوامل الاجتماعية الأخرى، فهو جزء أساسي من النظام العام للبلد، لا يمكن أن يقلع ما لم تتوفر له الظروف الملائمة، وعلى رأسها المناخ السياسي.

وفي هذا يقول الغزالي : .. وفي مجال المصالح المرسله يستطيع الساسة المسلمون أن يصنعوا الكثير لأمتهم، على أن لا يصطدموا بنص قائم (يقصد نص قراني)، فإن هذه النصوص معاهد المصلحة العامة ، وإن عميت عن ذلك الأنظار .

(محمد الغزالي ، دستور الوحدة ، 1988 ، 49)

ما ينفك الغزالي حين نتكلم عن التربية أو غيرها من المواضيع، حتى يعاود ربط ذلك بما يخلص لله، ففي تربية النفوس على التقوى وحب الله يقول : إن العناوين لا تهمني وإنما يهمني الموضوع، يهمني أن أرسم الطريق لبناء النفوس على التقوى، وإيناسها في هذه الدنيا بذكر الله، وإلهامها كيف تستعد للقيادة، ببصيرة مجلوه، ورغبة عميقة وثغر باسم.

(محمد الغزالي ، ركانز الإيمان ، 1985 ، 134)

إن قطوف التربية في فكر الغزالي قطوف دانية ويانعة، ولكنها متناثرة كالنجوم في سماء كتبه، يسترسل في بعضها، ويوجز في بعضها الآخر، وجمع أفكاره حول التربية في مدونة واحدة والاستفاضة فيها، يتطلب تكاثف وسهر باحثين وجهود مخابر، إن صعوبة هذا الأمر لم تثنيانا على بذل ما استطعنا من جهد في سبيل التنقيب عن بعض مكائنها - في بحثنا هذا التواضع - والتوقف على مختلف الأوجه المصرح بها أو المحتواة في أعمال الشيخ الغزالي .

إن تنشئة كل مولود على أفساط من العلم تجلو عقله ، وتصون فطرته ، وتفتح مداركه وتنمي مواهبه أخذت طريقها المستقيم في الغرب، أعني أوروبا وأمريكا حيث نسبة الأمية صفرا ، فإذا نقلنا نظام الإلزام الصارم من هناك، وطبقناه في بلادنا كان ذلك عملا أرشد وطريقا أخصر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والفرض يعني لإلزام .. حيث ارتفعت نسبة الأمية في البلاد الإسلامية إلى حد يبعث على الزرابة والأسى ، ولا حرج علينا قط أن نستعين بالوسائل التي جربها الآخرون، إذا كانت تسعفنا في بلوغ غرض مقرر عندنا .

(محمد الغزالي ، معركة المصحف ، د ت ، 133)

كلمة التربية عند الغزالي تعني التزكية والتسامي بالنفس وامتلاك الهوى (...). نجد الغزالي قد نظر للتربية ، نظرة شاملة في سياقها الثقافي العام، فهي قوة عظيمة لتوجيه الجماهير للتطوير والنبوغ، وللتحذير والخنوع، التربية الصحيحة نواة شجرة ثقافية فينانة ذات ظل فكري وريف، ينتفع الناس منها لأنها تحث على الحركة الإيجابي ، ولا تبرر الخمول والجهل، مفهوم التربية في هذا الإطار يصبح محركاً للأمة كلها لنفض، غبار الأمية والتغريب عن كاهلها .

ويقول الغزالي :

إن الأمم لا تنمو مواهبها وتكتمل قواها وتقدر على أداء رسالتها، إلا بعد تربية بصيرة وتدريب ذكي، وصبر على المشوار الشاق. (محمد الغزالي ، جهاد الدعوة ، 1987 ، 9)
ويقول أيضا : يجب أن نواجه التجديد بالتجديد ، ولا يفيل الحديد إلا بالحديد.

(محمد الغزالي ، المناهج الاشتراكية ، 2006 ، 215)

وفي الحث على تحويل فكرة من الذهن إلى التجسد على أرض الواقع يقول : إن الفكرة ميتة ما لم يحيها العمل (...). ، لا عبرة بصحة الفكرة أو خطئها إذا ظلت في عالم التفكير المجرد.

(محمد الغزالي ، ركائز الإيمان ، 1985 ، 113)

وتمينا لدور الأسرة واعتبارها صمام أمان التربية في المجتمع، يقول الغزالي : إن التربية الراشدة الناصحة هي الضمان الأول لكل نهضة، والبيت هو المدرسة الأولى لتلك التربية .

(محمد الغزالي ، هموم داعية ، 1999 ، 146)

وفيما يدلل الغزالي على العوامل المؤثرة في نجاح التربية الأسرية يقول : ما أجمل أن يكون الحب المتبادل، والاحترام المتبادل، قوام العلاقة بين الزوجين والأبوين : إن أثر ذلك في الذرية عميق، وهو سراج متين لرسالة البيت في الداخل والخارج (...). إن تربية الأولاد عبأ مشترك، يحمله الزوجان معاً، وأنه لقدر طيب (...). أن يشب الأولاد في حضانة أبويهم مستمتعين بدفاً العاطفة وحسن الكفالة .

(محمد الغزالي ، قضايا المرأة ، 1999 ، 107 ، 112)

وليضيفي الغزالي نوعاً من المساواة والانسجام بين المرأة والرجل، والزوجة و الزوج دون تقليل من قيمة أحدهما، وإطفاء روح التضامن والتكافل بينهما يقول : القرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف، وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين، الرجل والمرأة معاً، وأن انكسار احد الجناحين يعني التوقف والهبوط.

(محمد الغزالي ، نفس المرجع ، 6)

وفي واقعية الرجل وجنوحه عن العيش حبيسا للأفكار العقيمة ، مستأنسا بوجود ترافق العلم للواقع ، حيث لا يؤمن بالعلم الذي لا يتجاوب مع الواقع فيقول :
 إن العلم المعزول عن الواقع لا سبيل له في قلبي. (محمد الغزالي ، نظرات 2005 04)
 وفي وصف دقيق ورفيع ومنتظم وإعلاء لقيمة البحث العلمي يقول :
 البحث مثل العقد الذي انتظمت حباته وجواهره. (محمد الغزالي ، هموم داعية ، 1990 ، 133)
 يقول الغزالي : هناك كبار يستطيعون الحديث عن العظماء بصبر أطول وخبرة أعمق ... ولكن هذه محاولة محدودة وأتمنى أن تكون غير مردودة .

(محمد الغزالي ، نظرات ، 2005 ، 145)

ويقول الغزالي أيضا: لا ينبغي أن نستحي من أن نكون تلامذة لمن سبقونا، وأن نتواضع لهم حتى نعرف ما لديهم، ونحسن رتق فتوقنا. (محمد الغزالي ، الغزو الثقافي 1989-61)
تاسعا: مميزات الفكر التربوي الإسلامي لدى محمد الغزالي
 ويمكن أن نخلص على ضوء ما تطرقنا إلى أن الفكر التربوي عند الغزالي يتميز بأنه:

- فكر يدعو إلى الوسطية والاعتدال وعدم التعصب ويدعو إلى التسامح .
- الاحتكام إلى العقل في موازنة ودراسة مختلف القضايا الإسلامية .
- فكر موسوعي يشمل: العقيدة، الأخلاق والسلوك، ونظم الحياة والاقتصاد والسياسة و الاجتماع والتشريع من منظور إسلامي، قصد الإدراك العميق للقيم العليا في قالب، التوحيد والعمران والتركية .
- المقدرة النقدية لمختلف القضايا، والطاقة العقلية الواسعة وموسوعية المعرفة والذكاء في توظيف الألفاظ ضمن الخطاب .
- حبه ووفائه لربه ونبيه، ودينه وأمه، ورفاقه، وتلامذته في فضاء قلب كبير نقي من الغل، والحقد والحسد، والبغضاء والكراهية .
- الروحانية الغامرة الدافقة ، والأسلوب الخطابي الأخاذ للعقول والقلوب .
- حسن معرفته بالله، واليقين بلفائه وجزائه، وحسابه واستحضاره، ليوم القيامة مع طمأنة للنفوس، وتحذير من العقاب وترغيبا في الجنة .

- الغزالي شخصية قرآنية باقتدار، فهو مع القرآن دائما، قراءة وتأملا وتدبرا للآيات، قلما تند منه آية أو كلمة في استحضاره لها، دون الاعتماد على المصحف وهذا نتيجة للحفظ الجيد ومداومة المذاكرة لكتاب الله .
- نكاه وفتنة في إدراك معاني الآيات، ومقاربتها للواقع الاجتماعي.
- يعتمد اعتمادا كليا على القرآن الكريم، كمصدر أول في أسلوبه الخطابي والدعوي والإصلاحي والتربوي، ويعتبر السنة مصدرا ثانيا ضروري لتفسير وفهم القرآن مع إعمال وترجيح العقل، فالقرآن قانون الإسلام، والسنة تطبيقه مع تأكيد استحالة تعارض السنة مع النصوص القرآنية شرط ثبوت صحتها .
- يميل الغزالي إلى مدرسة التجديد الإسلامي، التي قامت في القرنين السابع والثامن الهجريين على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه ويسمونها (مدرسة الموازنة والترجيح).

المبحث الثالث: محطات فكرية ومواقف تاريخية للشيخ محمد الغزالي

أولاً : آراء مساندة لفكر محمد الغزالي :

لقد ساند الكثير من رواد الفكر وعلماء العصر آراء الغزالي، من بينهم صديقه ورفيق دربه يوسف القرضاوي، واعتبروه رافداً من روافد العلم، ومصدر منظومة فكرية تربوية تقوم على مبدأ احترام الحريات، والاختيار والشورى، واحترام الرأي الآخر، دون حمل عداوة أو ضغينة في الاختلاف العلمي النزيه، في إطار رؤية موضوعية، ومقاربة شفافة لواقع المسلمين، لا تحتكرها المذاهب، ولا مصالح السياسة وبمفاهيم أصيلة منبعها القرآن والسنة، وفي لباس مفاهيم المعاصرة التي تدعو إلى الوسطية والاعتدال والشمول، وأرجعوا له الفضل في اندلاع الثورة الفكرية التي أعادت بعث الحوار بين المذاهب، وحتى بين الدين الإسلامي ومختلف الأديان، ليرجع للإسلام بريقه وحيويته بعد انكفاء وجود الفكر لدى الكثير من العلماء والمفكرين، وحبس خطبهم وكتاباتهم على أمجاد الماضي، دون مقاربة ومعالجة علل ومشاكل حاضر المسلمين بروى تتوافق مع التسارع الحضاري للعالم، ودون أن يجتهدوا في إيجاد آليات تصد الزحف الثقافي الغربي، لمختلف القيم الإسلامية لدى الجيل الجديد، وتتعايش مع مستجدات الساعة ونجد ممن ساند هذا التوجه في قضية المرأة سعيد حوى إذ يقول: " عندما ندرس وضع المجتمع الإسلامي، فإننا لا نرى أبداً أنه وجد عصر حرم فيه على المرأة أن تعمل أو تتعلم أو تكتب أو تمتلك، (...)إنها كانت تتعلم ويؤخذ منها العلم فوجد في تاريخنا شاعرات وأديبات وفقهات ومحدثات ومفسرات، وفي كل أعصارنا الإسلامية كان للمرأة شخصيتها المالية المستقلة فتبيع وتشتري، وتمتلك وتتقاضى (...) وتناقش ويرجع إلى رأيها، إن كان صواباً وهذا كله موجود ومشهور ". (سعيد حوى ، 1979 ، 245)

ذهب الغزالي بعيدا في التوفيق بين محاربة الكثير من القيم، والتقاليد التي رأى المجتمع لصيغا بها، والإسلام براء منها، وبين أطروحات آرائه الجديدة كقوله في لباس المرأة : فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال، وتمنع التبرج والفساد .
وتثميننا لسبق الغزالي تاريخيا في كثير من القضايا، ما يرويه عن قبول الطالبات في كلية الآداب بالقاهرة لأول مرة في تاريخ التعليم يقول : ...وفتحت بعد ذلك بعشرين سنة كليات للفتيات في الأزهر، لقد استيقظ بعدما فاتته القطا، إن التدين القاصر ينيل أعداءه مكاسب كبيرة ، دون جهد يبذلونه .

وممن يذهبون في نفس توجه الشيخ الغزالي نجد المفكر الجزائري مالك بن نبي واضعا رأي المحافظين والمتحررين لمصير المرأة ومستقبلها في بوتقة واحدة، عنوانها الغريزة حيث يقول : " كلاهما يصدر رأيه على اعتبار واحد وهو الغريزة ، فالفريق الأول يريد المرأة بضاعة تثير الغرائز الجنسية، والفريق الثاني ان يمنعها من الخروج بدافع جنسي كذلك وهو الخوف على أنثاه أن يشاركه فيها غيره " .

(مالك بن نبي، شروط النهضة، د ت 154)

وقال محمد عمارة : وهو أحد المفكرين الإسلاميين البارزين في العصر الحديث، في الغزالي :... ولقد أدركت – وأنا الذي سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الإسلامي، وكتبت عنهم الكتب والدراسات أدركت أنني حيال الشيخ الغزالي لست بإزاء مجرد داعية متميز، أو عالم من جيل الأساتذة العظام، أو مؤلف غزير الإنتاج، أو مفكر متعدد الاهتمامات، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام لتجدد به حياة المسلمين... أدركت أنني بإزاء جميع ذلك، وأكثر منه.. وأهم.. فالرجل صاحب رسالة، جعل من حياته – ومن ثمراتها : فكره وقلمه – مشروعا فكريا متكاملًا، هو عطاء مواهبه الفذة ، الذي قدمه في ميدان تجديد الإسلام ، وإنهاض المسلمين .

(محمد عمارة، 2009 ، 42)

قال فيه الشيخ القرضاوي : الغزالي رجل دعوة مخلص لدعوته، متجرد لها، ولهذا ينفذ كلامه إلى القلوب، فيلهبها بمشاعر اليقين والحب، ومعاني الإيمان والإحسان، وأشهد أنني ما سمعت الغزالي إلا تأثرت به، وتجاوبت معه، وذلك لما لمست فيه طوال معاشتي له من صدق وتجرد، جعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله، أحسبه كذلك والله حسيبه ، ولا أركيه على الله عز وجل .

ثانيا : آراء مخالفة لفكر محمد الغزالي

قدم سلمان بن فهد العودة في حوار هادئ مع محمد الغزالي، دراسة يفوق عدد صفحاتها 140، المائة وأربعون صفحة، تعرض فيها إلى أبرز القضايا التي عالجه الشيخ الغزالي في كتاباته ودروسه، ناقدا أسلوب هذه المعالجة، داعيا إلى مراجعة ما كتبه الغزالي، بل ومراجعة كل ما نقرأه حول الفكر الإسلامي، واعتماد القراءة النقدية التي لا تقبل أو ترفض إلا بعد تأمل، ضمن طرحه هذا وجوب التحلي بسعة الأفق العلمي وسعة الأفق الخلقى الراميان لاحترام رأي الآخر، وان كان مخالفا إياه، وقد خلص متسائلا عن:

1) هل الغزالي من أتباع المدرسة العقلية ذات التوحيد الفكري الساعي إلى التوفيق

بين نصوص الشرع وبين الحضارة والفكر الغربيين المعاصرين ؟

2) حدد معالم هذه المدرسة العقلية المعاصرة في :

أ- رد السنة كليا أو جزئيا.

ب- التوسع في تفسير القرآن على ضوء الحديث بكافة جوانبه .

ت- هون من شأن الاجتماع .

ث- أعطت حرية واسعة للاجتهاد مما جعل بعضهم يقع في خطأ التأويل.

ج- ضيقت نطاق الغيبيات.

د- تناولت الأحكام الشرعية العملية تناولا لا يستجيب لضغوط الواقع .

نجد سلمان العودة بعد أن عرج عن مبادئ المدرسة العقلية، ينتقل إلى نقد الغزالي في كثير من الآراء، ويحسبها عليه حيث يقول:

1- قد ناقض الشيخ الإجماع في صورته المختلفة في مسائل كثيرة، من أبرزها رأيه

في دية المرأة ورأيه في توليها السلطة و رأيه في الحجاب (غطاء الوجه) ورأيه

في الغناء .

2- الشيخ محرج إمام في القوانين العالمية، ولذلك يصر على قبول شهادة المرأة في

الحدود والقصاص .

3- إصرار الشيخ على ضرورة إخراج المرأة إلى المسجد، هزيمة نفسية أمام ضغوط

الحضارة الغربية المنتصرة .

4- يعيب عليه تهجمه على الحركة الوهابية، وقوله في أن الوسائل الرديئة هي التي

هزمتها .

5- وعن تساؤله عن منهج الشيخ يقول سليمان العودة:

ما هو منهج الشيخ الاعتقادي؟ لا هو أشعري على طول الطريق ولا هو سلفي، فماذا يكون أذن؟ .

يقول: الذي اعتقده أن الشيخ لا يملك منهجا علميا واضحا في هذه الأمور، وأن هذه الأقوال المتفرقة التي سقتها إنما هي (انفعالات) عاطفية مؤقتة، ولذلك كانت متناقضة، فإن من طبيعة العاطفة عدم الثبات أو الاستقرار .

(سلمان العودة ، 1409 ، 34)

ويحتدم الصراع الفكري بين الغزالي ومناوئيه، فنجده يزجر بعض الناس عن رواية الحديث الصحيح، حتى يكشفوا الوهم عن معناه !

مثل حديث : " لن يدخل أحد الجنة بعمله ... الخ " مسترسلا بالقول إن طوائف من البطالين والفاشلين وقفت عند ظاهره المرفوض، وحسبوا أن يدخلوا دون عمل وتناسوا عامدين عشرات الآيات التي تجعل دخول الجنة نتيجة عمل واجب، فكنت أبين لهم أن الحديث ينفي الاغترار والاستكبار بالعمل وينفي أن الجنة ثمن العمل المقدم، ولكنه لا ينفي أبدا أن العمل سببها المحتوم، لقوله تعالى :

﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ صَادِقَ الْعَهْدِ وَكَانَ يُحِبُّ الْوَالِدِينَ﴾ (سورة النساء: 97)
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّةَ قَدْرًا﴾ (سورة الحديد: 41)
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّةَ قَدْرًا﴾ (سورة الحديد: 41)
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّةَ قَدْرًا﴾ (سورة الحديد: 41)

(43)

وكثيرا من القصاص والوعاظ ينفصم الوعي الذكي بالقرآن و الاقتراب الخاشع من مغازيه وبيئاته، ومع ذلك فليدهم ثروة طائلة من أحاديث الأحاد تحتاج إلى ترتيب وحسن إدراك .

(محمد الغزالي ، السنة النبوية ، 1990 ، 117 ، 118)

يقول الغزالي في دحضه لحجج المناوئين ومشاكسة المعارضين، نحن الذين نعمل للإسلام لا نهاب أي هجوم عليه، لأننا موقنون أنه سوف ينكسر على حدوده، إن حرية الرأي لا تعني حماية الخطأ، وإعطائه حق الحياة، وأقصى ما يناله الخطأ أن يعيش ريثما يعدم ويتوارى، والطريق التي نؤثرها أن نحارب الفكرة بالفكرة .

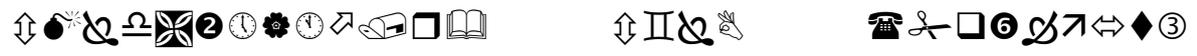
وفي رد الغزالي عن تيار سلمان العودة في قضية الحجاب الذي اتهم الغزالي فيه بمحاربة الحجاب، حين قال سلمان العودة : ..ولا يخفي الشيخ أن قناعته بها إنما هي بتأثير ضغوط الواقع الجاهلي المسيطر، وهيمنة النظم والقوانين والنظريات الغربية .

فمن ذلك محاربة الحجاب - أعني تغطية الوجه - وقد شن الشيخ عليه حملة ضارية مستغربة !. (سلمان العودة ، 1409 ، 23)

رد الشيخ الغزالي :

إذا كانت الوجوه مغطاة (والمجتمع إسلامي، المرأة فيه محجبة حجابا شرعيا، ليس السافر الذي نراه اليوم، إذ لا يصح أن نطلق عليه اسم حجاب، ولا يليق أن نتكلم عن النقاب مع هذا النوع من اللباس غير الشرعي بداهة)، فما يغض المؤمنون أبصارهم ؟

كما جاء في الآية الشريفة "  "







(النور ، 30)

أغضونها من القفا والظهر (المستورين سترا غير كاشف للمفاتن أصلا)؟! ، الغض يكون عند مطالعة الوجوه بداهة .

وهنا يبدو رد الشيخ الغزالي موضوعيا، بعدما أفحم صاحب الرأي المخالف بالحجة الدامغة من القرآن الكريم .

ونجد من المنتصرين إلى السنة حسب دعواهم، المغالين لآراء ومواقف الغزالي، أبي

إسحاق الحويني في كتابه المعنون بـ"سمط اللالئ في الرد على الشيخ محمد الغزالي"

وهو مؤلف يتضمن الكثير من السخرية بالغزالي والنقد الشديد لآرائه، حيث نجد صاحبه

يصب جام غضبه وكلماته خاصة على ما ورد للغزالي في كتابه، "السنة النبوية بين

أهل الفقه وأهل الحديث"، حيث حاول الحط من مقداره ووصفه بعدم امتلاك المعرفة

والدراية إذ يقول : قد بادرت إلى كتابة هذه الطليعة بين يدي الكتاب، لأبين فيها شيئا من

مغالطات الأستاذ المضادة للأمانة العلمية (...) وقد ساءني منه أنه ينصب العدا بين

المحدثين الفقهاء على نحو معيب، يكبر على أن يصدر منه، فيصور المحدثين على أنهم

نقلة يجهلون معنى ما يحملون !، وهذا بهتان عظيم ناشئ عن قلة إطلاع على الأقل

وتلك نغمة تسري في كتابات الأستاذ (...) وهو يصرح بالطعن على " أهل الحديث"

والذين يتسمون في كثير من بلدان المسلمين بـ " السلفيين " ويرميهم بدائه .

(أبي إسحاق الحويني ، 1989 ، 4، 5)

يقول الحويني ... وقد أستخدم - يقصد الغزالي - استخدام في تعبيره عن المحدثين بعض الألفاظ مثل " بصرهم بالقرآن قليل " ، " فتیان سوء " ، (أصحاب الفكر السطحي) (المشاغبون) ، (القاصرون) ، (الجهلة) ، كنت أحب ان يترفع الأستاذ عنها ، بلغني أن بعض الذين يردون عليه قد جمع كتابا، أو فصل في كتاب ، سماه " قاموس شتائم الغزالي " فذكر كل شتائمهم، ورتبها على حروف المعجم لكثرتها!! ألمني أن بعض الثقات قال لي : سمعت رجلا أتق به وسماه لي ، قال للأستاذ إن كثيرين يردون عليك في كتابك الأخير، فما جوابك؟! فأجابه قائلا :

لوكل كلب عوى أقمته حجرا لعز الصخر مثقال بدينار !

ثالثا : من قضايا الخلاف

يستدل الحويني بأن الأحاديث النبوية، ومنها أحاديث البخاري قد مر بها الكثير من الشراح يفوق عددهم، ثلاثمائة نفس، وكذا شراح - مسلم - من بينهم، ابن تيمية والذهبي وابن القيم والقاضي عياض، وغيرهم كثير، لم يعترضوا ولم ينكروا ما وجودوا حتى ابتلانا الله عز وجل بـ " المحققين " يقصد الغزالي وأمثاله .

يقول الحويني، إن من نافلة القول أن تذكر أن " الأشاعرة " يعتقدون بعقولهم فإنهم يقدمونها على النصوص الثابتة المستقرة، وقد وصل الأستاذ - بهذا المنهج - إلى درجة في غاية القبح في رده النص الثابت برأيه الفاسد (...)، ومن أمثلة ذلك أن مسلما روى في صحيحه (510 ، 265) عن أبي ذر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال " إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرجل، فإذا لم يكن بينه وبين يديه مثل آخرة الرجل، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة، والكلب الأسود " قال الراوي عن أبي ذر وهو عبد الله بن الصامت، قلت يا أبا ذر! ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر!، قال يا ابن أخي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني، فقال " الكلب الأسود شيطان "، فماذا علق الشيخ على الجملة الأخيرة من هذا الحديث، قال في كتابه الذي نرد عليه (ص129) : " والكلاب أبيضها وأسودها سواء!! (...) افهناك إنسان مسلم ، فضلا عن " داعية " كالأستاذ يقول بعد هذا

البيان : لا يا رسول الله! فالكلاب كلها سواء، لا فرق بين أسود، ولا أحمر، ولا أصفر؟ (...) لقد رأى الأستاذ بفقهه ((الثاقب)) وأن شئت فقل ((المثقوب))!! وعقله " الكبير" أن الكلب الأسود ليس شيطاناً، بدليل أننا نراه كلب، ولو شرحنا جسده وجسد كلب أبيض لوجدناهما سواء، فكيف يكون شيطاناً؟ (...) ، وهذا يريك انه يقدم عقله ((الكبير)) على النصوص الثابتة عند جميع أئمة المسلمين، وهذا هو منهج الأشاعرة الذي يتبناه الشيخ وينافح عنه بغير أن يسميه . (الحويني، 1989، 9 ، 11)

ولكن الذي يتأمل هذه القضايا الخلافية ببصيرة وإنصاف، يرى أن منطق الشيخ الغزالي أرشد من منطق مخالفيه، وان أدلته أقوى من أدلتهم، وأن رأيه أدنى إلى تحقيق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق ومراعاة طبيعة العصر .

وفي مقدمته لكتاب "الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر" .

أكد الغزالي أن حقائق الدين هذه وإنجازاته لم تكد تسري في مجراها من هذه الحياة حتى علقت بها رواسب البيئات ومخلفات القرون، وجهالات العامة، ونزوات الحكام، ما ذهب بالكثير من صفائها، ونقائها، فقد أصيب الدين الإسلامي بإضافات زائدة، وأفكار فاسدة شابت جوهره، وعكرت حقيقته، وألبست تراث النبيين الهداة بأضاليل الشياطين.

إن مواقف الخلاف التي أثارها الغزالي وغيرها من المغالطات في الدين كثيرة ووصفها بالغرابة عنه وإنها إرث من تقاليد الآباء والأجداد، وهي تدين لا يمت إلى العقل بصلة ولا يساهم في تهذيب النفس، ونجد من قضايا الخلاف بين الشيخ الغزالي وهؤلاء المنتسبين للسنة، قضية دية المرأة التي يرونها ويجعلونها نصف دية الرجل .

حيث يقول الغزالي : وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل وهذه سوء فكرية وخلقية، رفضها الفقهاء المحققون، فالدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون، زعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب.

قال تعالى : ﴿ وَالرِّجَالُ نَسِيبٌ كَمَا نَسِيبُ النِّسَاءِ لِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيُهُمْ وَأَمَّا الْوَالِدَاتُ وَالْوَالِدَاتُ لِمَا نَسِيبْنَ وَلِلرِّجَالِ نَسِيبٌ كَمَا نَسِيبُ النِّسَاءِ لِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيُهُمْ وَأَمَّا الْوَالِدَاتُ وَالْوَالِدَاتُ لِمَا نَسِيبْنَ ﴾

ويروى الشيخ في مؤلفاته الكثير من المواقف التي تواجه فيها مع النظام القائم عبر الحقب التي تداول عليها الساسة في مصر، أيام مكوته هناك وكان يدرك كل الإدراك أنه سيلاقي ردودا قاسية تصل إلى السجن أو القتل، وهو أمر لاقاه الكثير من الدعاة والمصلحون، ولكن يراعه لم يعرف التوقف عن سيلان حبره، في نقد كل ما يراه مخالفا للإسلام حيثما كانت الهيئة أو الجهة التي تتبناه، ولو كانت رئاسة الجمهورية، وكثيرا ما كانت تفلح معارضته ونقده الذي كان ينتصر من ورائه للإسلام فحسب، وحادثة معارضته لقانون الأسرة، الذي عرف في وقت الرئيس أنور السادات، "بقانون جيهان"، زوجة الرئيس معروفة لدى المؤرخين، حيث لاقى الأمر زحما شعبيا، يكاد يشمل كل مدن جمهورية مصر بسبب خطب الغزالي آنذاك، التي استشاطت غضب الجماهير وجعلتهم يخرجون زرافات زرافات إلى مبنى الحكومة، لإبداء رفضهم القانون الذي اعتبره الغزالي مناهضا للقيم الإسلامية.

هذه الأحداث جعلت السادات يتراجع عن التعديلات التي أخطرق بها قانون الأسرة بمصر ويعد كتابه: "الإسلام والاستبداد السياسي"، من المؤلفات التي أحدثت الكثير من السخط والغط في مصر، وشوكة حادة لاذعة في وجه الطغيان والاستبداد، وفي هذا المقام يقول الشيخ الغزالي عن مؤلفه المذكور:

أشهر كتبي عندما هاجمت فيها الطغيان وفساد الحكم وأسميته "الإسلام والاستبداد السياسي"، وكان ذلك في أواخر الأربعينيات، وكان هذا اليوم من أهم أيام حياتي وأعتبره نقطة انطلاق لي (...). بمجرد أن نزل الكتاب إلى الأسواق، فوجئت بالحكومة كلها تهتز، وتصدر قرارا بمصادرة الكتاب وأحست أن القصر الملكي، اهتز بشدة من هذا الكتاب، وقبض علي وقدمت للمحاكمة، بتهمة مهاجمة الحكومة (...). وخرجت من هذه القضية بدون أن تثبت علي شيء. (محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد، 2005، 7)

إن إطلاع الشيخ الغزالي عن طبيعة الإسلام السمحة، وتشبعه من قيمه الداعمة إلى حرية الفكر، وأسلوب العيش التي لا يتحكم في ضوابطها إلا القرآن والسنة المحمدية اللذان يتيحان للمسلمين المجال للكشف عن إبداعاتهم وتطوير مواهبهم، معتبرا في كل هذا أن الاستبداد عدو للحرية، والفكر، والدين، والحضارة، والحياة.

يقول الغزالي : إن الحكم الاستبدادي تهديم للدين، وتخریب للدين، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعاً، وهو دخان مشئوم الظل، تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث أمتد، فلا سوق الفضائل، ولا الأدب ينشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج . إن الشيخ الغزالي يعتبر الاستبداد بالرأي أشد ضراوة وضرراً من ضرر الأعداء المغتصبين والكفرة الملحدين، انه يمثله كالداء والعضال الذي تنقشى أقداره وسمومه في الجسم، حيث يبئلى هذا الجسم بالضعف والهزال، ثم الموت البطيء، لا ينفعه أي دواء ولا يمتثل يوماً للشفاء.

وفي رفض الغزالي لانحراف حاكم البلاد وتنزه مكانته ووجوب تحليه بالفضيلة من الأخلاق والتسامي عن الدنيا والمشبهوات، وتميزه بخصال القائد الفذ، والحكيم المتعالي على الترهات، العادل في مختلف القضايا والنازلات، يكون لرعيته بمنزلة الأب للأبناء حريص على مصلحة العامة والبلاد، منتصراً للإسلام في كل أبعاده، مدركاً أن المقام بالكرسي والسلطة لا بد وأن يخلفه الرحيل، ولا بد أنه مغادر، وما هي أيام الحكم إلا وكالة أيام، وان طالت فهي قصيرة كالسويجات، لذا لا يجب أن يجمع بين المتناقضات في شخصه وسلوكياته، ويحرص على ضبط حاله، لأنها قضية من عزم الأمور، ولا يؤتاها إلا نو إرادة وصبر وجلد، ولأن الحاكم محط أنظار العامة والرعية، ولا يمكن بأية حال استقامة من تجمع في سلوكياته المتناقضات، لأن قانون الفطرة الذي أودعه الخالق في مخلوقاته من البشر لا يستجيب أو يتفاعل مع هذه التركيبية ، فكما لا تجتمع النار مع الماء، لا يجتمع المكر والخبث مع الطيبة، ولا الباطل مع الحق، ولا الوفاء مع الخيانة ولا الصدق مع الكذب فحال هذه المتضادات الكثيرة كحال قطبي المغناطيس المختلفين (- ، +) لا يمكن أن يتلاصقا في الطبيعة .

يقول الغزالي : ... ففكرة المستبد العادل، كانت فلسفة لواقع معين لتبرير وتسويق الاستبداد السياسي من فقهاء السلطة وكلمة " مستبد عادل " تساوي " عالم جاهل " تساوي " تقي فاجر " هذا جمع بين الأضداد . (محمد الغزالي ، مشكلات ، 2005 ، 127) إن غياب إرادة قوية وصادقة لأولي الأمر في الأمة، في اختيارهم النموذج الأصوب ولأوفق لمسائر الدنيا والدين، والحامي لثقافة ونهج المسلمين القويم، يفتح الباب لكثير من المتمظهرين بالدين ليصولوا ويجولوا ويفسدوا، ويغيروا ما استحفظ عليه من قرون لتعم الفوضى في الدين، كما هي الفوضى الآن في السياسة، هذا الأمر سيشتت فكر

العامة من الناس، ويفتح المجال للتطرف والاستبداد بالرأي، مما يوسع مسافة الاغتراب التي يعيشها المسلمون والعرب خاصة، بينهم وبين الأمم الأخرى فبينما يفر الأدمغة من أبناء الأمة الداركين لحقيقة الدين والحياة، إلى ما وراء البحار لتنمية مواهبهم والتمتع بما أحل الله لهم من نعم، وبما وفرت لهم تلك الأمم من وسائل وأجواء تحقق لهم حرية العبادة، العبادة الحقة، وتطلق لهم العنان ليبدعوا ويتنعموا فيما يرغبون من حقوق يبقى أبناء الأمة العربية يعيشون في صراع فكري وأيديولوجي، مما زاد حالهم حلحلة وتخلفا وتراجعا عما كانوا عليه قبل الآن، واتضحت النوايا وغلبت المصالح الفردية والشخصية على المصلحة العامة للشعوب المقهورة، وصرفت الأنظار عن سبل الرشاد، فتشعبت الآراء وسادت الغوغاء في الأراضي العربية، وما حققتة الشعوب بعد تضحية ونضال لقرون ذهبت به أهواء السياسة والساسة، وأصحاب الحسابات الضيقة، الذين أججوا لتصارع وتناطح المذاهب، مما ساهم في تشتت شمل الأمة وضعفها وتقهرها، فهذا مذهب شيعي ينادي لإسلامه، وذاك سني ينادي لإسلامه وأصبح الإسلام متعدد الأوجه بل وتحت كل مذهب مذاهب أخرى.. والنتيجة!، من أجل أن يسود رأي مقابل آخر يموت أبرياء، وتهتك أعراض، وترمل نساء، ويكثر الأيتام... وتدمر البنايات وتسقط الحضارات ... والنتيجة! مغنم كثيرة، لأعداء كثير، تربصوا الضحية حتى تملكها الجنون، واستأنست لهم فاستباحوا أكل ثروات الأمة، كهبة على طبق من ذهب، وأبناء الأمة جياع وعرات، ذنبهم أنهم ضحية صراع أفكار ومذاهب، تقدس صنم الفكر واستبداد الرأي، وجبروت الطبقة الحاكمة، فما منعه عن شعوبهم أباحوه لحماتهم، مقابل بقائهم في الريادة .

فلنتصور معا لو حدث العكس، لو ساد العدل واهتم الرعاة بالرعية، وفسحوا المجال لتسود الحرية، حرية الأفكار والإبداع والتمتع بالحقوق، وساد منهج الموضوعية، وقدمت المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، لوجد الفرد نفسه ينساق عن طواعية لأداء واجباته، بل ويتفانى في أدائها مما يعود بالخير على الكل، ويتضاعف المردود الجماعي وتحى مقومات الوطنية، التي استميتت، والكل يشارك في التشييد والبناء، بدل التخريب والفناء .

لقد كانت الصراعات المذهبية والإيديولوجية وراء كل النكبات العربية، وفي كل مرة يعاد نفس الخطأ في التاريخ، وبالتالي تظهر نفس النتيجة، والعربي يبقى بليد الفكر، لا

ونجد الشيخ الغزالي ينافح على إعلاء كلمة التوحيد في كل المنابر العلمية وأينما حل وارتحل، كداعية ملهم بأسلوب مقنع، وفكر ثاقب مبدع وحجة قوية وبالغة، وهدوء ومعاملة حسنة.

سادسا: من أحاديث الإثنتين الدينية للشيخ محمد الغزالي بالتلفزيون الجزائري

أذكر أنه في فترة الثمانينات كنت في نهاية طفولتي وكنت أترصد أمسية الاثنتين لحضور حديث الشيخ الغزالي والسماع إليه وكلي آذان صاغية، كل هذا دون توجيه من احد، وأذكر أنه كان يقع في نفسي وأنا متأثر بسرده للقصص القرآني، وتحليله لعل المجتمع بأسلوبه الجذاب البسيط، مما يدخل للنفس السعادة، والطمأنينة والتفاؤل بالحياة فينتابني شعور بأنه يشحنني من جديد، ويذهب عني حالات الملل، هذا رغم حداثة سني وعدم إدراكي لكثير من القضايا، واعتقد أن سلاسة أسلوبه ولمسنا لصدقه بفطرتنا كانا وراء كل ذلك التأثير، وهذا الاهتمام بالحضور أمام التلفاز لمتابعة أحاديث الشيخ كان ظاهرة يعيشها أغلب المجتمع الجزائري آنذاك .

ونجد الأستاذ محمد الهادي الحسني، الذي حضر وصية الشيخ الغزالي على نشر أحاديثه وإهداء ريعها للمعاقين الجزائريين ... يشهد على هذا التميز للشيخ الغزالي عندما وكل لإدارة ندوة حول أبعاد القرآن وأثره في حياة الناس حيث يقول :

كان الشيخ الغزالي نجم تلك الندوة اللامع، وبدرها الساطع وقد وسوس الشيطان في صدور أوليائه، وأوحى إلى جنوده بعدم بث تلك الندوة التليفزيونية، وكم ضيع الجاهلون من خيرات على الجزائريين، شعرت في تلك الندوة أن الشيخ يتكلم بصدق، ويتحدث دون تكلف أو تعالم، وكأنه كان طبيبا يعالج مريضا لينقذه، في حين كان غيره ينمق عباراته ويزخرفها ممارسا في ذلك ترفا فكريا لا جدوى منه، ولا فائدة منه، بين الشيخ بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ما صنعه القرآن الكريم، الذي حول رعاة الغنم إلى مربي الأمم، ومنتجي السديد من الأفكار ومنشئي الحضارة ... كما وضع كيف تردى المسلمون وهانوا على غيرهم، ولم يعودوا شيئا مذكورا، وذلك عندما اتخذوا القرآن مهجورا وانتبذوه وراء ظهورهم، بل إن منهم من صد الناس عنه بما أنشأ من أوراد وبما ألف لهم من أدكأ، وقد أستحوذ الشيطان على بعضهم، فزعم أن ورده أفضل من القرآن الكريم والعياذ بالله من هذا الكفر البواح. (عبد القادر نور ، 2011 ، 13-12)

إن سردي لشهادة الأستاذ محمد الهادي الحسني، جاء تثمينا لشهادة الكثيرين، وعلى رأسهم أصدقاؤه الذين خصصناهم بالذكر أثناء بحثنا، وليس في الأمر إطراء للشيخ الغزالي، وإنما كما قيل **السنة الناس أقلام البارئ**، فلم يكن للشيخ عنوان يذكر أو أسم يلمع، أو سيرة تتلى لولا تميز فكره عن الآخرين، كما أن ما اتفق على رجاحة فكره أغلب الناس، والمتفقون والعلماء، لا يضير ولا ينال منه من خاض في سيرته الجاحدون **فالكلاب لا تنبح في الميت**، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، وقد نبه الشيخ في تلك الندوة إلى أن المسلمين لن يعودوا إلى مسرح التاريخ، وإلى إنتاج الأفكار النيرة، وبناء الحضارة الزاهرة، والى العزة والسيادة إلا إذا عادوا إلى القرآن الكريم، وهذا مالا يألوا أعداؤهم في منعهم منه بشتى أساليب المكر، وبمختلف وسائل الكيد.

ويواصل الأستاذ محمد الهادي الحسني شهادته بقوله: " زرتة صحبة الصديق الدكتور عبد الرزاق قسوم في بيته بالقاهرة قبيل وفاته بعد أشهر، فكنت أزداد علما بعد كل لقاء، وأزداد أعجابا بأخلاقه السمحة، وإكبارا لشخصيته، لبساطتها وزهدها، لقد سمع الغزالي من أرذل الجزائريين، وسفهائهم أذى كثيرا، فأعرض عن لغوهم ومر عنهم مرور الكرام على اللئام، ولم يصرفه ذلك السفه، ولم يوقفه ذلك الأذى، من مواصلة نسف قواعد ضلالهم، ولكن الذي ألمه أشد الألم هو اتهامه من بعض المسؤولين الجزائريين بأن خطبه ودروسه العامة والخاصة، هي سبب الفتنة التي أصابت الجزائر وعصفت بالجزائريين (...).، عندما زرناه في بيته بالقاهرة قال بأنه يتحدى أي شخص يثبت عليه ذلك، مؤكدا أنه كان داعيا إلى الإسلام الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة .

(المرجع السابق ، 15\14)

ويعد من النخب الجزائرية التي أحببت الشيخ الغزالي، وأعجبت بقراره الدكتور عبد الهادي الخالدي، الذي قام بتصدير كتاب أحاديث الاثنين حيث يصفه بأنه :
كتاب تعطره أنسام الجزائر، وتزكيه حبالها الشامخات، بهرت فصوله الأنوار وغمرت فيوضاته البحار، وقديما قال العلماء رب كتيبة فضها كتاب، وخطب صرعه خطاب وهذا الذي بين أيدينا يعتبر من مقاصد ذلك القول المأثور، فقد أشتمل على محاسن الدرر وفوائد العضات الغرر، لكأنه مقدمة لكتاب العبر، فقد استجلى مستجدات الأمور وعالج القضايا التي أفرزتها الأعصر والدهور، وأجاب عن اشتغال المستمعين، وأمتع بصائر المشاهدين، وأحاط بالعديد من قضايا الدين .

يقول الغزالي :

الأمراض المعنوية التي تصيب الأمم من هذا القبيل – يقصد السل والزهري – فهي تتطور، والمصلحون مكلفون أن يوقفوا سير المرض في مرحلته الأولى، فإن تطور إلى المراحل المتأخرة ربما كان معه الموت أو كان معه الدمار الشامل (...). إن الأمر لا يعنيني ، إن كسل عامل أو موظف في ديوانه، أو أي إنسان أمام أمانات الله الموجودة بين يديه، إن هذا الكسل ينمو ويتضاعف وينتشر من فرد إلى فرد، وينتشر من طائفة إلى طائفة، فإذا غمر الأمة كلها نوم على الخطأ، وتغاضى عن الرشوة، وإهمال للواجبات مع قلة اكتراث للأمر بأدائها، أو بالنهي عن مواقف الناس بإزائها، هذا كله حكم على الأمة بالضياع .

ففي هذا الحديث يقرب الغزالي للناس مفهوم الأمراض والعلل الاجتماعية كالرشوة والتكاسل عن أداء العمل والأمانة، والإهمال، معتبرا إياها أمراضا خطيرة مدمرة للأمة جمعاء، مثلها مثل الأمراض المستعصية والخطيرة : كالسل ، والزهري ، فهي شديدة وسريعة الانتشار والعدوى في المجتمع، ولا يمكن علاجها وعلاج الفساد الناتج من خلالها إذا انتشرت وتوسعت رقعتها، بينما في ختام هذا الحديث يبين إن الأمم العظيمة هي الأمم التي تبصر جهاز الدولة وجهاز المجتمع، وتبصر المدرسة الصغيرة والجامعة الكبيرة بخطورة هذا الخلل، وتهاجمه وتحارب سريانه وانتشاره ، فالأمة التي تحترم نفسها هي الأمة التي لا يقدر فيها الخطأ.

وكان الغزالي قد حذر الأمة الإسلامية مما نعيشه الآن ولكن هيهات، لقد تم التآلف مع النقد من أولي الأم، وتم التآلف مع الخطأ من العامة، وكان الأمر مثل جسم العليل الذي ألف جرعات الدواء، إلى درجة عدم التفريق بينه وبين جرعات الماء .

حديث الإثنين : حديث عن الخلاف في فقه الأحكام

لقد شاعت بعض الأمراض في الثمانينات بين أفراد المجتمع في الجزائر، كالصرع والأمراض العصبية لدى النساء لم يكن فيها الطب في علم النفس والأعصاب وغيرها متطورا في البلاد، مما فتح المجال للطفيليين، و قناصي الحمقى، ومستغفلي الناس ومغتتمي الفرص، أن ينشروا شباكهم حول هؤلاء باسم الدين، مدعين أن لديهم العلاج الشافي، وأن الأمر لا يعدو ركوب جن !.

يقول الغزالي : "سبب يدعوا للضحك، جاء رجل إلى الجامعة يسأل عني فلم يجدي فذهب إلى البيت و استخرجني، قال يسكنني جن، فقلت له عجا ولماذا يسكنك الجن ... قال هو جن صهيوني، فقلت له : سبحان الله لم يكتف الصهاينة باحتلال فلسطين حتى جاؤوا يحتلون بدنك ؟ ، اذهب وعالج نفسك إن كنت مريضا ، أو صحح دماغك إن كنت أحمقا ، المهم ، الفتوى بعد أن أذعتها ، جاءني رجل وقال لي : كيف قلت ما قلت، قلت له: مستندا إلى كتاب الله الحقائق التي أعرفها ، قال فابن تيمية يرى غير ذلك ، هو يرى أن الجني يدخل جسم الإنسان ، استدل بالحديث الذي يقول " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق " قلت له حديث صحيح لكن إيرادها هنا غلط ، أتعرف متى قال النبي هذا الحديث ؟ كان واقفا أمام المسجد مع زوجته صفية ، فمر اثنان من الصحابة و رأوا النبي مع المرأة وهم لا يعرفونها، فحثا الخطى مسرعين، فناداهما النبي وقال لهما على رسلكما، هذه صفية امرأتي، قالوا يا رسول الله أنذا ظننا بأحد سوءا نظن بك ؟ قال : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق " ما معنى هذا ؟ معنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم خشي من الهواجس والوساوس التي يلقيها الشيطان في روع هذين الصحابييين .

لقد أورد الغزالي هذه القصة، من باب تصحيح المقاصد والمفاهيم، صابا جام غضبه على التدين المغلوط المتقشي في المجتمع، والتفسير المضلل من بعض المتفقيهيين الذين ما صدقوا أن تعرفوا على بعض السنن والمستحبات للوضوء، فأسدلوا اللحي، وقصروا السراويل، طلبا للكسب السريع، اطلعوا على بعض الأحاديث وراحوا يمجون بين الناس ويفتون ويداؤون المعلولين والمجنونين باستخراج الجن من أجسامهم، بما فقهوا وبالعصي والهراوات إن لم تحالفهم الطلاسم والتعويذات !.

وفي هذا الحديث للغزالي يقول : " عندما قال النبي : هذه صفية زوجتي هو لا يخشى أن الشيطان يركب الصحابييين، أو يحتلها كما احتل هذا الشاب الأحق الذي جاءني لا هو يريد منع الوساوس " .

ويواصل الشيخ :

لا يملك الجن، ولا يملك إبليس أي سلطان مادي على الإنسان قال : (يعني السائل) لكن ابن تيمية يقول في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْزِبْكَ اللَّهُ فَقَدِ ابْتَدَأَ بِكَ الْوَسْوَاسَ الْخَاسِرَ ﴾

... ﴿٢٧٥﴾ ﴿٢٧٤﴾ ﴿٢٧٣﴾ ﴿٢٧٢﴾ ﴿٢٧١﴾ ﴿٢٧٠﴾ ﴿٢٦٩﴾ ﴿٢٦٨﴾ ﴿٢٦٧﴾ ﴿٢٦٦﴾ ﴿٢٦٥﴾ ﴿٢٦٤﴾ ﴿٢٦٣﴾ ﴿٢٦٢﴾ ﴿٢٦١﴾ ﴿٢٦٠﴾ ﴿٢٥٩﴾ ﴿٢٥٨﴾ ﴿٢٥٧﴾ ﴿٢٥٦﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿٢٥٤﴾ ﴿٢٥٣﴾ ﴿٢٥٢﴾ ﴿٢٥١﴾ ﴿٢٥٠﴾ ﴿٢٤٩﴾ ﴿٢٤٨﴾ ﴿٢٤٧﴾ ﴿٢٤٦﴾ ﴿٢٤٥﴾ ﴿٢٤٤﴾ ﴿٢٤٣﴾ ﴿٢٤٢﴾ ﴿٢٤١﴾ ﴿٢٤٠﴾ ﴿٢٣٩﴾ ﴿٢٣٨﴾ ﴿٢٣٧﴾ ﴿٢٣٦﴾ ﴿٢٣٥﴾ ﴿٢٣٤﴾ ﴿٢٣٣﴾ ﴿٢٣٢﴾ ﴿٢٣١﴾ ﴿٢٣٠﴾ ﴿٢٢٩﴾ ﴿٢٢٨﴾ ﴿٢٢٧﴾ ﴿٢٢٦﴾ ﴿٢٢٥﴾ ﴿٢٢٤﴾ ﴿٢٢٣﴾ ﴿٢٢٢﴾ ﴿٢٢١﴾ ﴿٢٢٠﴾ ﴿٢١٩﴾ ﴿٢١٨﴾ ﴿٢١٧﴾ ﴿٢١٦﴾ ﴿٢١٥﴾ ﴿٢١٤﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿٢٠٣﴾ ﴿٢٠٢﴾ ﴿٢٠١﴾ ﴿٢٠٠﴾ ﴿١٩٩﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿١٩٧﴾ ﴿١٩٦﴾ ﴿١٩٥﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿١٨٣﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿١٧٣﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿١٣٠﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿١٢٨﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿١١١﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٠﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

فهو يستدل بهذا على أن للشيطان مسا يتخبط الإنسان به ، قلت له : دليل غير صحيح أيضا (...) من المرابين في أوروبا وأمريكا أو آسيا أو إفريقيا حيث يعيش ، رأيناه يتخبطه الشيطان ، ويهتز هنا وهناك، وهو يتعاطى الربا ، (...) إن أيوب كما ذكرت

سورة (ص)، قال تعالى: ﴿١٠٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٠﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

هل مس الشيطان أيوب ، أيوب ركب الشيطان !؟
أيوب من المرسلين ومن أنبياء الله ركب شيطان ؟ أم أن مس الشيطان كان وساوس ومتاعب ؟ .

...العلماء والضباط والرواد يذهبون في الأفق بعيدين بمئات الأميال عن ظهر الأرض هؤلاء يقولون: لا تصعدوا إلى أعلى ، فالجن في كل مكان، إذا أردنا أن نغوص في البحار ، الجن في البحر ، إذا أردنا أن نخرج ليلا ، الجن في السكك بالليل، أورثوا الأولاد الجبن، وعلموا الناس السفه ، وإذا حدثتهم عن الحقائق ، قالوا لك :القرآن ذكر الجن، نعم ذكر الجن فهل التزمت بما ذكر القرآن عن الجن ؟ (...) الجن أهل إغواء وأهل استهواء وبين(القرآن)أنك أنت بالطريقة التي تتعامل معهم تهين نفسك لضلالها.

(عبد القادر نور نفس المرجع، 85، 2011)

كم هي كثيرة القضايا التي أثارها المحدثون وتفسيراتهم حول النصوص القرآنية، وكم هو عدد مداخلات الغزالي لترشيد أفكار هؤلاء، مبينا أن خطر إساءة فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، أشد فتكا بالأمة، فخطرها يضاهي خطر ما يحيكه الأعداء من اليهود والكفار بالأمة الإسلامية ، إذ يفعل الجاهل بنفسه وأتمه ما لا يفعله العدو بعدوه فتضليل الناس وصرفهم عن إتباع الحق، وإفنائهم بغير علم، هو أمر جلل، وانحراف واعوجاج لنهج الإسلام، يستغرق تصحيحه وإصلاحه حقبة زمنية قد تطول، وأثره ضربية تدفعها الأجيال، وتهضم حقها في مسايرة التحضر، والتطور الذي تعرفه باقي الأمم .

وهكذا بقي الشيخ محمد الغزالي، واقفاً تعليمه ولسانه كالجبل الأشم في أوجه الرياح العاتية، وطوداً عظيماً لا تتنبيه أي قوة عن قول الحق، والانتصار للإسلام، والإيمان بالله ظل مكافحاً، متحدياً معارضة المناوئين، وتهديد المكابرين، إلى أن لقي الله رب العالمين.

يقول الغزالي عن نفسه :

لم أكن أتخيل في طفولتي ولا يفاعتي، أنني سأكون يوماً ما داعية، وما حسبت ولا حسب القريبون مني أنني أصلح للعمل في هذا الميدان، إنني لا أطيق التزمت، ولو تكلفته ما أحسنته؟ وأحب أن استرسل مع سجيتي في أخذ الأمور كلها، وقلماً أكثرت للتقاليد الموضوعية، والمفروض أن اللازم والأولى في رجال الدين، كما يسمون، أنهم أهل توفّر وسكون، وأنا أجنح إلى المرح عن رغبة عميقة، وأتلمس الجوانب الضاحكة في كل شيء وأود لو استطعت أن أعيش هاشاً باشاً، والمفروض أن الناس يتوقعون من أمثالنا تواصل الأحران، وإطراق الكآبة.

ثم أنني شعبي في تصرفي، لو كنت ملكاً لأبيت إلا الانتظام في سلك الأخوة المطلقة مع الجماهير الدنيا، أخدمهم ويخدمونني على سواء ! .

وقد تكون الأيام غيرت مني، والتجارب القاسية علمتني فجعلتني وأنا الضحوك المبتهج أغوص في بحار من الأكدار، وأتحدى موضع قدمي، وأنا أسير بين الناس كأنما أحاذر شراكاً منصوبة، أو أصعر خدي، علم الله لا عن كبر - بل إحجاماً عن قبول الدنية ورفضاً لهضم الحقوق ! وما اضطررت إليه من عمل ينافي طبعي، فان مرده طبيعة الأحوال التي أحيا فيها، وليس البتة من طبيعة الرسالة التي أؤديها، بعدما صرت إلى ما خطه القدر لي، أي رجلاً من الدعاة إلى الله ، وهمزة وصل بين الأرض والسماء .

وأنا أقرأ هذه الفقرة الأخيرة من كتابات الغزالي، سألت عيناى دمعاً، وانتابني شعور بالحزن والأسى عن نفسي ، وعن رجال أمثال محمد الغزالي، شعرت وكأننا نتبادل الأدوار في هذا الزمن، فالحظة التي أتواجد فيها الآن بالحياة، بعد هنيهة تصبح ليست ملكي، بل تدخل في تاريخ وجودي، هذا التاريخ الذي أتحمّل لوحدي تثمينه بعلمي، ويقع علي لوحدي ثقله، فكما عاش الغزالي حياته بكل أفراحها وأتراحها، همومها ومشاكلها سعادتها وأحزانها، حلوها ومرها، أعيشها أنا الآن، فقد لا تتشابه المواقف بيننا، ولكن المشاعر والأحاسيس التي نمر بها تتشابه كثيراً، ولكل أجل كتاب... لقد ألفت هذه الرسالة واندمجت مع شخصية الغزالي، حتى لكأنني أشعر بمرافقته في مراحل حياته طيلة هذا

الفصل، إلى أن توفي الآن فقط أمام عيني، فكما انتابني شعور بالراحة عند إنهاء كتابتها حزنت لفراقها ؟ ... لست أرجو من كتابة هذه الكلمات، إثارة عاطفة القارئ ولا تجاوب لجنة المناقشة مع موضوعي، لأنني اعتبر عملي هذا قربة لله سبحانه وتعالى، فإن أخطأت فمن نفسي وغواء الشيطان، وإن وفقت فالفضل يرجع لله، ولتوجيه أساتذتي ومعلمي ومشايخي الكرام، الذين يصدق فيهم قول الشاعر:

ما لفضل إلا لأهل العلم أنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
 وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاحدون لأهل العلم أعداء
 فقم بعلم ولا تطلب به بدلا فالناس موتي وأهل العلم أحياء

وأما الشيخ الغزالي فكثيرا ما كان يردد هذا البيت :

ما من كاتب إلا سيفني ويبقى الدهر ما كتبت يداه

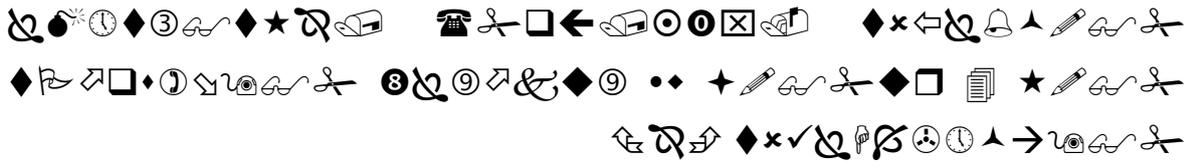
سئل الغزالي عن أمنيته قال : " أمنية حياتي أن أموت وادفن في الأرض لمقدسة " طوبى له فقد كان له ذلك .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ بِإِذْنِهِ﴾ . (الأحزاب 23)

وقال فيه صديقه ورفيق دربه، الشيخ يوسف القرضاوي ناعيا وفاته، مبرزا خصاله وأخيرا هوى النجم الساطع، واندك الجبل الأشم، وطوي العلم المنشور، وغابت الشمس المشرقة، وترجل الفارس المعلم، ومات الشيخ الغزالي ! أخيرا فقدت الأمة الإسلامية علم الأعلام، وشيخ الإسلام، وإمام البيان، ورجل القرآن، أخيرا أغمد قلم كان مسلولا على أعداء الله، لم يقل له حد، طالما أربع الملاحدة والمنافقين صفوفًا على دعوته، لقد سقط الفارس، والسيف وصلت في يده في ندوة (الإسلام والغرب) التي عقدت في الرياض، واحسبه من الشهداء " إن شاء الله " فقد مات وهو يدعو ويدافع عن الإسلام كما مات غريبًا، كنت أعلم أن الشيخ الغزالي مصاب بجلطة منذ سنوات وأن أطباءه نصحوه وأكدوا عليه إلا يسافر، لأن صحته لا تحتمل متاعب السفر، ولكن الشيخ لم يكن يسعه إذا دعي إلى عمل إسلامي أن يرفض، ويقول إن الكريم لو دعي لطعنة لأجاب ! .

أن مغادرة الشيخ محمد الغزالي للحياة، كانت حالة بيولوجية فقط، وانتقال إلى حياة أخرى لكن فكره لا يزال حيا، يتداول بين الناس كأمثاله من العلماء والأصفياء، لقد أسس الشيخ لمدرسة فكرية إسلامية معاصرة، وحركة نهضوية لا تزول بزوال الرجال.

خلاصة



(الجمعة، 5)

فللخروج من هذا الجدل القائم، بين مفكري المدرسة العقلية، والمحدثين، وإدعاءات المتففيهين، ووجب أن توضع مخابر بحث لدراسة القضايا الإسلامية، يكون فيها أكاديميون على أعلى المستويات والمعارف، ومختلف التخصصات، للبحث فيما شكل واختلط من أراء ولتجنب الفتنة بين أبناء الأمة، والابتعاد عن الجدل العقيم، الذي أخذ من وقتنا الكثير وشغلنا عن منافسة الأمم ومواكبة الحضارات وما ينفع ديننا ودينانا لقد أضحي عدد ضحايا الفكر والاختلافات الفقهية والمذهبية لدينا نحن العرب، يتجاوز ضحايا الحروب والمجاعات ! فكفانا جهلا، إن إزهاق روح عالم كإزهاق أرواح أمة .

إن التعصب صفة ذميمة، يكره الإنسان العاقل أن تنسب إليه، أو أن تظهر في حكمه على الأشخاص والأشياء، لأن التعصب معناه تحجر العقل، وانعدام القدرة على الموازنة بين وجهات النظر المختلفة، ولذلك فإن الإنسان العاقل يكره أن يقال عنه : انه متعصب للرأي، لأن تعصبه يعني أنه مهما تكاثرت الأدلة بين يديه على الحق فإنه لا يتبعها، ولا يستمع إليها، فلقد وصل اختلاف الرأي، بالعرب إلى مخالفة الأعداء من الكفار واليهود من أجل تدمير أهل الرأي الآخر، من الإخوة في الدم والدين، أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، فهل يوجد ضلال بعد هذا الضلال ؟، وظلم بعد هذا الظلم ؟ أن يستعين المسلم بعدوه الكافر من أجل تدمير أخيه المسلم، فقط لاختلاف في الرأي أو المذهب، والعالم يتفرج، إن إعلاء كلمة الحق فريضة على كل المسلمين .

فأين أمة الإسلام من كلمة التوحيد لا اله إلا الله محمد رسول الله؟.

خاتمة:

حازت البشرية جمعاء على أفضل كتاب منذ الأزل هو القرآن الكريم، الذي لم يعرف التحريف ولا التزييف، حماه الله من فوق سبع سموات، على خلاف ما أنزل من الكتب وأودعه أسرار الدنيا وأخبار الآخرة، ومختلف العلوم، خدمة للإنسان، وجعل لها مفتاحا لا يملك سواه سوى هذا الإنسان، هو العقل و الذي يركز ويستمد قوته من الفهم والذكاء لا لشيء إلا ليتقوى هذا الإنسان وينتفع بما خوله الله من نعم، فيجتهد ويستدل على الخالق ويحسن عبادته التي يجني ثمارها الأبدية بعد مغادرته الحياة الدنيا، والتي ما هي إلا اختبار للمرور إلى الحياة الأزلية، حياة الآخرة حيث ينال فيها جزاءه على حسب صنيعه وعمله إن خيرا فجنة ونعيم وإن شرا ف نار وجحيم .

ولكي يدحض الخالق حجة هذا الإنسان، زوده بالسنة النبوية المحمدية، شارحة له ما غم عليه وليفهم عبرها، ويستدل من أحكام توضيحية لمختلف آياته .

إن من بين الحقائق التي إهتم بها، من خلال القرآن والسنة النبوية هي التربية في مختلف أبعادها، وشتى مفاهيمها وهو أمر حاولنا تتبعه وتقصى حيثياته، عبر مختلف الفصول وصولا إلى الفصل الرابع من بحثنا واستشفينا الكثير من حقائق حولها، واقفين على الكثير من الشواهد والأدلة والتجليات أخذين من أهم مفكري العصر، الشيخ محمد الغزالي، عينة ونموذجا للبرهنة والاستدلال في الفصل الخامس .

إن رصد الحقائق التربوية في كتب ومؤلفات الشيخ الغزالي، تتطلب الكثير من القراءة لما كتب، وتتطلب التحليل والاستنتاج والمغامرة لكل باحث مبتدئ، كمن يبحث على الدرر في حقول المرجان بالمحيطات، ونكون محظوظين إن استخرجنا بعض الجواهر التربوية، لندرجها في طيات بحثنا ودراستنا المتواضعة.

لقد اعتمدت كثيرا في متابعتي لسيرة محمد الغزالي عن شهادات أصدقائه ورفاقه ومحبيه من العلماء والباحثين، مثل : الشيخ يوسف القرضاوي ومحمد عمارة، وغيرهم كثر لإثراء هذا البحث، ولما لمست من تناسق في شهاداتهم التاريخية، رغم اختلاف مشاربهم مما يعكس صدق قولهم في الشيخ محمد الغزالي.

وكحوصلة لما أنتج الغزالي فإنه :

- 1- قدم قراءة متميزة للنص القرآني، وأبدع في تفسيره الموضوعي مقاربا إياه بالواقع الاجتماعي للمسلمين، و معالجا عبره مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والدعوية، والتربوية، والروحية التعبدية .
- 2- أبرز الشيخ الغزالي التصور الجديد للإنسان من خلال القرآن، ومكانة هذا الإنسان في الوجود والحياة، ووجوب الخروج من التوقع الفكري الذي جثم على عقول المسلمين لمدة قرون خلت، كان من نتائجه الحالة المتدنية للمجتمع الحضاري .
- 3- دعا الغزالي إلى وجوب اعتماد المنهج الجديد، وإعمال العقل والفكر في التعامل مع القرآن، من أجل تغيير الواقع الاجتماعي للمسلمين، والانتقال بحالهم إلى الأفضل في مجارة الركب الحضاري .
- 4- بين أن القراءة المعتمدة للنص القرآني الذي نعتبره أساس المنطلق الحضاري، لا تزال بعيدة عن التوظيف في الواقع الاجتماعي، وبعيدة عن الاستثمار العلمي والصناعي والتربوي للأمة، بسبب إحاطته منذ زمن بعيد بحواجز الجهل الفكري و تكسيه لباس القداسة، مدعية الحفاظ على الطابع التعبدية الإسلامي، والتقاليد الموروثة، مقيدة العقول المبدعة و متبينة نبرة عدائية لكل محاولة جادة، لكسر هذا الحاجز المفتعل والذي ما أتى الله به من سلطان، في حين يهرع الكثير من هؤلاء إلى الإشادة والتبجح بمخترعات الغرب الحديثة، كونها وردت في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمن.
- 5- وتماشيا مع قوله تعالى : " لا يغير الله بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ومن هذا المنطلق حارب الغزالي بقلمه، الذهنيات الرابضة على الموروث القديم من السلوكات والتقاليد السلبية عن جهل، والتي نالت الكثير من كبح تقدم الركب الحضاري للعرب والمسلمين.
- 6- بين الغزالي أن التقليد وعدم تبني التحديث، في تناول قضايا المجتمع، عدا ما ثبت فيه نص من القرآن الكريم، هو عبث يؤدي في كثير من الأحيان إلى جمود العقل ويمنعه من الانطلاق بحرية ويعوقه عن التفكير، مما يسبب حالة شديدة على النفس تسبب لها الكرب، والتعب، والضيق، وتضافر هاته العوامل، قد يؤدي

بالفرد المسلم إلى الخروج من المألوف والمعقول، إلى جادة التعصب والانحراف مما يثير الاستغراب والذهول .

7- بين الغزالي كذلك أن ما جاء في القرآن، يتوافق تماما مع فطرة الإنسان، وأن محتواه نظريات ترقى عن الشك والظن، لأن مصدرها إلهي منزه عن الخطأ وأن هذه النظريات تستوجب وتتطلب اعتماد أساليب عملية لتطبيقها، لا تتعارض في ماهيتها مع الانفتاح على الخبرات والتعامل مع الآخرين، والأخذ من تجاربهم بما يوافق ويتأقلم مع هوية المسلمين .

8- كما يرى الغزالي أن تخلف الأمة الإسلامية في ميدان العلم، والتربية، والإنتاج من أسبابه : التقوقع الفكري، والتمسك بالتقاليد السلبيه، والتشبث بالآراء المتشده والفقه المنغلق، الداعي إلى بقاء الحال كما هو عليه .

9- وفي فكره التربوي، يؤكد الغزالي على أن تعلم المرأة المسلمة وفق أفاق رحبة وأساليب عصريه، وفلسفه متفتحه تنظر للمرأة والرجل نظرة تكامل لا نظرة تفاضل، هي آليه لا يمكن الحياد عنها، لدفع عجلة المجتمع المسلم نحو التنمية والتطور.

10- يعد محمد الغزالي نموذجا ومصلحا مثاليا، ومفكرا مجددا متميزا، ونادرا في العصر الحديث، وهذا نظرا لأسلوبه وأفكاره التي تحمل في طياتها مشروعا تربويا أبعاده متعددة، ذات طابع إسلامي.

11- إن الأبعاد التربوية لفكر محمد الغزالي، تعتمد في حيويتها وفعاليتها على إعمال العقل كوسيلة لفهم مشاكل المجتمع وقضاياها، و تستمد قوتها بفضل انطلاقها من الواقع الاجتماعي للأمة العربية الإسلامية، معتمدة في ذلك على انسجامها وتوافقها مع القراءة الموضوعية للنص القرآني والسنة المحمدية .

12- وعليه فان نجاح أي منهج تربوي يتوقف على مدى مراعاة واضعيه لمعتقدات، وقيم وتقاليد، وعادات الأمة التي تؤمن بها، وتمثل أصالتها، وبعد وجودها الضارب في أعماق التاريخ.

• ومن خلال ما سبق فان تحقق الفرضيات يبدو واضحا، فبعد مطارحة مع أخذ ورد وتحليل لأفكار محمد الغزالي، بين موال من العلماء ومحب ومتعاطف من عموم الناس وخاصتهم، وبين مناوئ ومخالف من العلماء أيضا، تبين لنا

أن رؤية الغزالي الحديثة، ومقارنته الموضوعية والموضوعية للقرآن، وكذا المعالجة الدقيقة، و التفسير المحكم الشمولي للآيات، ضمن القصد والمعنى العام للسور والقراءة المتأنية والمتفحصة للمضمون من النص القرآني، دون إهمال لظاهره، وربط ذلك مع ما صح من المتواتر من الحديث النبوي الشريف، وفق تقبل العقل الذي لا يصطدم في كنهه مع الفطرة وصلاح البشرية، ويتماشى في تجلياته مع الواقع الاجتماعي للمسلمين الذي يقوم أساسا على التربية الحسنة .

إن هذا الأسلوب الفكري الراقي والجديد في المعالجة، والمسائر للعصرنة والحداثة يبعث دون شك في اعتقادي، على وجوب اعتماده كمنهج تربوي لبناء حضارة إسلامية جديدة.

- مراجع الفصل الخامس

القرآن الكريم

- 1- آل رشي ، علاء الدين ، هكذا علمني محمد الغزالي ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ط1 بيروت ، لبنان ، 2002م .
- 2 - الحويني أبي إسحاق ، سمط اللألي في الرد على الشيخ محمد الغزالي ، مكتبة التوعية الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، الجيزة ، مصر ، 1989.
- 3 - الغزالي محمد ، الإسلام والاستبداد السياسي ، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2005.
- 4 - الغزالي محمد ، علل وأدوية ، دار القلم ، ط 3 ، دمشق ، سوريا ، 1998.
- 5 - الغزالي محمد ، معركة المصحف ، دار النهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر ط2 ، القاهرة ، مصر 2000.
- 6 - الغزالي محمد ، من هنا نعلم ، دار الكتب ، الجزائر ، 1988 .
- 7 - الغزالي محمد ، الإسلام والطاقت المعطلة ، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005.
- 8 - الغزالي محمد ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، دار القلم ، ط2 ، دمشق ، سوريا 2005م
- 9 - الغزالي محمد ، الجانب العاطفي من الإسلام ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 3 ، مصر ، 2005.
- 10 - الغزالي محمد ، الحق المر ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، ج1 ، 2005م .
- 11 - الغزالي محمد ، السنة بين اهل الفقه و أهل الحديث، دار الصديقية، ط1، الجزائر، 1990م.
- 12 - الغزالي محمد ، تراثنا الفكري ، دار المعرفة ، الجزائر ، 1999م .
- 13 - الغزالي محمد ، دستور الوحدة الثقافية، دار الكتب ، الجزائر، 1988
- 14 - الغزالي محمد ، ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، دار أبو سلامة للطباعة والنشر، ط 1 ، 1985م .
- 15 - الغزالي محمد ، في موكب الدعوة ، دار المعرفة ، الجزائر ، 1999م .
- 16 - الغزالي محمد ، كيف نتعامل مع القرآن ، دار المعرفة ، دت ، باب الواد ، الجزائر.
- 17 - الغزالي محمد ، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، دار لبعث قسنطينة الجزائر، 1982م .
- 18 - الغزالي محمد ، هموم داعية ، شركة مصر للطباعة والنشر ، ط6 ، مصر، 2006.
- 19 - الغزالي محمد، الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، ط1، دار السلام ، الجزائر، 1992.
- 20 - الغزالي محمد، الغزو الثقافي يمتد في فراقنا، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر، 1989 م .

- 21 - الغزالي محمد، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، دار الكتاب، الجزائر، 1987م.
- 22 - الغزالي محمد، قضايا المرأة بين التقليد الرائدة والوافدة، دار ربحانة، الجزائر، 1999م.
- 23 - الغزالي محمد، نظرات في القرآن، دار الشهاب، ط6، باتنة، الجزائر 2005.
- 24 - الغزالي محمد، هموم داعية، شركة الشهاب، الجزائر، 1990.
- 25 - الغزالي محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2005.
- 26 - الغزالي محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، مكتبة وهبة القاهرة، مصر 1979 م.
- 27 - الغزالي محمد، علل وأدوية، دار المعرفة، الجزائر، 1999.
- 28 - الغزالي محمد، المحاور الخمسة، دار القلم، دمشق، دت.
- 29 - الغزالي محمد، قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة، 1996.
- 30 - الغزالي محمد، مائة سونل عن الإسلام، دار النهضة، مصر، 2005.
- 31 - القرضاوي يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته في رحلة نصف قرن، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1997 م.
- 32 - القرضاوي يوسف، الشيخ محمد الغزالي كما عرفته، دار الشروق، ط1 القاهرة، مصر، 2000.
- 33 - الكندري لطيفة، ملك بدر، تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي مكتبة بستان المعرفة، جدة، السعودية، 2005 م.
- 34 - بن بني مالك، شروط النهضة، دار الفكر، دت، الجزائر.
- 35 - جمال الدين، عطية وآخرون، السيرة والمسيرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي دار السلام، ط1، القاهرة، مصر، 2012.
- 36 - جواهر عبد المجيد، جواهر ولآلة من كنوز العلامة محمد الغزالي، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2005.
- 37 - سعيد حوى، الإسلام، دار الشروق، ط2، سوريا، 1979م.
- 38 - سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع محمد الغزالي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث، العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 12501، 1409/11/9 هـ
- 39 - شعيب، إ، ع، الميسر في البلاغة العربية، دروس وتمارين، دار أبين حزم، ط1 بيروت، لبنان، 2008.
- 40 - قطب عبد الحميد، محاضرات الشيخ الغزالي، في إصلاح الفرد والمجتمع دار رحاب، الجزائر، 1990م.

- 41 - قطب محمد ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، ج 2 ، بيروت لبنان 1988م
- 42 - محمد عمارة ، الشيخ محمد الغزالي ، الموقع الفكري والمعارك الفكرية ، ط1 دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، مصر ، 2009.
- 43 - مذكرات الشيخ الغزالي، (قصة حياة) ، دار الرشاد للنشر ، الجزائر 2006 .
- 44 - مفلح بن عبد الله ، الدين والسياسة في خطاب محمد الغزالي ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012.
- 45 - نور الدين بن براهيم أعزيز ، الوسطية والاعتدال في المنهج الدعوي عند الشيخ محمد الغزالي ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2010م .
- 46 - نور عبد القادر ، حديث الاثنتين للشيخ محمد الغزالي ، دار الوعي للطباعة ونشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011.
- 47 - يوسف القرضاوي ، الشيخ الغزالي كما عرفته ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة ، مصر 2000.
- 48 - لعرابة نصر الدين ، محمد الغزالي في حياته وآثاره ، دار الأمة ، ط 1 ، الجزائر 1998 .
- 49 - فلوسي مسعود بن موسى ، الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود مكتبة وهبة ، ط1 ، القاهرة ، مصر 2003 م .
- الرسائل الجامعية:
- 1- بيريير محمد ، فكر محمد الغزالي ودوره في التجديد التربوي ، رسالة ماجستير في علوم التربية ، جامعة الجزائر ، 2010م
- المجالات :
- 1- السعيد رحمانى ، التسامح بين الإسلام والمسيحية عند الشيخ محمد الغزالي ، مجلة دراسات إسلامية ، ع 17، مركز البصيرة ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر ، 2006 م .